رجب البنا

الأقباط في مصر والمهجر

حوارات مع البابا شنودة



دار المعارف



الأقباط
فى مصر والمهجر

رجب البنا

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التسجيل ٣٣٠٧٦٧

الأقباط في مصر والمهجر

حوارات مع البابا شنودة



Bibliotheca Alexandrina GOAL



دار المعارف

تصميم الغلاف : **محمد أبو طالب**

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

إهـــداء

إلى أبى

الـذى علمنــى التســامح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ما زال محفورا فى ذاكرتى – رغم مرور عشرات السنين – هذه اللحظة التى وقفت فيها أمام « القمص بولس » راعى كنيسة دمنهور ، ألقى كلمة المدرسة للترحيب به ، فى أول زيارة يقوم بها لمدرسة الأقباط الابتدائية . كان ذلك فى عام ١٩٤٧ ، وكنت تلميذًا فى هذه المدرسة التى كانت تضم نخبة من أكثر المدرسين كفاءة وإخلاصًا . وفيها تعلمت الدرس الأول : لا فرق بين مسلم ومسيحى .. وكلنا مصريون .

كنا نقف فى طابور الصباح نرقب العلم وهو يرتفع ببطء ، وتخفق قلوبنا معه ، ونهتف معا بصوت كان يزلزل جدران المدرسة كلها : تحيا مصر ..

وحتى اليوم ما زلت أحمل شعورًا عميقًا بالامتنان والعرفان بالفضل لكل من علمنى حرفًا فى هذه المدرسة .. الأستاذ يوسف .. والمغربى أفندى .. وجرجس أفندى والأستاذ عبد المعطى .. ولا أذكر أنى سمعت من أحد منهم يومًا كلمة تشير إلى تفرقة بين مسلم ومسيحى .

وما زال فى ذاكرتى من أيام الطفولة والصبا أصدقاء كثيرون وجيران وزملاء دراسة من الأقباط والمسلمين .. وذكريات الصداقة الصافية التى

جعلتنا لا نرى فارقا يفرق بين من يعبد الله فى المسجد ومن يعبد الله فى الكنيسة ، وكان يكفينا أننا نعبد إلهًا واحدًا .

وفى البيت الذى كنت أعيش فيه كانت هناك أسرة مسيحية كنا نتعامل معها على أنها امتداد لأسرتنا .. الأولاد يلعبون ويخرجون معا ، والبنات معا ، والسيدات يجمعهن فنجان القهوة فىّ العصر وأحاديث السمر .. وكنا نتبادل الهدايا .. ونأكل حيث يحين وقت الطعام هنا أو هناك .. لا فرق .

وهكذا عشت حياتى ..

عشرات الشخصيات .. والأحداث .. والمواقف على امتداد العمر .. جمعت بينى وبين اخوة وأصدقاء وزملاء من الأقباط ولم أشعر من جانبى أو من جانبهم بأى بادرة تدل على شعور بالتفرقة .

وفى الندوات والاجتماعات كان طبيعيا أن يلتقى القسس والشيوخ ويتحدثوا كأصدقاء .

وهكذا عاشت مصر كلها من الشلال إلى السلوم .. المسلمون والأقباط .. يعيشون معا فى سماحة ومحبة ولا أذكر أنى لمست التعصب فى أى شخص قابلته فى هذه الفترة .. ولا سمعت كلمة « الأقلية » .. وكل ماكنا نسمعه ونقوله هو : أن الدين لله والوطن للجميع .

وفجأة ظهرت فى مصر أمور غريبة . ظهر الإرهاب يدعى أنه يقتل ويخرب باسم شريعة الإسلام .. وظهر التعصب والتحريض .. وظهر جمود العقل وضيق الأفق وظهرت تفسيرات غريبة ومريبة للنصوص .. ومع كل

ذلك بدأ الحديث عن الأقباط كأقلية .. ثم تزايد .. ثم جاء أحد الأساتذة بدعم مالى من منظمة دولية يدعو إلى تنظيم مؤتمر عن الأقليات فى منطقة الشرق الأوسط واعتبر الأقباط فى مصر ضمن هذه الأقليات التى تحتاج إلى حماية .. حينئذ أدركت أن فى الأمر « شيئا ما » لم يكن ظاهرًا وقتها .. ولكن مصر كلها انتفضت بالرفض والغضب لظهور هذه الفكرة .. وأعلن قداسة البابا شنودة أنه يرفض اعتبار الأقباط فى مصر أقلية ، لأنهم مواطنون يتساوون فى المواطنة مع غيرهم ، ولايعانون مايعانيه الزنوج مثلاً فى أمريكا ، أو المسلمون فى ألمانيا ، أو غيرهم .. ثم جاء مقال لأستاذنا محمد حسنين هيكل بعنوان « الأقباط ليسوا أقلية فى مصر » نشره فى صحيفة الأهرام (ويجده القارئ فى نهاية هذا الكتاب » فكان ضربة قاضية للفكرة ولأصحابها .. وإن كان صاحب الفكرة فيما يبدو كان مضطرًا لأداء دوره فعقد المؤتمر خارج مصر ، ولم يحضره أحد من المصريين .. لا من المسلمين ولا من الأقباط .. ومع ذلك أصر على مناقشة موضوع الأقباط على أنهم أقلية .. وكان ذلك من أغرب ماجرى فى هذه الفترة .

ولكن هذا « الشيء » الذى كان خافيًا اتضح بعد ذلك ، حين بدأت الصحافة الأمريكية تتحدث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، ثم بدأت لجنة فى الكونجرس تعقد جلسات استماع عن وضع الأقباط فى مصر .. هنا ظهر الخيط الذى يربط بين أحداث الإرهاب التى كان ضحاياها من الأقباط والمسلمين ، وتصوير هذه الأحداث على أنها حركة عدائية ضد الأقباط ، ثم عقد مؤتمر دولى لمناقشة هذه القضية المصطنعة ، ثم الكونجرس ، ثم محاولة استخدام الموضوع كله ورقة للضغط على مصر والتلويح بها كأداة للابتزاز السياسى .

ولا يخفى أن ذلك تزامن مع معركة سياسية تقودها مصر بحكم قيادتها للعالم العربى ودورها الإقليمى ، للضغط على إسرائيل لكى تتخلى عن أطماعها فى الاستيلاء على الأرض العربية ، وقبول إقامة السلام المتوازن ، سلام يعطى لإسرائيل الأمن الذى تتخذه ذريعة للعدوان والاغتصاب ، ويعطى للعرب أرضهم وحقوقهم ، ويحقق للمنطقة كلها الاستقرار .

هذا الدور المصرى لم يكن موضع ترحيب .

وأثيرت لمصر المشاكل بقصد شغلها ، واستنزاف طاقتها ، ودفعها إلى الانكفاء على ذاتها والتخلى عن هذا الدور .

فى هذه المرحلة ذهبت إلى قداسة البابا شنودة أسأله عن رأيه وموقفه .. فوجدته كما عرفته رجلاً من رجال مصر المخلصين .. على وعى بكل ما يجرى .. وحريص كل الحرص على إحباط المؤامرة ، ووأد الفتنة فى مهدها ، لكيلا لا يحقق مثيروها هدفهم الدنىء .

❑❑❑

ومن حسن حظى أنى التقيت فى حياتى برجال لايمكن أن أنساهم .. لكل منهم شخصية متميزة .. وفكر راق .. وإرادة ملهمة .. وروح تشع على كل من يقترب منها .. ومن بين هؤلاء فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر .. وقداسة البابا شنودة بطريرك الأقباط الأرثوذكس فى مصر .. وقد استمرت علاقتى بهما سنوات طويلة حتى بحت تجمعنى بهما صداقة عميقة ، واتفاق أرواح وعقول ، واستمتعت بساعات طويلة من الحوار حول كل الموضوعات التى تشغل إنسان لعصر .. ووجدت فى كل منهما مشاعر حب صادق تفيض على

الآخرين ، وسعة صدر بلا حدود ، واستقامة فى التفكير المنطقى ، وعلمًا واسعًا بأمور الدين والدنيا معا ..

ولقد سجلت بعض حواراتى ولقاءاتى مع فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى فى كتابين : « الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام » و« الغرب والإسلام » وها أنذا أسجل فى هذا الكتاب جانبا من لقاءاتى وحواراتى مع قداسة البابا شنودة .

ولأن لقاءاتى مع قداسة البابا استمرت لأكثر من عشرين عاما ، وكان معى فى معظمها صديق العمر المستشار عزيز أنيس نائب رئيس هيئة قضايا الدولة وكان عضوا بالمجلس الملّى لفترة طويلة ، وتم بعضها فى مقر إقامة البابا فى البطريركية بالقاهرة ، وبعضها الآخر فى دير الأنبا بشوى ، وكانت اللقاءات تطول حتى تستغرق أياما .. وقد طلبت من قداسة البابا أن أقضى ليالى فى الدير لأعايش حياته اليومية فيه وحياة الرهبان ، وكان دافعى إلى هذا الفضول الصحفى من ناحية ، والرغبة فى المعرفة أكثر عن المسيحية المصرية بالمعايشة من ناحية أخرى ، والحرص على اكتشاف القاسم المشترك بين المسلمين والمسيحيين ، والخصوصية المصرية التى تجعل الإسلام فى مصر بكل هذا التسامح ، وتجعل المسيحية بكل هذا التعاطف ، وتوحدّ بين المسلمين والمسيحيين فى السلوك ، وأساليب التفكير ، وعادات وتقاليد الحياة الاجتماعية ، إلى حد أنك لا تستطيع أن تفرق بين المسلم والمسيحى لا من السحنة ، ولا من طريقة الحديث والتفكير ، ولا من السلوك ، ولا من عادات الموت والزواج والاحتفال بالمولود أو إقامة الموالد والاحتفال بالأعياد .. وإلى حد أن تجد المسيحيين لايظهرون فى رمضان وهم يأكلون أو يدخنون احترامًا لمشاعر المسلمين الصائمين ، كما تراهم يقيمون موائد الإفطار ويحرصون على الأطباق الخاصة التى تميز رمضان فى مصر .

من الصعب جدا أن تدرك الفارق بين المسلم والمسيحى .. لأن الجذور واحدة .. والأصول واحدة .. وبناء العقول واحد .. والثقافة واحدة .. والحياة مشتركة بصورة لاتجدها فى أى بلد آخر .. فى البيت الواحد يسكن المسلمون والأقباط .. والمحل الواحد قد يملكه شريكان واحد مسلم والآخر قبطى .. وشيخ الأزهر يعلن أن والده كان مزارعًا وكان شريكًا لقبطى يزرعان الأرض معا ، ويقتسمان العائد معًا ، وينوب أحدهما عن الآخر ..

والبابا شنودة يعلن أنه عقب ولادته ماتت والدته وانشغل الجميع بالوفاة عن المولود الجديد فحملته جارته المسلمة وأرضعته دون حساسية أو حرج .. ويعلن أن أصدقاء شبابه من المسلمين كانوا أكثر من أصدقائه من الأقباط .

وهذه إحدى سمات عبقرية مصر كوطن .. وعبقرية المصريين كشعب .

❑❑❑

هذا الكتاب دراسة لوضع الأقباط فى مصر باعتبارهم مصريين لهم كل الحقوق وعليهم كل الواجبات وهو أيضا محاولة للاقتراب من قداسة البابا شنودة كإنسان .. للتعرف على فكره وما يشغله .. والبابا شنودة ليس رجل دين فقط .. إنه فى الحقيقة أحد المفكرين المصريين المعاصرين ، فهو مشغول بقضايا الثقافة ، والاقتصاد ، والمجتمع .. وهو من القلة النادرة من رجال الدين الذى استطاع أن يحقق ماهو مستحيل بالنسبة للآخرين : أن يجمع بين التبتل والتفرغ للعبادة ، وأداء دوره فى رعاية أبنائه الأقباط ، ويعايش الحياة بأحداثها وتطوراتها ليس فى مصر وحدها بل فى العالم أيضا .. ومن هنا فإن الحوار معه متعة عقلية وروحية .

ولا يشمل هذا الكتاب كل الحوارات التى دارت عل مدى أكثر من عشرين عامًا .. فهذا أمر صعب ، ولا يكفيه كتاب واحد .. ولكنه يتناول

فقط بعض القضايا رأيت أن هذا هو الوقت المناسب لطرحها سواء فيما يتعلق بالأقباط فى المهجر ، أو ما يتردد عن الدور السياسى للبابا ، أو عن المسيحية السياسية ، أو عن علاقة الكنيسة بالمجتمع والدولة ، وغير ذلك من الموضوعات التى رأيت أنها تشغلنا فى هذه الفترة ، وأرجو أن أجد الفرصة لمتابعة واستكمال الموضوعات بعد ذلك .

❑❑❑

وهذا الكتاب ، بما فيه من أحاديث البابا شنودة ، هو الرد على كل من يحاول إثارة الفتنة أو الأحقاد الطائفية ..

وفى الوقت نفسه فإننى أسجل هنا موقف فضيلة شيخ الأزهر حين أعلن أن الإسلام يحترم شخصية المخالف له ، ولا يفرض عليه حكمه فى الحلال والحرام ، ولا يلزمه بالخضوع لشرائعه ، لأن الإسلام أقر مبدأ الحرية الدينية ، ولاترضى شريعة الإسلام عن أى تفرقة بين المسلم وغير المسلم ، وكل من يعيش على أرض مصر له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات دون تفرقة .

وأسجل أيضا موقف أستاذ جليل هو شيخنا الشيخ محمد الغزالى الذى أعلن أن المبدأ الإسلامى فى معاملة غير المسلمين هو : « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » أى المساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات ، مع ضمان لذلك على مر التاريخ ، ويكفى أن نرجع مثلا إلى نص المعاهدة التى وقعها عمر بن الخطاب مع « سفرنيوس » أسقف بيت المقدس كنموذج للموقف الإسلامى من المسيحيين إذ قال : « بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل « إيلياء » من الأمان . أعطاهم أمانًا لأنفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ،

ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم .. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن .. » .

وختم عمر هذا العهد بتوقيعه وشهد عليه خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، مستلهمين فى ذلك وصايا النبى ﷺ فى معاملة أهل الكتاب وما استقرت عليه الأوضاع فى علاقات المسلمين بغيرهم .

ويكفى أن نتأمل هذه الآية الكريمة فى سورة آل عمران (٨٤) :

﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ .

فالمسلم مأمور من ربه أن يحترم ويؤمن بكل ما أنزله الله من ديانات ورسالات .

والإسلام يعلن ويؤكد أن اختلاف الأديان إرادة الله وكل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة لأنها ضد إرادة الله .

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ..﴾ .

ويكفى أن ننظر إلى أعظم مبدأ يقرر الحرية الدينية : قول الله تعالى :

﴿ لا إكراه فى الدين﴾ .

وتصل حرية العقيدة إلى حرية الشرك وعلى المسلمين حماية المشركين وتأمينهم :

﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ .

والإسلام يفتح قلبه لكل المخالفين له ويأمر أتباعه أن يكونوا كرماء معهم :
﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ .

هذا هو موقف الإسلام لمن أراد أن يعرفه من مصادره الأصلية ..

أما الفكر المنحرف فليس حجة على الإسلام أو المسلمين ..

وغاية ماأردت أن أصل إليه فى هذا الكتاب هو أن أتصدى للعابثين والمتآمرين على مصر والمصريين .. وأن أدعو المخلصين فى الداخل والخارج لكى ينتبهوا ويكونوا على وعى بالمؤامرة .

فالإسلام والمسيحية فى مصر يتعايشان فى سلام وتعاون .

والجرائم التى تحدث بتحريض ممن يستفيد من إثارة الفتنة لن تؤثر فى صلابة الوحدة الوطنية .

وستبقى مصر آمنة ومؤمنة ..

وسيبقى شعار الجميع ما قاله شوقى على لسان كل المصريين .

الدين للديّان جلّ جلاله .. لو شاء ربك وحد الأديان ..

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ..

وأدعو الله أن يحمى قلوبنا من العمى ، وأن ينير بصيرتنا ويلهمنا طريق الحق الذى يرتضيه ، وألاّ نحيد عن الطريق الذى بيّنه .

رجب البنا

الفصل الأول

البابا شنودة .. قصة حياة

١ نظير جيد .. الإنسان


أنطونيوس .. الراهب

٣ البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة القبطية

١ نظير جيـد .. الإنسان

قصة حياة البابا قصة مثيرة وتستحق التسجيل ..

والبابا شنودة لا يحب أن يتحدث كثيرا عن حياته الشخصية ، ولا يشير إلى فترة ما قبل الرهبنة إلا بمرور عابر ، ومع ذلك فقد ظل الفضول يدفعنى سنوات لأن أبحث عن الصفحات المطوية منذ الطفولة ، وكثيرا ما سألت : ما هى الأسباب التى تدعو رجلا شديد الذكاء ، ولديه كل هذه القدرات والمواهب ، لكى يترك العالم ، ويعطيه ظهره ، ويحمل حقيبته يوما دون سابق إنذار ، ليدخل الدير ، ويمر بطقوس الموتى ليخرج من الدنيا وما فيها ، ويتنازل عن اسمه ليصبح له اسم جديد كلما حصل على رتبة جديدة فى الرهبانية .. كما يتنازل عن طموحاته الشخصية ، وعلاقاته الأسرية ، ويختار حياة خشنة ، يدرب فيها نفسه على الحرمان ، وينقطع للعبادة وخدمة الناس ، ولا شىء غير ذلك .

وكثيرا ما سألت : من أى أسرة خرج هذا الرجل الذى يُتمتع بقوة الشخصية ، والقدرة على القيادة والتأثير فى الناس ؟ .. وما هى الخبرات والتجارب التى مرت به وكوّنت هذه الشخصية .. ؟

ومن خلال لقاءاتى العديدة مع البابا شنودة على مدى عشرين عاما استطعت أن أجمع عبارات من أحاديث البابا معى ، ومن أحاديث الذين عرفوه فى بعض مراحل حياته ، تكفى لتعرف منها من هو البابا شنودة الإنسان .

أول مفاجأة لى أن عرفت أنه لم ينشأ فى أسرة فقيرة ، بل بالعكس كان من أسرة من أثرياء الصعيد بالمقاييس التى كانت سائدة فى أوائل القرن حين ولد . فقد ورث والده جيد روفائيل ١٢٠ فدانا فى قرية سلام مركز أسيوط ، وكان جده لأبيه عمدة القرية يملك ٥٠٠ فدان من أجود أراضى الصعيد . وكانت والدته (بلسم جاد) من أبنوب الحمام تملك أرضا ورثتها عن والديها تزيد على ٣٠ فدانا .. ومن كان يملك كل هذه المساحة من أجود الأراضى الزراعية فى الصعيد كان يعتبر من الطبقة البرجوازية فى ذلك الوقت .

ويقول البابا : لم أكن أعانى الفقر فى طفولتى .. ولكنى ظللت أشعر بشعور الفقراء فى كل مراحل حياتى !

وأول ما نقف عنده فى حياته هو لحظة ميلاده يوم ٢ أغسطس سنة ١٩٢٣ . فلم تكد الفرحة بقدومه تملأ البيت حتى أصيبت الأم بحمى النفاس ورحلت فجأة دون أن ترضع طفلها .

وهكذا كانت لحظة وصوله إلى الحياة مقرونة بالحرمان من نهر الحب الذى يرتوى منه الأبناء فى طفولتهم . وكان طبيعيا أن انشغلت الأسرة بحادثة الموت أكثر من انشغالها بالميلاد والمولود ، حتى أن أحدًا لم يتذكر أن يسجل المولود فى سجل المواليد ، ولذلك لم تكن له شهادة ميلاد مما سبب له مشاكل فى المدارس إلى أن تم قيده من « سواقط القيد » بعد سنوات طويلة ، وحين استرد أهل البيت أنفاسهم كان شاغلهم هو : من يرضع الطفل الصغير ؟ .. وبعدها بحثوا له عن اسم فاختاروا أن يكون اسمه « نظير » .. نظير جيد .. وكانت أول سيدة ترضعه إحدى الجارات

المسلمات شاركت فى العزاء .. وحملت الطفل بينما كان الجميع فى دوامة الحزن والمفاجأة .. ولذلك يقول : حنان الأم الذى فقدته من اللحظة الأولى وجدته فى كثيرات من المسيحيات والمسلمات .. ! وبعد ذلك تولت شقيقته الكبرى المتزوجة إرضاعه ، إلى أن استطاع الأب أن يدبر أمره ويستأجر له المرضعات .

هكذا كانت البداية . ولابد أن هذا اليوم ظل غائرا فى أعمق الأعماق ، وما تبعه بعد ذلك ولسنوات طويلة من نظرات الإشفاق على الطفل « اليتيم » .

كانت الأسرة تتكون من خمس شقيقات متزوجات ، وشقيقين : الأكبر « روفائيل » ، ويليه « شوقى » . وعين الشقيق الأكبر موظفا فى وزارة المالية فى دمنهور ، فانتقل من الصعيد إلى المدينة الجديدة فى الوجه البحرى ومعه زوجته وشقيقه شوقى والطفل الصغير « نظير » لترعاه زوجة الأخ ، التى يذكرها دائما على أنها كانت أما بحق إلى أن وصل إلى سن المدرسة ، فدخل مدرسة الأقباط الابتدائية بدمنهور ، ولفت الأنظار بتفوقه ، وقوة ذاكرته ، وقدرته على الحفظ والتعبير ، وكان ترتيبه الأول دائما . ومازال البابا شنودة يذكر زوجة أخيه (جوليا حليم) وكيف عوضته عن فقدان الأم ، ويذكر أنها كانت تسهر الليالى إلى جانب سريره إذا مرض ، وكيف كانت تظل واقفة فى الشرفة تنتظر عودته من المدرسة .. ولم تفرق زوجة الأخ بين شقيقى زوجها الصغيرين وابنها « عادل » .. وظلت تعتبره ابنها وتعامله كابن إلى أن رحلت فى سنة ١٩٦٧ ، وحتى الآن تمر سحابة الحزن بوجه البابا شنودة كلما تذكر زوجة أخيه التى وجد فيها الأمومة . بكل مشاعرها وحنانها . وككل يتيم ينشأ صغيرا وسط الكبار ، ويشعر

أنه محتاج إليهم دائما ، وأنهم أصحاب فضل عليه ، كان يتعامل مع إخوته الكبار باحترام كبير .. شقيقه الأكبر « روفائيل » لا يناديه إلا ويسبق اسمه لقب « الأستاذ » وشقيقه الثانى لا يناديه إلا ويقول له : « أخويا شوقى » احتراما لفارق السن بينهما ، فهو يكبره بخمس سنوات .

يقول البابا : كانت فى بيتنا مكتبة كبيرة وكان والدى مدمنا للقراءة . وتأثرت به فأصبحت أنا أيضا مدمنا للقراءة وبقيت على ذلك بعد أن تنقلت مع شقيقى عادل وحتى اليوم .

بعد سنوات انتقل الأخ الأكبر للعمل فى بنها ، فالتحق نظير بمدرسة الأمريكان ببنها ، ثم انتقلت الأسرة مرة ثالثة إلى القاهرة حيث وصل الأخ الأكبر إلى وظيفة مهمة فأصبح رئيس قسم بوزارة المالية ، وسكن فى شبرا .ويقول البابا عن هذه الفترة : إنه عاش فى أجواء ثورة ١٩١٩ .. المسيحيون والمسلمون وحدة واحدة .. ألمع وزراء الوفد مكرم عبيد .. ورئيس مجلس النواب ويصا واصف باشا .. وهكذا .

وفى القاهرة تعرف نظير جيد على حياة العاصمة مما كان بعيدا عنه فى دمنهور وبنها .. عرف السياسة والأحزاب ، ويقول عن تأثير الجو السياسى فى هذه السنوات بما فيه من حريات وصراع الأحزاب : ولدت مع دستور ١٩٢٣ ، ثم عرفت الطريق إلى الصحافة ، والجمعيات ، والتقيت بمدرسين أثروا فى تفكيرى فى فترة التكوين فى مدرسة الإيمان الثانوية بشبرا ، وفى هذه الفترة ظهرت مواهبى فى حفظ الشعر ، وبدأت أجرب نظم الشعر أيضًا ، وازدادت فىَّ القدرة على القراءة لساعات طويلة دون كلل ، كما تعمقت فىّ الرغبة فى أن أجلس مع من هم أكبر سنا منى وأدخل معهم

فى حوارات وأتعلم منهم ، وأهتم بحفظ خطب الزعيم مكرم عبيد ومرافعاته الشهيرة فى المحاكم وكانت مرافعاته أدبا رفيعا .

ونتيجة لذلك اتسعت الفجوة بينه وبين أقرانه ، فلم يعرف فى صباه ولا فى طفولته لهو الأطفال أو عبث الشباب . كان متفرغا للقراءة والأدب والشعر . وينشر أشعاره وقصصه فى المجلات المدرسية ، وكان مشهورا بكتابته الشعر الفكاهى الذى تظهر فيه روح المرح التى لم تفارقه حتى الآن ، ففى أكثر المواقف جدية يحرص على إلقاء فكاهة تخفف جدية الموقف وتعيد الضحكة إلى الجميع ، ويضحك هو أيضا للنكتة الحلوة .

فى السنة الرابعة فى المدرسة الثانوية حفظ عشرة آلاف بيت من الشعر ، وكان من بينها ديوان قرأه سنة ١٩٣٩ بعنوان « دموع الشعراء على سعد زغلول » يضم قصائد رثاء لسعد زغلول ، وما زال يحفظ القصائد كاملة ويستعيد أبياتا من قصيدة تقول :

قالــوا : دهت مصر دهيـــاء فقلت
لهم هل غُيّض النيل أم زُلزل الهرم ؟
قالوا : أشد وأدهـــى قلت ويحكـم
إذن فقد مات سعد وانطوى العلـم

يقول البابا :

فى هذه الفترة أحببت شوقى وحفظت مسرحياته الشعرية وقصائده ، وكانت مسرحية « مصرع كليوباترة » مقررة علينا وطُلب منا فى الامتحان أن نجيب عن أسئلة من هذه المسرحية فأجبت عنها بثلاثمائة بيت من الشعر .. كنت أحفظ كل ما يعجبنى من الشعر ولا أنساه أبدًا .

وانشغل نظير جيد بما كان يملأ أجواء القاهرة من أحاديث عن الرشوة

والفساد فى الحكومات الحزبية ، وبدأ إعجابه بمكرم عبيد وهو يقف خطيبا فى حشد من الجماهير فيسيطر عليهم ببلاغته وسحر بيانه ، ويلقى بين الحين والحين أبياتا من الشعر ، أو آيات من القرآن الكريم ، ارتجالا ، دون أن ينظر فى ورقة . وازداد انشغاله بالشعر والخطابة والحياة العامة بعد أن أصبح لامعا ومعروفا بين زملائه وأساتذته ، وربما كان مكرم عبيد هو مثله الأعلى فى هذه الفترة . لكنه أراد أن يصقل موهبته فى كتابة الشعر ، فقضى شهور إجازة صيف كاملة يتردد على دار الكتب فى باب الخلق ليعلم نفسه عروض وبحور الشعر ، ويقرأ كل ما كتب فى الشعر والشعراء ، وتختزن ذاكرته قصائد كاملة للقدامى والمحدثين ، حتى علَّم نفسه بدون معلم ، واكتشف أن الكتب والمكتبة هما حياته ، ويبقى هذا الشعور معه طوال حياته ، فلا نجد أمرا غريبا أن يصبح مسئولا عن المكتبة فى الدير بعد ذلك ، أو أسقفا للتعليم . ومسئولا عن الكلية الاكليريكية .. فهو مرتبط بالكتب والثقافة ، والفكر والتعليم ويجد فيها المتعة والراحة .

وكان ميلاده كشاعر فى إحدى الحفلات المدرسية حين وقف فى جمع من كبار المسئولين فى وزارة التعليم والمديرية التعليمية ينشد قصيدة من تأليفه بصوت قوى مؤثر :

تريد الكنانة عزما قويا	شبابا يضحى وشعبا جديدا
شبابا يعيد بناء الجدود	يعيش شريفا يموت شهيدا
من الآن هيا لنبنى اتحادا	وننسى العداء وننسى الحقودا
إذا ما أراد الدفاع جحيما	لحرق العدو نكون وقودا
أهذى الجموع تعالوا سويا	إلى سلم المجد نرقى صعودا

ومن يومها أصبح « شاعر المدرسة » ثم شاعر الطلبة ..

لكنه بالإضافة إلى تفوقه فى الشعر والخطابة – كما قال عنه أحد زملاء المدرسة الثانوية الدكتور حلمى لبيب – كان معروفا بالتفوق العلمى ، وكان المدرسون والتلاميذ يسمونه : نظير كليفر Clever أى التلميذ المتفوق أو المجتهد . لأنه كان يذاكر دروسه أولا بأول ولا يكتفى بالكتب المدرسية ويبحث عن كتب ومراجع يتلمس فيها مزيدا من المعلومات .

فى هذه المرحلة بدأ يرتبط بالكنيسة .. ويخدم فى مدارس الأحد فى كنيسة انطونيوس وعمره ١٧ سنة ، وفى المسابقات الثقافية التى كانت مدارس الأحد تنظمها كان يفوز بالمركز الأول ، وكان شقيقه شوقى الذى يكبره قد بدأ هو الآخر فى إلقاء المواعظ فى الكنائس والجمعيات القبطية ، ولاشك أن ذلك كان عاملا للجذب نحو العمل الدينى . خاصة أن شوقى أصبح قسيسا بعد ذلك .

وفى امتحان الثانوية العامة وكان اسمها « التوجيهية » دخل الامتحان الشفهى فى اللغة العربية ، ولفت نظر الممتحن أن التلميذ نظير جيد ينطق اللغة العربية نطقا سليما ، فأعطاه قصيدة وسأله :

– هل تعرف من أى وزن هذه القصيدة ؟

فأجابه على الفور دون تفكير . فدهش الممتحن وقال له :

– هل تحب الشعر .. ؟

فأجابه :

– نعم وأقرضه .

فطلب منه الممتحن أن يلقى قصيدة من شعره فأعجبته فطلب المزيد ، حتى مر الوقت دون أن يشعر ، وأخيرًا قال له الممتحن بشىء من التحدى :

– المقرر عليك جزء من قصيدة طويلة .. هل تعرف أبياتًا من أولها .. ؟

فأجابه :

– نعم .. أعرف أولها ..وأستطيع أن ألقيها من آخرها أيضًا .. !

ولم تستطع لجنة الامتحان أن تخفى إعجابها بهذا التلميذ المعجزة .

وهكذا بدأ بريق الموهبة يتألق .

❑❑❑

بعد التوجيهية بتفوق اختار نظير جيد أن يدخل كلية الآداب ، ولأنه يحب دراسة التاريخ ، ويعرف أسماء مشهورة من أساتذة التاريخ فى الكلية ، فقد اختار قسم التاريخ ، ولفت أنظار الأساتذة الكبار بقدرته على إعداد بحوث تاريخية ممتازة تتضمن تحليلات خاصة به تؤكد أن له استقلالية فى التفكير وقدرة خاصة على استنطاق وقائع التاريخ ..

يقول البابا :

– أحببت التاريخ المصرى القديم والتاريخ الإسلامى ، وكنت أجيد اللغة الانجليزية فساعدنى ذلك على الاستفادة بالمراجع الأجنبية فى دار الكتب ومكتبة الكلية وكنت أحب أن أترجم بعض الفصول بكاملها ، وتعلمت أن أعتمد على المراجع العربية الأصلية ، وساعدنى ذلك على تكوين ثقافتى ، وكنت أعد لنفسى تدريبات خاصة فى البحث العلمى لكى أبذل مجهودا أكبر فى القراءة ، ولاحظت أن الطلبة يستعيرون من زملائهم الأبحاث التى

سبق أن قدموها لأساتذتهم لينقلوا منها ، ولكنى كنت أحرص على اختيار موضوع جديد لم يسبق أن كتب فيه أحد وليس فى الكتب المقررة عنه سوى صفحة أو صفحتين لكى ألزم نفسى بالبحث فى المراجع الأساسية ، فاخترت مثلا موضع النزاع بين فرنسا وبريطانيا على استعمار الهند ، وقال الأستاذ عن هذا البحث : إنه أفضل بحث قرأه منذ أعوام ، وطلب منى أن يأخذه ليحتفظ به ، وكان هذا الأستاذ هو الدكتور أحمد عزت عبد الكريم . وفى التاريخ الإسلامى كنت أحصل دائما على تقدير « ممتاز » . وكانت اللغة اللاتينية صعبة ولا تفيد فى دراستنا ، ولكنى أخذتها كنوع من تدريب الإرادة فتفوقت فيها أيضا .

يقول البابا :

إننى أدين بالفضل لأساتذتى فى كلية الآداب لأنهم علمونى أصول التفكير العلمى .

ويقول زملاء الدراسة عنه : إنه فى هذه الفترة عرفه زملاؤه على أنه صديق الجميع . من يجلس معه يرتحْ فى الحديث معه والإفضاء إليه بما لديه من مشاكل ، فيتعاطف معهم ، ويستمع بصبر ، ويفكر معهم فى مشاكلهم ، ويساعدهم على أن يجدوا حلولا واقعية لها .. وبدأت الشخصية « الكارزمية » تظهر مبكرا .

□□□

يقول البابا :

وحين جاء وقت الخدمة العسكرية التحقت بكلية ضباط الاحتياط .. قبلها كنت قد التحقت بالقوات المسلحة فى التدريب العسكرى متطوعا

لمدة ثلاث سنوات . وكنت أول الخريجين من ضباط مدرسة المشاة سنة ١٩٤٧ . وكان قائد الجيش الاحتياطى القائمقام محمد بك بهجت ، وكان رئيس مدرسة المشاة ضابطا يدعى الارناؤوطى ، وفى شهر رمضان كنت أنا الذى أشرف على إعداد الإفطار والسحور للطلبة المسلمين . ومن الذين كانوا تحت قيادته فى هذه الفترة الأستاذ محمد سعيد زايد المشرف على البرامج العسكرية فى الإذاعة ، وحين يتذكر أيامه مع الضابط نظير جيد يقول : إنه لا ينسى كيف كان يؤجل طعام العشاء الخاص به لكى يتناول السحور مع جنوده ، وكيف كان يهتم بزيادة الوجبات فى شهر رمضان ويحتفل به معهم .. ! وأنا الذى كنت أوقظهم فى السحور . وقد أفادتنى الحياة العسكرية فى تعلم معانى : الجدية ، والنظام ، والالتزام . وأذكر أن الطلبة احتجوا يوما على بعض الأمور فجاء محمد بك بهجت وقال لهم كلاما قاسيا ، ثم كان لابد أن يتكلم أحد الضباط المحتجين ليعرض مطالبهم فاختارونى للقيام بهذه المهمة ، وبدأت كلمتى بأن قلت : إن أعظم ما تعلمناه فى العسكرية هو الطاعة وبدونها لا يكون الجيش جيشا ، فانبسطت أسارير محمد بك بهجت وهز رأسه وقال : تمام .. تمام ..وانتاب زملائى ذهول وحسبوا أنى تخليت عنهم .. وقال لى محمد بك بهجت :

– أكمل يا بنى ..

وأكملت فقلت :

– يا سعادة القائد ، لا جيش دون طاعة ، ولذلك من الغريب أن يصدر جلالة الملك أمرًا للجيش فلا تطيعونه ولا تنفذونه .

وظهر الغضب على محمد بك بهجت وقال :

– ماذا تقول .. ؟

– قلت :

– لقد صدر مرسوم ملكى بحقوقنا ولم ينفذ .

ولم يقل محمد بك بهجت كلمة ، وانتهى الموقف ، ونفذ مطالبنا لأنها كانت عادلة .. تنفيذ مرسوم ملكى صدر ولم ينفذ ..

فى هذه السنة تخرجت بترتيب « الأول » وأصبحت أحمل رتبة « ملازم » .

وفى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ شارك نظير جيد كضابط مقاتل .. وعاش فى الخنادق مع الضباط والجنود .. وواجه العصابات الإسرائيلية : أراجون والهاجاناه وغيرهما وعرف الكثير عنها ودرس الأسلوب الإسرائيلى فى القتال وطريقة الإسرائيليين فى التفكير .. كما عاش كضابط فى الحرب تجربة سقوط الزملاء شهداء دون أن تفرق قنابل العدو بين مسلم وقبطى ، وحين تسيل الدماء وتتناثر الأشلاء لا تعرف أين المسلم وأين القبطى .

قبل ذلك بدأ الجميع يلاحظون أن نظير يقضى إجازات الصيف فى أحد الأديرة ، ويقول لمن يسأله : إنه يجد الراحة فى الخلوة الروحية والتأمل واكتشاف الذات . وعندما كان فى السنة الثالثة بكلية الآداب التحق بالكلية الاكليريكية فى القسم الليلى الذى كان يدرس فيه الطلبة وخريجو الجامعات . وبعد حصوله على الليسانس من كلية الآداب سنة ١٩٤٧ اشتغل بالتدريس . عمل مدرسا للغة العربية فى مدرسة انجليزية لطلبة السنة النهائية من المرحلة

الثانوية ، وفى الوقت نفسه كان يعلم اللغة الانجليزية لتلاميذ مدرسة ابتدائية ، ثم التحق بوظيفة مدرس فى وزارة التربية والتعليم فى إحدى مدارس بنها . ليؤكد أنه يستطيع أن يجمع بين الوظيفتين ، ولكنه بعد فترة اكتشف فى نفسه شعورا عبَّر عنه بقوله : « نحن نعطى الله فضلات القلب والوقت ، والله يريد الوقت كله .. والقلب كله »

❑❑❑

تفرغ نظير جيد للخدمة فى بيت مدارس الأحد بالجيزة ، والإشراف على الملجأ التابع لمدارس الأحد أيضا ، وكان مشهورا عنه فى هذه الفترة أنه عدو لشيطان اسمه « شيطان الرصيد » . كان يقول دائما : إن الناس يحرصون على الاكتناز ، ويريدون تكوين « رصيد » ويفرحون كلما ازداد هذا الرصيد ، بينما هذا الرصيد شيطان ، لأنه يمنع المال والخير عن مستحقيه ، ويحرم المحتاجين لا لشىء إلا لكى يكدس الذين يملكون المزيد والمزيد .. ولو أن كل إنسان أعطى للفقراء والمحتاجين فلن يحتاج أبدًا ، لأنه سيجد من يعطيه إذا احتاج ، وبذلك يكون الرصيد الحقيقى هو ما أنفقه وليس ما اكتنزه ، وكل قرش ينفق فى الخير مثل الحبة التى تلقى فى الأرض الخصبة ، أرض الله ، فتأتى بحصاد كثير .. أكثر آلاف المرات مما لو أضيفت إلى « الرصيد » .

وبدأ شقيقاه يلاحظان بعد ذلك أن سلوك شقيقهما يتغير تدريجا .. بدأ يقتصد فى طعامه ، ويتخلى عن الزينة والملابس الأنيقة ، ويقرأ كثيرا فى الكتب الدينية ، وكان الجميع يعيشون معا .. الأخ الأكبر روفائيل وزوجته وأولاده ، والأخ الثانى شوقى وزوجته ، ونظير .. ويقول عن

هذه الفترة : « كان يذهب كل واحد إلى خاصته .. أما أنا فأذهب إلى حجرتى التى كانت أشبه بالقـلاية (الخلـوة التى يعيش فيهـا الرهبـان) » .

ودخل الأخ شوقى فى سلك الكنيسة وأصبح « القمص بطرس جيد » .

أما نظير جيد فإنه ولنشاطه الملحوظ فى مجالات عديدة أصبح سكرتيرا للجنة الدائمة لمدارس الأحد ، ورئيس تحرير مجلة مدارس الأحد .

وكما ينفجر البركان فجأة .. وفى لحظة خاطفة مثل البرق .. أو كما يحدث الزلزال دون مقدمات .. جاء صباح حمل فيه نظير جيد حقيبته وكتبه وخرج من البيت إلى الدير .. وكان ذلك يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٤٥ .

وعرف أشقاؤه أنه لن يرجع إلى دنياهم أبدا ..

٢ أنطونيوس .. الراهب

الراهب حين يدخل سلك الرهبنة يُطَلِّق العالم ، يموت ويحمل أكفانه ، لكى يولد من جديد إنسانًا آخر ، وكذلك البابا شنودة .

عاش فى دير السريان فى صحراء وادى النطرون .

وأصبح اسمه « الراهب انطونيوس » .

وظل الجميع ينتظرون منه خطابا ..

بعد شهور جاءهم أول خطاب من أربع صفحات ..

بعد شهور أخرى جاء الخطاب الثانى من ثلاث صفحات ..

ثم جاء الخطاب الثالث من صفحة واحدة ..

ثم جاء خطاب أخير من سطور قليلة يعتذر فيها عن عدم الكتابة بعد ذلك وختمها بعبارة لشقيقه شوقى « .. إن لقاءنا أرجو أن يكون فى السماء .. » .

وهكذا انقطعت رسائله . ثم انقطع عن لقاء أقاربه حين يزورونه فى الدير ، وبعد فترة قصيرة جاءت الأخبار بأنه حمل كتبه وزاده القليل .. وذهب إلى مغارة تبعد عن الدير خمسة كيلومترات ، وانقطع فيها عن حياة الناس ، وتفرغ للوحدة ، والتأمل الروحى . وظل فى هذه المغارة

٦ سنوات تقريبا ، لا يتحدث فيها إلى انسان . إلا حين يأتى إليه كل أسبوع أو أسبوعين مندوب من الدير يحمل قليلا من الطعام والماء وكثيرا من الكتب .

ويقول البابا شنودة : إن هذه كانت أجمل سنوات حياتى وأكثرها خصوبة وإحساسا بالطمأنينة والراحة النفسية .. وخلال سنوات العزلة هذه قرأت كل الكتب التى أردت قراءتها ، ولكن أسقف الدير طلب إلىَّ العودة لكى أتولى النشاط الثقافى والإشراف على المكتبة وتنظيم المخطوطات التاريخية فى الدير .

وانشغل بحياة الدير إلى حد أنه لم يعد يريد أن يرى أحدًا من دنيا الناس خارج الدير ، حتى أن شقيقه شوقى فكر مرة فى أن يزوره ، واحتال على ذلك بأن اشترك فى رحلة مع مجموعة كبيرة ، وعند بوابة الدير المغلقة ظهر أن الرحلة لم تحصل على تصريح بالزيارة ،وتصور المشرف على الرحلة أن وجود شقيق واحد من رهبان الدير سيكون شفيعا لهم ، فلما سمع الراهب انطونيوس بما حدث دخل القلاية « الخلوة » وأغلق بابها ، ولم يره أحد ..

يقول البابا شنودة : كنت أتمنى أن أبقى فى الدير ولا أخرج منه أبدًا .

وأصبح الراهب أنطونيوس قسيسا سنة ١٩٥٥ ، ثم نال رتبة « القمص » سنة ١٩٥٦ ، ثم اختاره البابا كيرلس السادس سكرتيرا خاصا وممثلا له فى لجان المجمع المقدس ، ولكنه رجع إلى الدير مرة أخرى للوحدة والتأمل الروحى والقراءة ، وكان من مهامه استقبال الرحلات القادمة إلى الدير وإلقاء موعظة .

بعد فترة طلبه البابا كيرلس السادس ليعرض عليه أن يصبح أسقفا على الكلية الإكليريكية ، ولكنه رفض وقال للبابا : أنا لا أستحق .. أريد أن

أعيش فى البرية التى وهبت نفسى لها .. واستمرت المناقشة ساعتين ولم تفلح المحاولات لإقناعه بترك الدير والعودة إلى القاهرة ..

والغريب أن البابا كيرلس السادس كان مصمما على أن يجعله أسقف الإكليريكية رغم أنفه . فطلب من أسقف الدير أن يصحبه لأخذ البركة من سيدنا البابا قبل أن يعود إلى الدير . وبعد أداء الصلاة انحنى الراهب انطونيوس على يد البابا ليقبلها ففوجئ بالبابا يضع يده على رأسه هو وأسقف الدير وقال له : « رسمتك يا شنودة أسقفا على الإكليريكية .. » .

وهكذا أصبح الراهب انطونيوس الأسقف شنودة رغم أنفه .

يقول الذين حضروا هذا المشهد : إن القمص انطونيوس الذى أصبح الأنبا شنودة بكى فى هذه اللحظة بكاء شديدا ويبدو أنه فكر فى الهرب ، حتى أن البابا كيرلس السادس قال له : لا تغادر المكان حتى الرسامة .. وكان هذا أمرًا لا يعصى .. فلم يستطع « الأنبا شنودة » أن يغادر المكان ، واستسلم للأمر الواقع .. وهكذا حدث التحول الكبير فى حياته دون أن يطلبه أو حتى يفكر فيه .

وكان ذلك فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ حين أصبح الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية ومسئولا عن الكلية الإكليريكية .

وفى عهده تضاعف عدد الطلبة فى هذه الكلية من ١٠٠ إلى ٢٧٠ طالبا ، وفى القسم الليلى من ٣٠ إلى ٣٠٠ ، وأحدث انقلابا فى نظام الكلية حين سمح للفتيات بالالتحاق بها فى القسم الليلى ، وخاض معركة من أجل تعليم الفتيات ، ثم خاض معركة أخرى حين فتح أبواب الكلية الإكليريكية لكل من يريد حضور المحاضرات بعد أن كانت للطلبة فقط ،

واكتشف الجمهور جاذبية محاضرات الأنبا شنودة فبدأ عدد الحاضرين يزداد حتى ضاقت بهم مدرجات الكلية ، فنقل محاضراته إلى الكاتدرائية ، وكانت محاضراته جديدة .. فيها معلومات كثيرة وإيجاز فى العبارة وبساطة فى التعبير لتناسب جميع المستويات ، ويبدو أن طبيعته وخبرته الطويلة فى التدريس وموهبته فى التعبير قد ساعدته على ذلك .

وتغير الحال ..

الشاب الذى كان يحب العزلة الكاملة أصبح وسط الناس . والراهب الهادئ الصامت أصبح مسئولا عن التعليم والوعظ والحديث فى كل الوقت ، وأصبح كما قال عنه أحد المعلقين « يجمع بين سمات الفلاح المصرى الأصيل وعقل الفيلسوف .. ويجمع بين الزهد والقيادة .. وبين الرهبنة ومتابعة التطورات الحضارية فى العالم .. وبين التواضع والجرأة ..فهو أول من قال : إن المسيحيين المصريين عرب ولابد من تأكيد عروبة المسيحية الشرقية .

ورغم ذلك لم تنقطع رحلة الرهبنة الهادئة للراهب أنطونيوس ، بل استمرت حتى بعد أن أصبح البابا شنودة ، فما يزال يقضى ثلاثة أيام على الأقل أسبوعيا فى دير الأنبا بشوى .. يخلو فيه إلى نفسه ويقضى فى مكتبته الهادئة ساعات طويلة . فهو يعتبر هذا الدير بيته الحقيقى ويشعر فيه بالحرية الروحية والراحة الكاملة وبالتحرر من دنيا الناس ليخلو إلى دنيا الله .

ويتولى البابا شنودة بنفسه رئاسة هذا الدير .. وهو المكان المفضل لديه ليعقد فيه لقاءاته المهمة مع الكهنة ومع أعضاء مجلس الكنائس العالمى ، وفيه يقيم الاحتفال السنوى بذكرى تنصيبه بطريركًا للأقباط الأرثوذكس .

فما هى قصة هذا الدير ؟

دير الأنبا بشوى هذا من أشهر الأديرة فى وادى النطرون .. ووادى النطرون فيه أربعة أديرة .. تاريخ هذا الدير يرجع إلى القرن الرابع الميلادى .. أنشأه الأنبا بشوى وكان تلميذا للقديس مكاريوس أحد زعماء النسك فى الوادى .. كان الأنبا بشوى مشهورا بشدة ورعه وتقواه ، وقد وهب شبابه للتعبد وأصبح ناسكا ذائع الصيت ، والتف حول صومعته كثير من التلاميذ شغفوا بحياة الرهبنة ..

ويحدّثنا البابا شنودة عن هذا الدير قائلاً :

إن هذا الدير هو مكانى المفضل ، هنا أتفرغ للصلاة والعبادة والتأمل وأخلو إلى نفسى ، ولذلك فإننى أحرص على أن أقضى فيه ثلاثة أيام على الأقل كل أسبوع ، واضطر للذهاب إلى القاهرة اضطرارًا .. والوقت الذى أقضيه فى القاهرة أعتبره وقتا ضائعا .. مقابلات ، وتليفونات ، كلام .. كل ذلك يشغلنى ويبعدنى عن الجو الطبيعى الذى ألفته وأحببته هنا .. ولذلك عندما قرر الرئيس السادات تشكيل لجنة للقيام بعمل البابا ، وأصدر قرارا بعزلى اعتبرتها فرصتى التى كثيرا ما دعوت الله أن يتيحها لى ، فعكفت فى الدير استمتع بالوحدة والعبادة خصوصا وقد قضيت شهورا غير مسموح بأن يزورنى أحد من خارج الدير .. ولدى يقين لا يهتز بأن كل محنة تمر بالإنسان هى فى الحقيقة منحة من الله .. فقط إذا تأملها الإنسان جيدا ، فهى كالعملة ، تنظر إلى وجه فتراها شرا ، ولكن إذا أعطاك الله البصيرة فسوف تراها خيرا .. والعاقل يمكنه أن يستمتع ويستفيد من كل أزمة أو محنة تمر به ..

لحظة صمت .. اعتدنا على الصمت من قداسة البابا ، كما اعتدنا على التدفق والنبرة الهادئة فى حديثه ..

بدأ الحديث عن دير الأنبا بشوى ..

– كان هذا الدير صغيرا ومحدودا .. كان فيه ٦ من الرهبان فقط من كبار السن يحتاجون إلى من يرعاهم .. وكان الدير يملك ١٠٦ فدادين ، وكانت حديقة الدير عبارة عن فدان واحد فقط ، وكان فى الدير حمار واحد لشراء طلبات الدير ، وحين بدأ البابا شنودة الإشراف على تعمير هذا الدير الأثرى عام ١٩٧٢ بدأ بإنشاء بيت للخلوة خصص لإقامة الكهنة الجدد الذين يمكثون فترة الخلوة الروحية الأولى وهى أربعون يوما بالدير ، واستقبال الشبان الذين يريدون قضاء فترة روحية فى الدير ، وكان أول من اختاره البابا مشرفا لهذا البيت هو القس أرسانيوس الذى أصبح بعد ذلك الأنبا تادرس أسقف بورسعيد ، وكان يعمل مهندسا فى أمريكا ، ولكنه فضل حياة الرهبنة ، وترهب بالدير فاختاره البابا للإشراف الروحى والإدارى لهذا المبنى .

بعد ذلك أنشأ البابا شنودة فى الدير مبنى جديدا للضيافة من أربعة أدوار ، الدور الأول صالة كبيرة لاستقبال كبار الزوار ، وبجوارها صالة أخرى لضيوف الدير ، والدور العلوى مكتبة كبيرة وصيدلية خاصة بالدير ، أما الدور : الثالث فهو حجرات للضيافة والمبيت وملحق به مطبخ وحجرة للطعام ، والدور الرابع مخصص لسكن أسقف الدير . وفى أعلى المبنى صهريج كبير للمياه لتغذية الدير كله ، ومنارة عالية عليها صليب كبير يضاء ليلا ، وجرس ضخم .

وحين دخلت « قلاية راهب » وجدتها من حجرتين ودورة مياه وصالة صغيرة للاستقبال .. الحجرة الداخلية تسمى « محبسة » وفيها يختلى الراهب

للصلاة والتأمل الروحى ، ونوافذ القلاية والمحبسة فى اتجاه بحرى قبلى لتكون مناسبة للتهوية فى الشتاء والصيف .

ويذكر للبابا شنودة أنه ضاعف أملاك الدير ، فاشترى ٣٠٠ فدان ضمت للدير ، وأكمل بناء السور المحيط بكل مساحة الدير ، وبه سبع بوابات كبيرة ، ولها منارات يعلو كل منها الصليب ، وجدد البابا الكنيسة الأثرية داخل الدير ، وكلف بذلك الفنان الدكتور ايزاك فانوس برسم أيقونات على الحائط الشرقى للكنيسة ، ومزرعة الدير أنشأها البابا شنودة على مائة فدان اشتراها عند الكيلو ١١٠ فى الطريق الصحراوى القاهرة – اسكندرية وتربى فيها الطيور والأبقار ، وفى المزرعة مجموعات من القلالى للرهبان وكنيسة ومعمل البان واستراحة ..

فى دير الأنبا بشوى أيضا مقر خاص يقيم فيه البابا وبجواره كنيسة ..

فى الدير أيضا مبنى كبير للمؤتمرات التى يحضرها رؤساء الكنائس ، ويضم هذا المبنى مساكن تكفى لكل رؤساء الكنائس ، وقاعة محاضرات كبيرة ، ومبنى للطعام ، وكنيسة خاصة يصلى فيها رؤساء الكنائس ، والقاعات مجهزة بأجهزة الترجمة الفورية والتسجيل ومكبرات الصوت .

فى الدير مولدات للكهرباء تكفى للإضاءة وإدارة الأجهزة وطلمبات المياه وورشة النجارة الكهربائية ..

وخارج الدير مبنى ضيافة للسيدات . وثلاثة مبانى ضيافة للرجال ، ومبنى لإقامة العمال الذين يعملون في الدير .

وداخل الدير ورشة نجارة مجهزة بأدوات حديثة لصناعة كل الأثاثات اللازمة للدير ولغيره من الأديرة والكنائس من المقاعد والمقصورات الخشبية والأبواب وغيرها ..

وفيه أيضا متحف يضم قطعا أثرية منذ مئات السنين .

وملحق بالدير محطة غسيل وتشحيم وتموين سيارات الدير وسيارات الزائرين .

ومخبز حديث يعمل بالكهرباء .

وورشة لإصلاح السيارات والمعدات الميكانيكية .

ومركز للسمعيات والبصريات وطباعة شرائط الفيديو والكاسيت .

ومعرض لبيع منتجات الدير من إنتاج الورشة والمزرعة ومشروبات مثلجة .

وحجرات للكشف الطبى مجهزة بأدوات طبية حديثة ويعمل فيها أطباء زائرون متطوعون .

قال قداسة البابا :

– كان هذا الدير على وشك الضياع من كل ناحية ، حتى أن رئيسه السابق أعلن فى سنة ١٩٦١ عجزه التام عن إدارته والصرف عليه ، وشكا الرهبان إلى البابا كيرلس السادس أنهم لا يجدون القوت الضرورى ، فأحيل الدير إلى رئيس دير السريان للصرف عليه ، فأنفق عليه وسدد ديونه ، ولكن إتماما للتعمير بقينا منتظرين معونة من فوق .. وخلال الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٩ تمت سيامة ٩٢ راهبا للدير

مكتبة الدير أصبح فيها ٢٠ ألف كتاب .

وفى كل سنة يقام حفل كبير فى الدير يوم ١٨ يوليو وهو تاريخ رهبنة البابا شنودة ، ويحضر هذا الحفل جميع المطارنة والأساقفة فى كل الأديرة وأعضاء المجلس الملى وهيئة الأوقاف وعدد كبير من الشخصيات القبطية .

وفى ١٤ نوفمبر كل سنة يقام حفل أكبر يحضره الآلاف .. فهذا هو عيد تنصيب البابا .

وهكذا .. الدير عالم واسع .. أكبر مما يتصور من ينظر إليه من الخارج ..

٣ البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة القبطية

قصة اختيار البابا شنودة تستحق أن تروى وتسجل بتفاصيلها .. لأنها كانت قصة مثيرة ..

ومكانة البابا ، أو البطريرك ، عند الأقباط ، مكانة تفوق الوصف ، فهو صاحب قداسة ، وهو ذو « الفم الذهبى » الذى ينطق بكلمات مثل الذهب الخالص ، وهو الرئيس الأعلى للكهنوت بدرجاته العديدة ، وله « الأبوة العليا » والسيادة فى كنيسة الله المقدسة ، الكل فى طاعته ، والكل تحت رقابته ، له السلطان أن يدين الخطاة ، وله السلطان أن يحكم باسم الله وهو الرقيب الأعلى ، وهو الربان الأعلى ، وهو المعلم الأعلى ، فالبابا رئيس الأساقفة ، له قدر من الكرامة يفوق الجميع .

وفى طقوس تتويج البابا ، حين يوضع التاج البابوى على هامته ساعة تنصيبه ، يخلع المطارنة والأساقفة تيجانهم اعترافا بسيادته عليهم جميعا وأنهم فى طاعته .

ويوم صعد البابا إلى المذبح ليتسلم الصليب وعصا الرعاية كان كبير الأساقفة يردد : تسلم عصا الرعاية من يد راعى الرعاة الأعظم يسوع المسيح لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم لتحييه ، فقد ائتمنك على نفوس الرعية .

ثم دقت الأجراس وارتفعت الصلوات أن يمنحه الله النعمة والحكمة ، وليشرق الله عليه بنور وجهه لكى يضىء قلبه بينبوع مجد الله ، فيعرف الأسرار الإلهية ، وليفيض عليه مواهب الروح القدس .

وارتفعت أصوات الدعاء : اللهم ألبسه حلة مجدك المقدسة ، وضع على رأسه تاجا وامسحه بدهن الفرح ، ليرفع القرابين عن جهالات شعبك ، وينتشلهم من فخاخ الخطيئة ، ويردهم إلى حظيرتك المقدسة .. اللهم امنحه روح قدسك ليحل كل وثاق ربطه العدو بالخطيئة .

وقرأ البابا الإنجيل وردد : « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .. أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى .. وأنا أضع نفسى عن خرافى .. ولى خراف أُخَرى ليست فى هذه الحظيرة ، ينبغى أن آتى بها أيضا ، فتسمع صوتى ، وتكون رعية واحدة لراع واحد .

هذا هو البابا ..

وهو أكثر من ذلك ..

فى صلوات الكنيسة يرددون فى القداس الإلهى : اذكر يارب رئيس كهنتنا البابا البطريرك ، وحفظا احفظه سالما يارب لنا سنين عديدة وأزمنة ، مكملا رئاسة الكهنوت المقدسة التى ائتمنه عليها من عندك كإرادتك المقدسة ، صلوا من أجل رئيس كهنتنا البابا .. بابا ورئيس أساقفة المدينة العظمى الاسكندرية ..

وفى صلوات أسبوع الآلام يتضرعون : من أجل حفظنا تحت اليد العالية المقدسة التى لك ، نطلب إليك أن تبقى لنا وعلينا حياة أبينا المكرم البابا البطريرك .

وهكذا فى كل صلاة .. تصلى الكنيسة للبابا البطريرك من أجل « وضعه الإلهى » .. وحين يسافر تقام الصلوات « لكى يحيطه إلهنا بملاك السلامة

وينعم لنا بقدومه بكل فرح » .. وفى الألحان : « إله السماء يخضع أعداءه جميعا » .. هذا هو البابا البطريرك .. وأكثر من هذا ..

للبابا ألقاب فى الطقس الكنسى تفوق الحصر ..

فهو بابا وبطريرك وسيد ورئيس أساقفة المدينة العظمى الاسكندرية .

وهو المثلث الطوباوى .. أب الآباء .. راعى الرعاة .. رئيس رؤساء الكهنة .. خليفة القديس مار مرقس .. حبيب المسيح ..

وهو الطوباوى الأقدس ، الكلى الإكرام ، أبونا ، ومولانا ، وسيدنا ، بابا وبطريرك المدينة العظمى الاسكندرية وليبيا والخمس مدن وأثيوبيا وأفريقيا وآسيا وبلاد المهجر .

وهو ثالث عشر الحواريين (الرسل) .

وهو قاضى المسكونة .

وهو المكرم ذو الذكر الحسن ، الراعى المحب للإله ، ذو الفهم الداودى (أى له فطنة النبى داود) ، والتعاليم الصالحة ، وذو حكمة سليمان .

وهو النائل نعمة موسى ، وكهنوت ملكى صادق ، وشيخوخة يعقوب ، وطول عمر متوشالح ، والفهم المختار لدواد ، وحكمة سليمان ، والروح الذى حل على الرسل .

وهو المدبر الثابت . السراج المنير . منادى الأرثوذكسية . معلم القطيع . الناطق للمسيح .

هذه هى مكانة البابا ، وموقعه .

وهكذا يتردد ذكره والدعاء له فى الصلوات فى الكنائس والأديرة واللقاءات الدينية ، وفى الألحان والتراتيل ، وعلى ألسنة الأساقفة والمطارنة والشمامسة والشعب .

❑❑❑

وفى يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١ صدرت وثيقة تقليده بعد أن وقَّع عليها جميع أعضاء المجمع المقدس ، كما وقَّع عليها بطريرك السريان الأرثوذكس ، وبطريرك الأرمن الأرثوذكس وجاء فيها :

« نعلن لشعوب المسكونة كلها ، ولشعب الكرازة المرقسية واكليروسها ، ورهبانها ، فى جمهورية مصر العربية ، ومدينة أورشليم القدس ، والامبراطورية الأثيوبية ، وجمهورية السودان ، والنوبة ، وبلاد أوغندا ، وكينيا ، وجنوب أفريقيا ، وأقاليم شمال أفريقيا ، والمملكة الأردنية ، وكل بلاد فلسطين ، ولبنان ، والكويت ، وقارات آسيا وأوربا ، وأمريكا الشمالية ، واستراليا .. أنه فى هذا اليوم المبارك قد تمت بنعمة الله ترقية الحبر الجليل ، والأسقف الطوباوى المكرم ، والأب المجمل بالفضائل الروحانية ، والسيرة الطاهرة النقية ، والعالم بحقائق الديانة المسيحية والتعاليم الأرثوذكسية وجميع الطقوس الكنسية وعلوم الشريعة المسيحية نيافة الأنبا شنودة ، وهو أسقف الكلية الاكليريكية والمعاهد الدينية والتربية الكنسية ، وتجليسه على كرسى البطريركية .. وقد صار بهذه الترقية الكنسية يحمل لقب البابا شنودة الثالث وكل أقاليم الكرازة المرقسية المائة والسابع عشر فى سلسلة خلفاء القديس مرقس الرسول ، فقد استجاب الله صلواتنا ، وقبل دموعنا وتذللنا أمامه ، ولم يشأ أن يتركنا طويلا يتامى بعد انتقال أبينا الحبيب المثلث الطوباوى والرحمات ، جزيل الوقار والكرامة البابا كيرلس السادس إلى عالم البقاء والخلود فى صباح الثلاثاء التاسع من شهر مارس عام ١٩٧١ .. » .

وبهذه الوثيقة أصبح البابا شنودة الحبر الأعظم على الحل والربط والتشريع والتقنين والرعاية والتدبير ، وعلى تدشين وسيامة درجات الكهنوت من بطاركة ومطارنة وأساقفة ، وتدشين الكنائس وعلى المؤمنين أن يحبوا باباهم ويهابوه ويحترموه ويكرموه ويخضعوا له كما فى الإنجيل : « أطيعوا مدبريكم ، واخضعوا لهم » وكما قال المسيح لرسله : « من أطاعكم فقد أطاعنى ، ومن احتقركم فقد احتقرنى » .

❑❑❑

كيف أصبح البابا شنودة البابا رقم ١١٧ فى تاريخ الكنيسة المصرية .. ؟

القصة بدأت – كما يقول البابا – بعد انتقال البابا كيرلس السادس ، اجتمع المجمع المقدس لانتخاب قائمقام بطريركى ليدير شئون الكنيسة . فتم اختيار الأنبا انطونيوس مطران سوهاج وسكرتير المجمع المقدس ، فبدأ فى عقد اجتماعات للمجمع المقدس للتفكير فى طريقة انتخاب البطريرك الجديد ، فساد فى المجمع المقدس رأيان :

الرأى الأول أن يتفق الجميع على مرشح واحد .

والرأى الثانى هو إجراء انتخابات حسب لائحة انتخاب البطريرك الموضوعة سنة ١٩٥٧ والتى تم بها انتخاب البابا الراحل .

وبدأ المجمع المقدس اتباع الرأى الأول اختصارا للوقت الذى تستغرقه الانتخابات ، وعُمِل اقتراع سرى بين أعضاء المجمع ، وتمت تصفية عدد المرشحين ، وأجريت انتخابات سرية بين الأعضاء ، وجاءت نتيجة الانتخابات الأولية حصول الأنبا شنودة أسقف التعليم على أعلى الأصوات .

وبعد إعلان النتيجة اعترض بعض أعضاء المجمع المقدس على هذه الطريقة ؛ لأن بعض المرشحين الآخرين حصلوا على الأصوات القليلة ، فلم يصل المجمع إلى الإجماع .

وتقرر إجراء الانتخابات . وبدأت سلسلة اجتماعات ..

الاجتماع الأول ٢٢ مارس ١٩٧١ برئاسة القائمقام البطريركى وحضره أعضاء المجمع المقدس ، وأعضاء هيئة الأوقاف القبطية ، وأعضاء لجنة إدارة الأوقاف البطريركية ، وشكلت لجنة من المطارنة لدراسة الأسماء التى رشحها المجمع المقدس وهى ١٦ مرشحا ، واستبعدت اللجنة أربعة منهم واحد اسمه الأب كيرلس السريانى ولا يوجد راهب بهذا الاسم ، واثنان لا ينطبق عليهما أحد الشروط وهو ألا تقل مدة الرهبنة عن ١٥ سنة ، وواحد استبعدوه لأنه محب للوحدة ، وبقى بعد ذلك ١٢ مرشحا ، وأجرى أعضاء المجمع المقدس اقتراعا سريا فحصل ٥ على أعلى الأصوات كان الأنبا شنودة منهم .

وقرر المؤتمر أن يتم اختيار البابا طبقا لنصوص اللائحة بحذافيرها .

اجتمع المجمع المقدس يوم ٢٣ مارس واختار لجنة الترشيح من ٩ من المجمع المقدس و٩ من هيئة الأوقاف القبطية ولجنة إدارة أملاك البطريركية . وعقد اجتماع للجنة الترشيح يوم ٢٤ مارس وقررت فتح باب الترشيح يوم ٢٩ مارس .

أعلن الأنبا انطونيوس القائمقام البابوى اعتذاره عن عدم ترشيح نفسه « شعورا منى بقصورى عن النهوض بأعباء هذا الكرسى العظيم الذى ينوء كاهلى الضعيف بمسئولياته الضخمة » .

واللائحة تشترط فيمن يرشح للبابوية أن يكون مصريا من الرهبان الذين لم يسبق لهم الزواج سواء كان مطرانا أو أسقفا أو راهبا ، وأن يكون قد بلغ أربعين سنة وقضى فى الرهبنة ١٥ سنة على الأقل .

ومع ذلك ظهرت اعتراضات من أعضاء المجمع المقدس وممثلى الشعب فى نصوص لائحة انتخاب البطريرك .

كان من الاعتراضات مثلا : هل ينتخب البابا من الرهبان فقط ، أو من المطارنة والأساقفة والرهبان والعلمانيين الذين لم يتزوجوا ؟ ، وبدأ الانقسام بقرار المجلس الملى فى الاسكندرية بأن يكون البابا من الرهبان فقط ، وأيدت القرار جماعة الإصلاح القبطى بالاسكندرية ، وكذلك دار التحرير القبطية بشبرا ورأت عدم جواز ترشيح المطارنة والأساقفة .

فى المقابل صدرت نشرات تؤيد أن يكون المرشح برتبة أسقف عام . والأسقف العام فى هذه الدرجة ليعاون البابا ، وليست له كنيسة وشعب ، وكان هناك ثلاثة فقط برتبة أسقف عام ، هم الأنبا شنودة أسقف عام التعليم . والأنبا غريغوريوس أسقف عام البحث العلمى ، والأنبا صموئيل أسقف عام الخدمات .

وظهرت خلافات أخرى حول : هل تحسب مدة الرهبنة ١٥ سنة داخل الدير أو يدخل فيها سنوات العمل خارج الدير .. ؟

وخلافات حول العدد الذى يشارك فى الانتخابات .. هل يختار الشعب راعيه فيشارك أكبر عدد من الأقباط فى الاختيار أو يكتفى بأعضاء المجمع المقدس والأوقاف .. ؟

وعارض البعض فى إجراء القرعة الهيكلية ، لأنها لم تستعمل فى انتخاب البطاركة السابقين إلا ثلاث مرات فقط .. وأصر البعض على إجراء القرعة .

وعارض البعض فى الشروط الموضوعة لمن يرشح للبابوية ، وقالوا لابد

من وضع شروط جديدة تناسب القرن العشرين حيث زادت المسئولية ، وأصبحت درجة التعليم والثقافة مهمة ؛ لأن البابا عليه مقابلة الرؤساء وحضور المجامع ، ويجب أن يكون على هذا المستوى ..

وقال البعض : إن لائحة انتخاب البابا التى صدرت سنة ١٩٥٧ لم تعد ملائمة للعصر ويجب تغييرها ليكون اختيار البابا الجديد على أسس جديدة ولعصر جديد .

وظهرت مشكلة أكبر : لو أردنا تغيير اللائحة .. هل يجوز تغيير اللائحة عن طريق المجمع المقدس أو باشتراك الأوقاف والمجلس الملى أو بطرحها على جموع الأقباط لإبداء الرأى فيها ؟ .. وأهم من ذلك : هل يجوز تغيير اللائحة فى غياب البابا .. ؟

وقال فريق : إذا غيرنا اللائحة فى غياب البابا فسوف ينحاز البعض ويضع فيها شروطا تنطبق على مرشح بالذات ؛ وبذلك تكون اللائحة « تفصيل » .

وقال فريق ثان : لو انتظرنا إلى أن يعين البابا من الممكن ألا يغير اللائحة ، وفى وجوده لا يجرؤ أحد على إثارة هذه المسألة أمامه حرصا على شعوره .

وقال فريق ثالث : إن اللائحة تحتاج إلى تغيير شامل فى كل بنودها ، ومن المستحسن أن تتغير فى وجود البابا حتى لا تخضع للأهواء ، وتوضع للصالح العام وتحتاج فقط إلى بابا شجاع .. اختاروا البابا .. وصلوا إلى الله ليختار لنا الراعى الصالح الأمين الذى يرشده الله فى عمل لائحة تتناسب مع الكنيسة فى عصرها الحالى .

وانتصر هذا الرأى وسارت عملية الاختيار وفقا للائحة .. وحسمت الخلافات .

يوم ٢١ يونيو ٧١ أقفل باب الترشيح وكان عدد المرشحين ٩ قررت لجنة الترشيحات تصفيتهم إلى ٥ فقط ، ويوم ٢٩ أكتوبر ١٩٧١ أجريت انتخابات لاختيار ثلاثة من الخمسة ، واشترك فيها ٧٠٠ ناخب من المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة ووكلائها ووكلاء المطرانيات ، ووكلاء الشريعة بالمراكز والبنادر فى المحافظات ، وأعضاء المجلس الملى السابقين ، وأعضاء لجنة الأوقاف ، ولجنة إدارة البطريركية ، والوزراء السابقين ، والصحفيين ، و ١٢ من كل إبراشية .

وظهر رأى بإرجاء الانتخابات .

واجتمع المجمع المقدس ٥ ساعات لبحث الموضوع وقرر الاستمرار فى الانتخابات ..

وأجريت الانتخابات بحضور مندوب من وزارة الداخلية وكانت النتيجة :
حصل الأنبا صموئيل على ٤٤٠ صوتا .

وحصل الأنبا شنودة على ٤٣٣ صوتا .

وحصل القمص ثيماوس المقارى على ٣٠٦ أصوات .

وبقيت القرعة الهيكلية لتعلن اختيار الله ..

وفى يوم ٣١ أكتوبر ١٩٧١ السادسة صباحًا أقيمت « صلاة باكر » وفى السابعة صباحا حضر عدد من الأساقفة الصلاة ، وحضرها أيضا وفد من أثيوبيا ، وفى الثامنة صباحًا حضر قائمقام البطريرك وسجد أمام الهيكل

الرئيسى ، ودخل إلى الهيكل ليلبس ملابس القداس الرسمية ، وبدأت الصلوات ، وامتلأت الكنيسة بالمصلين وتجمعوا حول الكاتدرائية ، وفى الصف الأول جلس وزراء ورجال من السلك الدبلوماسى ، وجاءت اللحظة الحاسمة :

فى اللحظة الحاسمة وقف قائمقام البطريرك على المنصة ومعه صندوق من الفضة وقال للحاضرين : « بنعمة الله ستلقى القرعة اليوم لاختيار المنتخب من الرب ، وسأريكم الثلاث ورقات .. ورقة .. ورقة .. مختومة من الجانبين بختمى وختم رئيس لجنة الانتخاب .. الورقات بحجم واحد ومكتوبة بخط واحد . سأطبق كلّ ورقة أمامكم وألفها بشريط صغير ، وسأضع الثلاث ورقات فى العلبة الفضية وأقفلها أمامكم بالشمع الأحمر واختمها بخاتمى ..

وبعد أن تم كل ذلك قال للجميع :

« نحن شعب لنا نظرة العيون .. أما الله فهو يفحص القلوب .. ويختار ما يريد »

ثم قال :

« نصلى إليك يارب ونرفع قلوبنا فى هذا اليوم وصلوا معى لكى يعمل الرب ما فيه الخير ويختار لنا الراعى الصالح » .

ثم حمل الصندوق الفضى ووضعه على المذبح .

ورتّم المرتّلون .. وصلى أحد كهنة أثيوبيا باللغة الأمهرية .. ثم قرأ الأنبا أنطونيوس الإنجيل باللغة القبطية ، وفسره أحد الشمامسة باللغة العربية إلى

الآية : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت .. » .

وألقى قائمقام البطريرك كلمة .. « أن نكون يدا واحدة متكاتفين متحابين .. فلنصرخ قائلين : فلنختف يارب ولتظهر أنت وحدك » ..

وأحضر مطران أم درمان أربعة أطفال لا يتجاوز عمرهم ٥ سنوات وأدخلهم إلى الهيكل بعد أن سجدوا أمامه استعدادا للتناول عن الأسرار الإلهية المقدسة ..

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا ..

وانتهى القداس والتناول فى العاشرة والنصف .. وتقدم قائمقام البطريرك ليختار الطفل الذى سيسحب الورقة التى تحمل اسم البابا الجديد .. فنظر إلى فوق ومد يده فوقعت على الطفل أيمن منير ، وحمل القائمقام الصندوق الفضى ووقف على المنصة ورفع العلبة أمام المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب ، وحمل أحد الشمامسة الطفل أيمن إلى أعلى ، وعصبوا عينيه بشريط أحمر .

وبدأ الحاضرون يكتمون أنفاسهم ويصلون ..

وحرك القائمقام العلبة فى كل الاتجاهات لتختلط داخلها الأوراق ..

ثم بدأ يفتح الأختام والشريط ..

وقال للحاضرين : صلوا جميعا يارب ارحم .. كيرياليسون ..

ثم أخيرا الصلاة الربانية ..

وأمر الطفل أن يسحب ورقة من الصندوق .. أخذها القائمقام وفتحها

وأصوات ضربات القلوب تدوى من شدة الصمت .. وقرأ : نيافة الأنبا شنودة :

وفتح الورقتين الباقيتين وقرأهما ..

وانطلقت الأجراس ..

وهلل الحاضرون وأخذوا يطوفون حول الكاتدرائية ..

وكان الأنبا شنودة فى هذه اللحظات وحده فى الدير وليس لديه تليفون ، وقام أحد الأساقفة بالاتصال بتليفون باستراحة « الرست هاوس » وقال لمن رد عليه : أرجوك اذهب إلى الدير وأبلغ قداسة البابا شنودة ..

❑❑❑

ودفعنى جلال هذا الموقف أن أسأل قداسته عمّا فعله عندما أبلغوه ، فقال :

بكيت لأنى شعرت بالمسئولية العظيمة التى ستقع على كاهلى .

وسار موكبٌ يضم عشرات السيارات تتسابق : من يصل أولا ليستقبله البابا الجديد ؟

أما المجمع المقدس فقد عقد اجتماعا ووقع على المحضر الرسمى للقرعة الهيكلية ، ثم غادروا الكاتدرائية إلى الدير للقاء البابا الجديد وإبلاغه رسميا بنتيجة الاختيار الإلهى .

وصلى البابا شنودة صلاة الشكر فى كنيسة الدير مع الوفود التي حضرت .. ورتل الشمامسة ألحان الفرح ..

وتناول الجميع طعام الغداء فى الدير .

ووصلت إلى الدير رحلة تضم مئات من الرجال والسيدات .. وطلبوا من البابا الجديد أن يسافر معهم إلى القاهرة ليلتقى بشعبه قبل أن ينتقل الشعب إلى الدير ..

فى الخامسة مساء غادر الأنبا شنودة الدير ليصبح البابا رقم ١١٧ .

وجاء حفل التنصيب يوم الأحد ١٤ نوفمبر .

وأذيع الاحتفال بالراديو والتليفزيون على الهواء مباشرة .

ولبس الأنبا شنودة تاج البابوية وسط تراتيل المرتلين وتسلم الصليب وعصا الرعاية .. مع كلمات كبير الأساقفة : « تسلم عصا الرعاية – من يد راعى الرعاية الأعظم يسوع المسيح لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحيية ، فقد ائتمنك على نفوس رعيته ومن يديك يطلب دمها ..

فيقول المرتلون : اكسيوس – مستحق

وينطلق البخور ..

ثم يصعدون به إلى كرسى الرياسة ..

وفى مقدمة الحاضرين مندوب رئيس الجمهورية وحضر رئيس الوزراء بنفسه (الدكتور محمود فوزى) ورئيس مجلس الشعب (حافظ بدوى) .

ونائب رئيس الوزراء (الدكتور عبد القادر حاتم) ومندوب شيخ الأزهر .. وعدد كبير من الوزراء والمسئولين ..

ويقول البابا شنودة :

كان احتفال التنصيب يمثل وحدة شعب مصر .. لم يحضره الأقباط

وحدهم ولكن حضره المسلمون أيضًا ..فى كل مناسبة نحن والمسلمون معا لا نفترق ..

□□□

أحسست بتأثر قداسة البابا عند استعادته ذكرى تلك اللحظات الحاسمة ، فحاولتُ أن أخفف عنه .. سألته :

وماذا تعلمت من الحياة يا قداسة البابا .. ؟

قال : تعلمت أن أستفيد من كل خبرات الحياة .. من محبة المحبين ، وأيضا من عداوة الأعداء ، وتعلمت أن الحياة الحاضرة هى مجرد إعداد لحياة دائمة .. فلماذا لا نجعل حياتنا الدائمة سعيدة بالعمل الصالح .. وتعلمت أن كل ما أقوله أو أفعله يجب أن أحسب له ردود الفعل والنتائج أولا .. فعل الخير يجب أن يكون خيرا فى أهدافه .. وفى وسائله .. وأيضا فى نتائجه وردود أفعاله ..

وأسأل البابا شنودة عن لحظات لا ينساها فيقول :

هذه اللحظات كثيرة ..

نحن نعارض استيلاء إسرائيل على أراضى وحقوق الفلسطينيين ونرفض مخططها فى القدس ، ونرفض زيارة الأقباط للقدس إلاّ بعد تسوية وضعها بما يرضى جميع الأطراف بما فيها الفلسطينيون ..

ونحن نشارك فى كل المناسبات الوطنية .. ولا أنسى لحظة شاركت فى عودة مدينة العريش يوم ٢٦ مايو ١٩٧٩ ، أو لحظة رفع العلم المصرى على طابا فى ١٩ مارس ١٩٨٩ ، أو لحظة استقبال الرئيس مبارك بعد نجاته من محاولة الاعتداء الآثمة فى أديس ابابا يوم ٢٥ يونيو ١٩٩٥ ، أو

زيارتى لجبهة القتال يوم ٢٤ مارس ١٩٧٤ بعد انتهاء القتال ولقائى مع الجنود والضباط .. ولا تنس أننى كنت ضابطا فى القوات المسلحة بسلاح المشاة سنة ١٩٤٧ وهذه الفترة أثرت فى تأثيرا كبيرا ..

❑❑❑

وماذا عن الصمت فى فلسفة قداستك .. ؟

يجيب قداسة البابا ..

ليس كل صمت فضيلة ، ولا كل كلام خطيئة ، كلا بالطبع ، إن الصمت حالة سلبية ،بينما الكلام حالة إيجابية ، وإنما يدرب الناس أنفسهم على الصمت حتى يتدربوا على الكلام النافع ، الصمت إذن هو وضع وقائى ، والمهم أن نحسن الصمت ونحسن الكلام ، فأحيانا ندان ونندم على الصمت ، وأحيانًا أخرى ندان ونندم على الكلام ، ذلك أن لكليهما وظيفة يصبح خلالها الصمت نوعا من الكلام .. »

وليس كل ما يصل إلى أذنيك صدقا خالصا ، فلا تتحمس بسرعة لكل ما تسمع ولا لكل ما تقرأ ، بل تحقق أولا ، وأعرف أن كثيرا من الكلام يقطع رحلة طويلة قبل أن يصل إلى أذنيك » .

وهكذا يحدد البابا شنودة فلسفته فى الحياة وأسلوبه فى التفكير والتعامل مع الناس .

ويضيف إلى ذلك : أن المسيح يقول « إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجبا الحكم » . أى أن الغضب يتساوى مع القتل ، فالإنسان الغضوب لا يقبل الله صلاته وقربانه ، وكما قال القديسون « إن الذى يصوم عن الغذاء ولا يصوم قلبه عن الغضب والحقد ويصوم لسانه عن الباطل .. فصومه باطل . ويردد البابا قول أحد القديسين :

« احذر الغضب لأنه يظلم العقل .. إن الغضب أبو الجنون » .

ويضيف البابا شنودة :

إن الغضب يقتل الفكر ، لأنه يذبح الحوار ، ويقتل الموضوعية ، وبغيرهما لا يصل العقل إلى درجة السمو التى تليق به ..

ويضيف قداسة البابا ..

.. قبل أن تحكموا .. وقبل أن تغضبوا .. ابحثوا عن الحقيقة .. والبحث عن الحقيقة يتطلب التواضع بالانصات إلى الآخرين والحوار معهم .. احذروا الغضب الباطل .. فهو انغلاق على الذات .. وتوهم اكتمالها واكتمال معرفتها واكتمال صوابها .

إن المسيح يقول : « لا تدينوا لكيلا تدانوا » .. فليس لإنسان أن يغتصب منصة القضاء ويحكم على غيره بالإدانة .

ويقول لأبنائه ..

احذروا ما وقع فيه الآخرون فى العصور الأوربية حين أقاموا « محاكم التفتيش عن الضمير » .

واحذروا الإدانة بالفكر واللسان .. احذروا الغيبة والتشهير حتى بالسماع الصامت ..

ولشدة اهتمامه بالموضوع قام بتأليف كتاب بعنوان « إدانة الآخرين » .. ينتهى فيه إلى أن إدانة الآخرين خطأ كبير .. والغضب هو أشد خطر يطفئ العقل الذى يضئ بنور الله .

البابا شنودة ضد التطرف فى كل شىء .. يحذر أبناءه من التطرف فى

العبادة ويقول لهم : « إن التطرف فى الطريق الروحى غير مقبول سواء كان فى الكلام أو السلوك ، فالمبالغة نوع من الكذب ، وهى التى تقود إلى التطرف » . ويقول لهم أيضًا : « إن الهدف النبيل لا يمكن أن يتحقق إلا بوسيلة نبيلة » .

❑❑❑

والبابا شنودة يذكر دائمًا أن التى احتضنته وأرضعته عقب وفاة أمه كانت سيدة مسلمة جارة للأسرة وصديقة للأم الراحلة .. ويبدو أن مشيئة الله هى التى نسجت هذه الحادثة لكى تكون رسالة من الله إلى شعب مصر .. رسالة تقول : إن الله اختار مصر لتكون أرضا للسماحة والإخاء الدينى .. وليكون الرمز الحى الذى يجسد معنى الوحدة الوطنية هو البابا شنودة نفسه .. بابا الإسكندرية وبطريرك الكنيسة المرقسية ، ورأس الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر وإفريقيا .

ولكن البابا لا تربطه فقط هذه العلاقة الوجدانية القوية بالإسلام ، بل هو دارس له أيضًا .

يقول البابا شنودة :

كنا أيام الدراسة ندرس الإسلام فى مقرر التاريخ ، وكنت فى مدارس الأحد ولم تكن هناك أية تفرقة بين المسيحى والمسلم ..كنا نستذكر التاريخ الإسلامى كمادة مقررة ..

ولكنى قرأت القرآن فى هذه الفترة ، وقد أثر القرآن على لغتى ، وبعد ذلك كنت معجبا بمكرم عبيد كرجل فصاحة ولغة ، ومعروف أن مكرم عبيد قرأ القرآن ودرسه وحفظه ، وكان من كبار الخطباء البلغاء فى عصره ،

ومازلت أذكر له عبارة يقول فيها : « الرجل الحق هو الذى يتطور دون أن يتغير ، ويكبر دون أن يتكبر ، ويحتفظ بثباته فى وثباته » . وفى تهكمه على ديوان المحاسبات أيام أمين عثمان فيقول إنه تحول إلى « ديوان محاسيب » ويقول : « وماذا يضير الحسيب من أن يصير حسِّيًا ، والفرق بينهما شدّة تنفع فى الشّدَة » أى فى وقت الشدة .. وهكذا قادنى إعجابى بمكرم عبيد إلى قراءة القرآن ..

قلت : بالمناسبة .. أعرف أن بينكم وبين فضيلة شيخ الأزهر علاقة صداقة حميمة .. ؟

قال : طبعا .. وبدأت على يديك .. وقد عشت معنا كل مراحلها .. وحضرت أكثر لقاءاتنا .. تذكر حين زرته فى دار الإفتاء وكان يتولى منصب المفتى .. ورأيت فيه روحانية وإيمانا عميقا ومحبة صادقة .. زرته وقدمت له هدية تفسير القرآن لابن كثير بكل أجزائه .. ورد لى الزيارة .. وصارت صداقة .. وأشعر معه بتقارب فكرى .. فهو شخصية محترمة وعالم كبير ويتمتع بقدر عظيم من التسامح .. والعلاقة بينى وبين الإمام الأكبر تترك أثرها الطيب على علاقات المسلمين والمسيحيين فى مصر ..

الدكتور طنطاوى طيب القلب .. ونزيه .. وبسيط .. وودود .. تشعر معه بمودة من أول لقاء .. نحن نجلس دائما متجاورين فى اللقاءات الرسمية وتكون هذه فرصة نتحدث فيها بمودة .. وهو يزورنى وأزوره دائما .. ونجلس معا نتبادل الفكاهات وأحاديث الأدب وأبيات الشعر .. وقد سافرنا معا إلى أبو ظبى لحضور مؤتمر عن القدس ولفت نظر الحاضرين أننا معا

أصدقاء ، ونحن دائما فكر واحد ، ولم يحدث أن وجدت اختلافا فى أفكارنا .. المؤمنون بالله لا يختلفون .. وقد أصبح من المعتاد أن ندعى معا فى اللقاءات والندوات .. آخرها فى الأهرام فى ندوة عن رأى الدين فى حماية البيئة واتفقنا فى كل شىء .

وأنا أحب أن استمع إليه .. فهو يحفظ القرآن كله .. ويسرد عن ظهر قلب كل الآيات التى وردت فى القرآن فى كل موضوع .. وهذا يعطى لحديثه عمقا ومصداقية .. ويجذبنى إليه حديثه الروحى .. وأتابع أحاديثه فى التلفزيون فى برنامج « حديث الروح » .. أنا أشعر من قلبى أن شيخ الأزهر نقى ومستعد لأن يساعد كل إنسان بإخلاص لمرضاة الله وليس لمرضاة البشر ..

قلت : وعلاقتك بالشيخ الشعراوى .. ؟

وضحك البابا شنودة وهو يقول :

– علاقتى به بدأت بالاختلاف .. سمعت أنه يثير الأقباط فى أحاديثه فى التلفزيون .. وعرفت بعد ذلك أنه مريض يرقد فى مستشفى فى لندن ، ووجدت مشاعرى معه وأحسست بالقلق عليه ، فاتصلت ببعض الكهنة المصريين فى لندن وطلبت منهم أن يقوموا بزيارته بالنيابة عنى ، واتصلت بالطبيب المعالج وهو مصرى قبطى أعرفه جيدا وأوصيته أن يبذل أقصى ما يستطيع ويتفرغ لعلاج الشيخ الشعراوى .. وعندما عاد بالسلامة إلى مصر زارنى وقال لى : أولادك هناك طوقوا عنقى ..

ثم دخل فضيلته المستشفى فى مصر فقمت بزيارته وتبادلنا أحاديث ودية ربطت بيننا ..

وعندما توفى إبراهيم فرج اتصل بى السيد فؤاد سراج الدين وطلب أن تكون الصلاة على الجثمان فى الكاتدرائية ، وأبلغته أنى سأقوم بأداء الصلاة .. وحضر الشيخ الشعراوى إلى الكنيسة وحضر الصلاة ، والقيت كلمة بعد الصلاة قلت فيها : إن داود النبى عندما حضره الموت أوصى ابنه سليمان وقال له : يا بنى أنا ماض فى طريق الأرض كلها فتشدد وتشجع وكن رجلا ، وهكذا نحن جميعا ماضون فى طريق الأرض كلها ، وتذكرت أبياتا من الشعر الذى أكتبه قلت فيها :

لست أدرى كيف نمضى أو متى
كل ما أدريــه أنا سوف نمضى
فى طريق المـــوت نجرى كلنا
فى سباق .. بعضنا فى إثر بعض
كبخار مضمحل عمرنا
مثل برق سوف يمضى
مثل ومض ..
يــا صديقــى كن كما شئت إذن
وامض فى الآفاق من طول لعرض
ارض آمالك فى الألقاب أو ارضها
فى المال أو فى المجد ارض ..
آخر الأمــر ستهــوى مجهدا

راقدا فى بعض أشجار بأرض

يصمت القلب ويبقى هادئا

لم يعد فى القلب من خفق ونبض

ما ضجيج الأمس فى القلب إذن ؟

أين بركانه من حب وبغض ؟

ولما انتهى الجناز عدنا معا ، فلم يجد سيارته ، فطلبت منه أن يجلس معى إلى أن تأتى السيارة من زحام السيارات .. وجلسنا نتحدث أكثر من ساعة .. طلب منى أن أتلو عليه الأبيات مرة أخرى .. ثم طلب منى أن أقول له بعض أشعارى .. وأهديته نسخة من ديوان « انطلاق الروح » الذى يضم بعض أشعارى .. وبدأنا نتجول فى هذا الديوان قصيدة بعد أخرى ..

ووجدت أن الشيخ الشعراوى هو أيضا شاعر رقيق جدا .. وحين التقيت به مرة ثالثة فى القصر الجمهورى ونحن نهنئ الرئيس مبارك بنجاته من مؤامرة أديس أبابا قال لى الشيخ الشعراوى : لقد قرأت كتابك كله ، وأعجبنى وما وجدت فيه كلمة تخالف الإسلام .. فقل لى آخر قصيدة كتبتها .. قلت له : آخر قصيدة لم أكتبها بعد ، لعلك تقصد أحدث قصيدة وهى بعنوان « مشاعر » أقول فيها :

لكنها مشاعر تمكث دائما معى

تسكن فى حشاشتى .. فى مهجتى .. فى أضلعى

مشاعر تتبعنى فى صحوتى .. فى مضجعى

تظهر فى ابتسامتى .. فى ضحكتى .. فى أدمعىْ

تجرى دواما فى دمى

تمكث أعى أو لا أعى

كم مرة قلت لها عنى بعيدا وارجعى

لكنها مشاعر تمكث دائما معى

تجرى دواما فى دمى كنت أعى أو لا أعى

فامتدح هذه الأبيات .. ومنذ ذلك الحين ونحن نتقابل باستمرار فى مودة .. ونتبادل أحاديث المحبة معا ..

قلت : أعرف أنكما تبادلتما الهدايا فى أول لقاء ..

قال :

– نعم .. أهدانى عباءة .. وأهديته كتاب لسان العرب لابن منظور وقلت له : فضيلتك دارس وأستاذ للغة العربية ، فهذا كتاب فى اللغة له مكانته .

قلت : وبعد .. ؟

قال :

المحبة دائما تنتصر وليس العداوة ..

كذلك تربطنى صداقة مع وزير الأوقاف الدكتور زقزوق وهو مفكر وله دور فى حوار الأديان ..

وأنت تعرف أن بينى وبين القيادات الإسلامية صداقة قوية ، ويكفى

أن تذكر المحبة التى تجمعنا فى شهر رمضان على مائدة البطريركية ..
كان الحاضرون مائة فى أول عام أقمنا فيه إفطار رمضان ، وفى كل
سنة يزداد العدد حتى ضاقت القاعة ، فأقمنا إفطار رمضان فى العام
الماضى فى ساحة الكاتدرائية وحضره مئات .. رئيس الوزراء ..ورئيسا
مجلسى الشعب والشورى .. والوزراء .. ورؤساء الهيئات القضائية ..
والمحافظون .. ورؤساء الأحزاب .. والشخصيات العامة .. لقاء يحتشد
فيه الجميع مسلمون وأقباط فى محبة .. مثل هذا اللقاء بهذه الروح
لا تجده فى أى مكان فى العالم ..

.. وهكذا يفكر ويعمل البابا .

□□□

الفصل الثانى

الأقبـــاط فى مصر

١ شئون الكنيسة

٢ المسيحية السياسيـة

٣ التعصب والفتنـة

١ شئون الكنيسة

أراد البعض أن يحدث بلبلة بين الأقباط ، بنشر أنباء عن مرض قداسة البابا شنودة بمرض خطير ، وربما كان ذلك تعبيرًا عن أمنية يأملونها ، أو أنهم يريدون أن يشغلوا البابا بسلسلة من الأكاذيب ، لكى يترك مسئولياته ، وينشغل فى التكذيب ، والرد ، أو ربما يريدون أن يقولوا نحن هنا ونستطيع أن نثير المشاكل ، ومع ذلك ، فلا أثر لما يقولون .. وقد أصبحت الناس واعية ، وتميز بين الصدق والكذب .

يقول قداسة البابا : إن المشكلة أن الذين يريدون إثارة المتاعب يخترعون كل يوم حكاية جديدة . فهم يقولون : إن البابا شنودة عطل المجلس الملى ، وفعل كذا ، وكذا ؛ لسلب اختصاصات هذا المجلس وأنه ضد الديمقراطية فى الكنيسة .

ما معنى الديمقراطية فى الكنيسة ؟ ..هل معناها أن يشترك الشعب فى إدارة شئون الكنيسة ؟ .. هذا يحدث فعلا .. هل معناها أن يتخلى رجال الدين عن وظيفتهم الروحية ويتركوا شئون الرعاية للعلمانيين ؟ .. هذا لن يحدث طبعا .. رجل الدين له دور سيبقى ..ومع الأسف فإن الذين يسمحون لأنفسهم بالخوض فى الشئون الداخلية للكنيسة والكهنوت ليس لهم صلة بهما ولا دراية ولا معرفة بطبيعة كل منهما ..

ثم قال البابا :

ومع ذلك سأقول لك قصتى مع المجلس الملّى منذ بدايتها :

عندما بدأت فى تولى مسئوليتى فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ بعد التنصيب كان نشاط المجلس الملى مجمدا ، وكان الأستاذ صليب انطون المحامى ووزير التموين الأسبق قد رفع دعوى لإعادة المجلس الملى باعتبار أن إيقاف المجلس تم دون سند قانونى .. وعقدت اجتماعا للمجمع المقدس فرأيت أن المجمع يميل إلى عدم إعادة المجلس الملى الموقوف ، وكان اتجاهى أن هناك مهام إدارية عاجلة وكثيرة تحتاج إلى وجود المجلس الملى .. فهناك أراضٍ زراعية تحتاج إلى متابعة ، وموظفو البطريركية ، والمدارس ، وغير ذلك من شئون تحتاج إلى المجلس الملى ليتولى إدارتها ، وقلت يومها : أنا شخصيا لا أستطيع إدارة كل هذه الأنشطة ، وإننى أحتاج إلى وجود المجلس الملى بجانبى ، والمجلس مكون من ٢٤ أريدهم معى بعقولهم وأرواحهم ليساعدونى ، فهذه بركة كبيرة .

وقمنا باتصالات بالرئيس السادات وسهّل لنا عودة المجلس الملى .. وبدأت علاقة جديدة بين البابا والمجلس الملّى .

قديما كان البابوات يعتبرون المجلس الملى منافسا لهم فى السلطة ، فلا يحضرون اجتماعاته ، مع أن البابا بحكم القانون هو رئيس المجلس ، ولكن البابوات كانوا يتركون رئاسة الجلسات لوكيل المجلس ، حتى أن المجلس الملى كان يعتبر شيئًا منفصلا عن البابا وينسب إلى الوكيل ، فيقولون هذا مجلس إبراهيم فهمى المنياوى باشا ، وهذا مجلس حبيب المصرى باشا ، وكان وكلاء المجالس الملية يعتبرون أنفسهم زعماء الأقباط .

عندما أجريت الانتخابات لاختيار أعضاء المجلس نجحت القائمة التى

اعتبر الأقباط أن أعضاءها ممن يرضى عنهم البابا ، ونجح ٢٤ عضوا ممن قالوا عنهم : إنهم قائمة البابا ، وكان ذلك بداية عهد جديد انتهى فيه التباعد بين البابا والمجلس الملى .

أول خطوة قمت بها هى أننى دعوت أعضاء المجلس الجديد ورسّمتهم شمامسة فى الكنيسة وأقمت معهم القداس ، وبذلك انتهت المسافة بين المجلس الملّى والكنيسة ، لأنهم أصبحوا من خدام الكنيسة ..

وكانت الجلسة الأولى للمجلس الجديد التى حضرتها هى أول جلسة تعقد برئاسة البابا منذ سنوات طويلة ، وبعدها استمرت اجتماعات المجلس الملى برئاسة البابا بنفسه .. وكل الموضوعات تتم فيها المناقشة بحرية كاملة إلى أن ننتهى إلى توافق الآراء ،ولذلك فكل القرارات التى صدرت من المجلس الملى صدرت بالإجماع وليس بالأغلبية . ومعنى ذلك أنه ليس هناك معارضة كما يروج البعض ويتمنى .. !

وفى بعض الأحيان عندما أجد أن بعض الأعضاء لديه آراء تختلف عن الأغلبية أطلب تأجيل الموضوع لإعادة الدراسة ، ليأخذ كل موضوع حقه فى الحوار ، ولا يخرج عضو واحد وهو يشعر أن الأغلبية تضغط عليه .. لم يحدث فى المجلس الملّى شىء مما يقوله البعض من أن الأغلبية تضغط على الأقلية .. لأنه ليس فى المجلس أغلبية وأقلية ..ولكن المجلس وحدة واحدة .. وربما هذا يسبب القلق والغضب عند البعض الذين يريدون أن يحدث اختلاف أو انشقاق .. ونشكر ربنا أن أمنية هؤلاء لم تتحقق والمجلس الملى يعمل معا بروح الفريق ويتعاون فى محبة .

فى فترات سابقة ، وحتى فى عهد البابا كيرلس كانت تحدث خلافات بين البابا والمجلس الملى وينتهى الأمر بحل المجلس الملى ، ولكن هذا لم يحدث طوال ٢٦ عاما .. فكيف يقال : إن هناك خلافات أو إن هناك معارضة .. ؟

□□□

وعن اختيار الأساقفة .. يقول البابا شنودة :

القاعدة الجديدة التى أرسيتها طوال ٢٦ عاما هى أن الشعب القبطى يجب أن يكون له الحق فى اختيار الراعى ، وهذا يضمن أن يقوم بمهته بسهولة ، ولكن إذا كان الراعى مفروضا على الناس من سلطة أعلى فهذا يفتح الباب للانقسامات والخلافات .. وكانت البداية فى أسقفية الغربية والبحيرة وكانت خالية ، فقررت تقسيمها إلى اثنتين : الغربية وحدها ، والبحيرة وحدها ، لأن وجود مطران واحد لمحافظتين كبيرتين يجعل من الصعب عليه القيام بمسئوليته الروحية كاملة .. وقيل لى : إن المطران السابق كان مقيما فى محافظة الغربية وظل مطرانا لأكثر من ١٢ سنة لم يزر فيها محافظة البحيرة كلها إلا مرة واحدة ولمدة يوم واحد وعاد فى الليل إلى طنطا .

بدأت بزيارة طنطا واجتمعت مع ممثلى الشعب فى طنطا ومراكزها ، واجتمعت مع الكهنة ، ثم مع المجلس الملى فى الغربية ، ثم التقيت بجميع الخدام والخادمات والشمامسة ، والتقيت مع الأطباء والمحامين والمحاسبين والشخصيات القبطية فى الغربية ، وفى كل هذه الاجتماعات كنت أستطلع الآراء . واتفق الجميع على اختيار الأسقف الجديد .. وذهبت إلى البحيرة وفعلت نفس الشىء واختار شعب البحيرة .. ولكن البطاركة السابقين كانوا

يعتبرون تدخل الشعب فى شئون الكنيسة إقلالا من سلطتهم ، وكان الباباوات السابقون ينفردون باختيار الأساقفة والمطارنة .. ولكنى وضعت تقليدا جديدا فى الاحتفال برسامة الأسقفين الجديدين .. حضر الاحتفال شعب الغربية والبحيرة ووقفت أنا أمام الناس وقلت : كهنة البحيرة كلهم يقفون هنا ، وكهنة الغربية يقفون هنا ، وناديت : يا شعب الغربية وكل مراكزها ومدنها وقراها أمامكم القمص شنودة السريانى المرشح أسقفا لكم ، هل توافقون .. ؟ فقال الجميع بصوت عال : نوافق .. وفعلت نفس الشيء مع القمص انطونيوس السريانى المرشح أسقفا للبحيرة ، وقلت للجميع : هل فيكم واحد يعترض على المرشحين ؟ ..فلم يعترض أحد وأعلنوا تأييدهم للترشيح .. وكان هذا شيئا جديدا على الكنيسة لم يعجب البعض وظنوا أن فيه انتقاصا لسلطة البابا فى الكنسية .. واستغل البعض ذلك لترديد أقاويل سيئة ولكن مع الوقت تفهم الجميع ما أقصده واعتبروه تقليدا حسنا يضمن التحام الشعب بالكنسية ..

بعد ذلك طلبت من الأسقفين الجديدين أن يقفا ويعلنا التعهد علنا أمام البابا وأمام الشعب بأن يؤديا واجبات الرعاية كاملة .. وكان هذا أيضا تقليدا جديدا لم تشهده الكنيسة من قبل ..

هل فى ذلك ديمقراطية الكنيسة أو لا .. ؟

هكذا تساءل البابا شنودة وهو يبتسم .

□□□

ثم قال البابا بعد لحظة صمت قصيرة :

أكثر من هذا .. توسعت فى إعطاء الشعب صلاحيات اختيار القسس قبل رسامتهم ..

قبل ذلك كان القسيس الجديد يرسم بإرادة الأسقف أو البطريرك فقط ، واحيانا بناء على تزكية يوقع عليها البعض خجلا ، أو خوفا ، أو مجاملة ، أو جهلا ، أو بلا مبالاة .. فبدأت تقليدا جديدا هو أن أجمع الشعب القبطى فى البطريركية وأوزع على الجميع أوراقا ويتم اختيار الكاهن بناء على فرز الأصوات ..

هل هذه ديمقراطية أو هى ضد الديمقراطية .. ؟

❑❑❑

وقال البابا :

كان بعض الكهنة فى الماضى فى مستوى علمى أقل من الشعب ، فقررت أن يكون الكاهن على مستوى علمى لا يقل عن الليسانس أو البكالوريوس ، واحيانا الماجستير والدكتوراه ، وبذلك ارتفع المستوى العلمى للكهنة ، وارتفع مستوى الكهنوت عموما .. هل يحسب ذلك ضمن الحسنات أو يحسب من السيئات .. ؟

وفى زمن مضى كان الكهنوت بالوراثة .. الآن ليست هناك وراثة إلا فى بعض مواقف انسانية خاصة .. مثلا عندما كنت أسقفا لكلية اللاهوت كان فيها طالب هو الأول دائما ، وكان نابغة بحق ، وكنت أريده ليكون معيدا بالكلية ، وكان هذا الطالب من إحدى قرى بنى سويف ووالده كان كاهنا وتوفى ، وأراد مطران بنى سويف أن يرسمه قسيسا خلفا لوالده ، وكنت أرى أن انضمامه لهيئة التدريس فى الكلية أفضل ، ولكن والدته قالت لى : لا تحرمنا من أن يكون ابنى استمرارا لآبائه فى الكهنوت .. فهو رقم ٣٨ فى سلسلة كهنوت متتالية لمدة قرون ولا أريد أن تنقطع ..

ونزلت على رغبة الأم والابن والمطران .. ليس للإبقاء على الوراثة .. ولكن لأن هذا الابن كان مؤهلا ليكون قسيسا صالحا كما كان مؤهلا ليكون أستاذا صالحا فى كلية اللاهوت ..

هل انتهاء عصر وراثة الكهنوت يحسب لنا أو علينا .. ؟

هكذا تساءل البابا شنودة ..

❑❑❑

وقال بعد ذلك :

وهناك من يقول : إن التوسع فى كليات اللاهوت ليس صوابا ..

كانت هناك كلية واحدة للاهوت فى القاهرة ، بدأنا إنشاء فروع لها فأصبح لها سبعة فروع فى الاسكندرية ، وطنطا ، وشبين الكوم ، والمنيا ، ودير المحرق بأسيوط ، والبلينا ، وأدخلنا فى الكلية الإكليريكية نظاما جديدا ..أنشأنا فيها القسم المسائى ويدرس فيه الطلبة ثلاثة أيام فى الأسبوع لإتاحة الفرصة للموظفين وخريجى الجامعات .. وسمحنا للفتيات بالالتحاق بكلية اللاهوت وأصبحت واحدة من الخريجات أستاذة بالكلية الآن .. لأنى أرى أن الاهتمام بالثقافة الدينية للمرأة هو البداية الصحيحة لتكوين الأسرة المتدينة والمجتمع المتدين .. هل هناك من يعارض فى ذلك .. ؟

❑❑❑

وقال البابا :

هناك شىء جديد بدأته عندما كنت أسقفا سنة ١٩٦٢ هو أنى سمحت للشعب أن يحضر محاضراتى فى كلية اللاهوت .. فلما ازداد عدد الحاضرين

نقلنا المحاضرات من المدرج إلى قاعة واسعة من دورين . فلما ضاقت بهم نقلنا المحاضرات إلى الكاتدرائية ..

وحاليا يجتمع آلاف فى الكاتدرائية مساء كل يوم أربعاء ، حيث ألقى حديثا أسبوعيا وأجيب عن أسئلة الناس .. وأتحدث فى هذه اللقاءات بلغة سهلة وبسيطة ، لأنى أرى أن الوعظ رسالة روحية تهدف إلى قيادة الناس إلى الإيمان والفضيلة ، والوعظ عندى ليس مجالا لاستعراض المقدرة اللغوية ، وإظهار البلاغة ، ولكن المهم هو التأثير والإقناع ..

وعندما تم اختيارى لمنصب البابا كانت أول ورقة وصلتنى يقول فيها صاحبها : إننا نأسف لاختيارك بابا لأن ذلك سيحرمنا من هذه المحاضرات واللقاءات لأن مسئولياتك سوف تشغلك .. فقلت لهم : لا تأسفوا لأنى سوف أستمر فى هذه اللقاءات .. ومازلت مواظبا على لقاء الأربعاء ٢٦ عاما لم أتخلف إلا حين أكون خارج البلاد .

من حصيلة هذه اللقاءات أصدرت ١٠٠ كتاب تقريبا . ترجم بعضها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والهولندية لكى تصل إلى أبنائنا من الجيلين الثانى والثالث من المهاجرين .

بعد ذلك أصبحت هذه المحاضرات تطبع على شرائط كاسيت وفيديو وهى بالمئات .. خصوصا أنى ألقى محاضرة فى الاسكندرية أيضا كل أسبوعين .

وحين كان الأستاذ مصطفى بهجت بدوى رئيسا لتحرير الجمهورية دعانى لكتابة مقال أسبوعى سنة ١٩٧٢ وانتظمت فيه لفترة .. وكنت أراعى أن يكون موضوعه عامًّا ليقرأه القراء جميعا ..

❑❑❑

قلت : أذكر أنكم أعلنتم عن إعداد دائرة المعارف القبطية وإنشاء عدد من المعاهد القبطية المتخصصة ..

قال :

دائرة المعارف القبطية صدرت سنة ١٩٩١ من ٨ أجزاء ، والمعاهد المتخصصة التى تم افتتاحها حتى الآن تشمل معهد الكتاب المقدس ، ومعهد الرعاية ، ومعهد اللغة القبطية ، ومعهد الأفريقيين ، وزاد الاهتمام بمعهد الدراسات القبطية ، ومعهد إعداد مرتلى الكنيسة . الخ . ونحن نهتم اهتماما خاصا بالشباب والمرأة .. ونهتم بخدمة المصابين بأمراض مستعصية والذين ليس لهم أحد يرعاهم .. ونهتم بتنظيم الأسرة .

❑❑❑

ما سر اهتمامك بالأديرة اهتماما يفوق الوصف حتى قيل : إن الكنيسة أنفقت عشرات الملايين على الأديرة .. ؟

يقول البابا شنودة :

أنا أحب حياة الدير .. حين دخلت الدير وودعت الدنيا كان هدفى أن أعيش فى حياة الوحدة فى هدوء روحى مع الله .. ولم يخطر ببالى أننى سأعود إلى هذا العالم ثانية بعد أن تركته وذهبت إلى مغارة فى الجبل تبعد عن الدير ١٠ كيلو مترات وكانت تمر علىَّ أسابيع لا أرى فيها انسانا .. وكانت هذه أجمل فترات حياتى ..

لكن السعادة الروحية فى حياة الهدوء مع الله لم تعد كاملة بعد أن أخذونى ورسمونى أسقفا فتغير مجرى حياتى من حياة التأمل إلى حياة الخدمة ،

ومن هدوء الوحدة إلى زحام الناس ، وبقيت محبة الدير في قلبي ، ولذلك أحرص على قضاء نصف الأسبوع في الدير ونصفه مع الناس .

لذلك أنا مهتم بتعمير كل الأديرة ليس فقط من الناحية المعمارية ولكن من الناحية الروحية والثقافية للرهبان أنفسهم .. وأي انسان زار هذه الأديرة قبل أن تمتد إليها يد العمران وبعدها يجد الفارق واضحا سواء من ناحية الرهبان وعددهم ومستواهم ، أو من ناحية المباني للرهبان والزوار ، وما حدث من تطور في الأديرة يحتاج إلى مجلدات . في داخل مصر أنشأنا أديرة في أدفو وجنوب أرمنت وجبل أخميم وبراري بلقاس والخطاطبة .. وفي الخارج لنا الآن أديرة في كاليفورنيا وسيدني ، وملبورن ، وكريفلباخ بألمانيا ، وهوكستر بألمانيا ، وميلانو في إيطاليا ، وفرنسا ، وكينيا ، ومنطقة ماسينو عند خط الاستواء ، وفي السودان ، وهناك أديرة أخرى تحت الإنشاء .

وتطور اهتمامي بالأديرة بعقد مؤتمر الرهبنة الأرثوذكسي سنة ١٩٧٩ وكان هذا أول مؤتمر للرهبنة يعقد في مصر في الكنيسة المصرية التي أسست الرهبنة في العالم كله ، وحضر هذا المؤتمر ممثلون لكنائس ١٦ دولة . وقبل ذلك بدأت الاهتمام بالكنائس الأثرية بتشكيل لجنة بابوية عليا للحفاظ على التراث القبطي سنة ١٩٧١ ولجنة بابوية للاهتمام بالآثار القبطية سنة ١٩٧٢ وشاركت هذه اللجنة في الإشراف على تعمير الأديرة ، وبدأت الاهتمام بالآثار المسيحية ،والكنائس الأثرية ، وترميم الكنائس المهدمة ، والاهتمام بالمناسبات الخاصة بالكنيسة مثل يوم دخول المسيح والعائلة المقدسة مصر في ٢٤ من شهر بشنس .. والمناسبات كثيرة ..

□□□

نعود إلى الأديرة وحياة الخلوة الروحية ..

ويقول البابا :

الجديد الآن فى الأديرة أنها لم تعد للرهبان وحدهم .. ولكن كل إنسان يستطيع أن يقضى فترة فى الدير .. أنشأنا بيوت الضيافة يرتادها الشباب الذى يسعى إلى قضاء فترة من الهدوء الروحى تحت إشراف الرهبان .. وأصبحت الأديرة مواقع إنتاج زراعى وصناعى فى مجالات كثيرة يشارك فيها الرهبان .. وأصبحت الأديرة أيضا مواقع سياحية يزورها عشرات الآلاف من الأجانب الذين يحبون قضاء وقت فيها ويعرفون قيمتها الأثرية والتاريخية .. وأصبحت مكتبات الأديرة فيها آلاف الكتب القديمة والحديثة وبلغات عديدة ..

❑❑❑

وقال البابا :

وشىء آخر أركز عليه هو تنقية المناسبات الدينية والموالد من الممارسات الخطأ .. وكانت منتشرة . كانت الموالد مجالا للهو .. ووجدت أن زحام المولد فى الأصل هو تجمع للاحتفال بمناسبة دينية أو لإحياء ذكرى قديس ، ولكنه تحول إلى ممارسات خطأ .. وكان هناك من طلب منى إلغاء هذه الموالد ، فقلت : ولماذا لا نحوّل هذه التجمعات إلى مناسبات روحية مفيدة ونعيد إليها الجلال والاحترام والروحانية .. ؟ ولماذا لا نحرم الأشرار من الإساءة إلى هذه المناسبات الجليلة .. ؟ وهكذا حولنا الموالد إلى تجمعات شعبية يلتقى فيها الأقباط للاستماع إلى دروس وعظات روحية ، ويعيشون ساعات مع التراتيل والتسابيح .. وهكذا أعدنا إلى أعياد القديسين الاحترام الذى يليق بها .

وقال البابا :

هناك فارق كبير بين التدين الحقيقى والتدين الزائف .. التدين الزائف يهتم فقط بالمظهر .. التدين الحقيقى يهتم بالروح والجوهر .. التدين الزائف هو وسيلة الدجالين والمشعوذين والفاسدين .. والتدين الحقيقى هو وسيلة أصحاب القلوب النقية والأرواح الطاهرة .. واجبنا أن نجعل الناس يرتبطون بالتدين الحقيقى ويبتعدون عن المزيف بكل صوره وأشكاله .. وهذه معركة مع الشر والأشرار ليست سهلة .

❑❑❑

ويجيب البابا شنودة عن أسئلة صريحة جدا مثل :

هل صحيح ما يقال من أن مدارس الأحد هى بؤرة التعصب .. ؟

فيقول :

مدارس الأحد مهمتها تربية الأولاد تربية دينية ؛ وقد أنشئت حين بدأت الطوائف الأجنبية تدخل مصر وتجذب أبناء الكنيسة الوطنية إلى مذاهب ، فكان لابد أن نعنى بأبنائنا حتى لا يضيعوا ..

هل صحيح أن كل نشاط للأقباط لابد أن يبدأ بإذن وتوجيه من البابا ولا يستطيع الأقباط أن يعملوا وحدهم .. ؟

ويجيب البابا :

هذا غير صحيح .. الجمعيات الخيرية والمدارس أسسها أقباط دون أى تدخل من الكنيسة ..الأقباط مواطنون لهم حق المبادرة دون الرجوع للكنيسة حتى للاستشارة ..ونحن نكفل ذلك حتى للقسس والأساقفة لينشط الجميع

دون مركزية تحدُّ من هذا النشاط .. وكل من يرد أن يمارس نشاطا فليفعل دون مراجعتنا .

وهل تسمح الكنيسة بحرية الفكر .. ؟

يقول البابا :

أى فكر .. الفكر الدينى من اختصاص الكنيسة '.. أما كل فكر آخر سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى فلا شأن لنا به .

قلت : يا قداسة البابا .. قضية رفض الكنيسة للطلاق أصبحت موضوعا اجتماعيا وله آثار اجتماعية خطيرة .. هل يمكن إعادة النظر فيه ؟

قال :

لو كان هذا رأيى الشخصى فأنا مستعد لإعادة النظر فيه .. ولكن ماذا أفعل وهذه قضية محسومة فى الإنجيل .. المسيحية لا تبيح الطلاق إلا فى حالة ثبوت الخيانة الزوجية .. أو فى حالة تغيير الدين .. ولا تمكن إباحة الطلاق لغير ذلك أبدا ..أنا مقيد بآيات صريحة فىالكتاب المقدس .. ماذا يمكن أن تفعل الكنيسة أمام النصوص .. ؟

قلت : ولكن الناس يخطئون .. إذا أخطأ أحد الزوجين فى اختيار شريك حياته واستحالت العشرة بينهما .. ألا يمكن معالجة هذا الخطأ أبدا .. ؟

قال : هذا وارد .. التسرع .. الزواج قبل التأكد من مشاعر القبول .. أو نشوء خلافات لأسباب مادية .. إذا كان الطلاق ممكنا فسوف يحدث الخلاف كثيرا معتمدين على إمكان الانفصال والزواج مرة أخرى ..

وكما يقول المثل : سئل حكيم لماذا يحدث الطلاق لأتفه الأسباب ؟

فقال : لأن الزواج يحدث لأتفه الأسباب ..

أما إذا عرف الزوجان أن الطلاق غير ممكن ، فلابد من التدقيق وحسن الاختيار .. وأنا لى كتاب كامل بعنوان « شريعة الزوجة الواحدة » أشرح فيه أسباب عدم إباحة الطلاق فى المسيحية .

قلت : الناس مختلفون فى الطبائع والسلوك .. ولا يظهر اختلافهم إلا بعد العشرة .. ؟

قال :

من الممكن طبعا أن يكون أحد الزوجين حاد الطبع ،وسريع الغضب ، أو يريد إرغام الآخر على الخضوع لإرادته ..تمسك الاثنين بالدين يجعلهما يحتملان مثل هذه المواقف ..

وإذا كان العيب هو سرعة الغضب فهذا سيكون سببا للطلاق فى كل مرة ، ويفشل الزواج الثانى والثالث .. نعالج الشخص المتوتر وندعو الطرف الآخر إلى احتماله إلى أن يحدث التوافق بينهما وتدوم العشرة .. ونحمى الأسرة أفضل من أن نعجّل بهدمها ..

قلت : ولكن بعض الأقباط يلجأون إلى القضاء ويحصلون فعلا على أحكام بالطلاق .. وترفض الكنيسة الاعتراف بهذا الطلاق ؟ ..

قال : هذا طلاق مدنى .. وإذا تزوج الزوجان بعده سيكون زواجا مدنيا .. لا تعترف الكنيسة بالطلاق لأنه مخالف للشريعة ، ولا تعترف بالزواج الثانى لأنه أيضا مخالف للشريعة .. ثم أقول لك .. ألا نفكر فى

مصير الأبناء وتشردهم بعد الطلاق .. ؟ ألا يستحق هؤلاء الأبناء تضحية آبائهم من أجلهم .. ؟

إن الطلاق مكروه فى كل الأديان .. والمبدأ فى الإسلام أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، وهذا معناه أن الله لا يحب أن يستخدم الناس هذه الوسيلة .. إذا كانت أبغض الحلال فى الإسلام فكيف يلجأ إليها الناس ولا يلجأون إلى ما يحبه الله وهو الحفاظ على الأسرة .. ؟ لذلك نحن نبذل جهدنا للإصلاح بين الزوجين بدلا من تركهما لنزوة أو انفعال ..

قلت : وماذا يفعل الزوجان حين يكون معهما حكم قضائى بالطلاق .. ؟

قال : هذا حكم بالطلاق وليس حكما بالتزويج .. حكم لا يلزم الكنيسة بعقد زواج جديد .. حكم مدنى يستند إلى لائحة الأحوال الشخصية الصادرة عام ١٩٣٨ .. والمحاكم لها الولاية فى الجانب المدنى ، والكنيسة لها الولاية فى الجانب الدينى .. ومن الناحية الدينية لا تعترف الكنيسة بهذا الطلاق ، وبالتالى لا تعقد زواجا جديدا للمطلق بحكم قضائى ..

قلت : ولكن هناك أحكام تصدر ببطلان الزواج ؟

قال : بطلان الزواج غير الطلاق .. بطلان الزواج معناه أنه قام على أسباب باطلة .. الحكم هنا بانفصال الزوجين وليس بالتطليق .. ويكون الزواج باطلا لأسباب كثيرة .. إذا تم مثلا بالقهر وبغير رضا .. أو كان أحد الزوجين مرتبطا بزيجة أخرى أخفاها ولم يفصم عراها .. أو يكون الزواج بين اثنين بينهما قرابة أو نسب مما يمنع الزواج بينهما .. أو كان أحد الزوجين قبل الزواج عاجزا عن أداء وظيفته الزوجية .. أو كان هناك

مرض خطير فى أحد الزوجين يخشى منه على الطرف الآخر .. أو كان أحد الزوجين قبل الزواج مختل العقل ..

قلت : وإذا اختل عقله بعد الزواج .. ألا يبرر ذلك الطلاق .. ؟

قال : لا .. بعد الزواج شىء آخر .. لو سمحنا بذلك فسوف يسعى من يريد الطلاق إلى الضغط على الآخر إلى أن يفقده عقله ، وتكون هذه حيلة ووسيلة غير أخلاقية للحصول على الطلاق .. !

❑❑❑

قلت وهل صحيح ما تردد فى وقت ما من أن الكنيسة المصرية ترفض فكرة تنظيم النسل ولها فيه رأى يختلف عن الرأى السائد ؟

وجاءت إجابة قداسة البابا بسرعة وبعبارات مباشرة وحاسمة ..

بالعكس .. إن الكنيسة المصرية تحث على تنظيم الأسرة ، وقد أصبح ذلك ضرورة اقتصادية واجتماعية وقومية ، ونحن على يقين من أن زيادة السكان أصبحت عبئا على الدولة من حيث توفير المساكن والطعام وفرص العمل ، وفى البطريركية عندنا أسقفية للخدمات العامة والخدمات الاجتماعية فيها قسم للأسرة يبذل جهودا كبيرة لتنظيم الأسرة ونشر الوعى بهذه القضية فى كافة أنحاء البلاد ، لأننا نراها ضرورة لصالح الوطن .

❑❑❑

قلت : ورأيكم فى نقل الأعضاء .. ؟

قال :

نقل الأعضاء من الموتى لإنقاذ الأحياء نوافق عليه مائة فى المائة .. لأنه إذا كان جسم الميت سيتحول إلى تراب ، وأعضاؤه سيأكلها الدود ، فمن باب أولى ينتفع بها إنسان لاستمرار حياته .

أما من جهة نقل عضو من إنسان حى فهذا نوع من التضحية .. يضحى إنسان بأحد أعضائه لأجل الآخرين .. إنسان له كليتان يمكن أن يعيش بواحدة فقط ، فإذا تبرع بإحداهما ليعيش بها إنسان مهدد بالموت فما العيب فى ذلك ؟ .. هناك تضحية الإنسان بحياته وقبوله الموت من أجل وطنه ،ويخوض المعارك ويفقد عضوا من أعضائه ويكون ذلك مصدر فخر له ولأسرته ، ويعتبر ذلك بطولة لأنه ضحى من أجل الوطن ..فلماذا نمنع التضحية لإنقاذ إنسان ؟ .. ونحن نحترم تضحية الذين يضحون بحياتهم لإنقاذ الآخرين .. جنود المطافى يتعرضون للإصابات والحريق والموت أحيانا وهم ينقذون الآخرين وهذا من باب الإيثار .. إنسان يجد إنسانا آخر على وشك الغرق فيلقى نفسه فى البحر وينقذ هذا الغريق ، ويغرق هو فنشيد بالتضحية والفداء .. لماذا نمنع التضحية والإيثار والفداء فى نقل الأعضاء .. مع أن احتمالات الخطر فيها محدودة ؟ ! ..

وأقول لك مثلا آخر .. التبرع بالدم .. الدم عضو من أعضاء الإنسان .. والذى يتبرع بكمية معينة من الدم يضعف جسمه وهذا من أجل إنقاذ إنسان آخر ..

قلت : المشكلة التى يثيرها المعترضون هى كيف يتحدد الموت ؟ ..

قال :

نقل عضو وحيد مثل القلب لابد أن يكون بعد التأكد من موت الإنسان موتا طبيعيا .. موت المخ هو الموت وليس موت القلب .. إذا مات المخ ينتهى تماما الأمل فى عودة الحياة إلى الشخص وإن كان القلب يبقى لحظات

ينبض .. وهذا النبض لا يعنى استمرار الحياة .. فالأنسجة تبقى بعد الموت لفترة .. والعين .. وهكذا ..

قلت : هناك خشية أن يتحول الأمر إلى تجارة .. ؟

قال :

هذا يمكن تنظيمه .. عنصر الرضا شرط لابد منه ..كأن يوصى إنسان بالتبرع بأعضائه بعد الموت أو يوافق ورثته على ذلك ..

ومن هنا أنشئت فى أوربا وأمريكا بنوك للأعضاء يحتفظون بها من الأشخاص المتبرعين إلى وقت الحاجة لإنقاذ إنسان يحتاج إلى عضو حيوى .. مثل نقل كبد .. أو كلى .. أو قلب .. أو عين .. وهكذا ..

ووجود قانون ينظم نقل الأعضاء .. ورقابة فنية على الأطباء .. يمكن أن يمنع وجود هذه التجارة .. التجارة مخاوف محتملة تمكن محاربتها فلا نترك إنسانا يموت ويمكن إنقاذه من أجل هذه المخاوف ..

❑❑❑

٢ المسيحية السياسية

فى عام ١٩٩٤ كتب البابا شنودة مقالا فى مجلة الكرازة بعنوان « آداب الحديث والمناقشة » كان يتحدث فيه من حيث الظاهر عن السلوك الأخلاقى المسيحى فى الحوار مع الآخر ، ولكنه كان يوجه الحديث فى الحقيقة وبشكل غير مباشر إلى عدد من الكتاب ورجال الدين المسيحيين وصلوا إلى درجة من الجرأة إلى حد إعلان العصيان على سلطة البابا ، وكان هذا حدثا غريبا لم يسبق له مثيل ، حيث تقضى التقاليد والقوانين الكنسية بأن يصل الخضوع للرؤساء الدينيين إلى درجة التسليم ، وأن يكون للبابا مكان القداسة ، يتلقى منه الشعب البركة ، ويطيع دون تفكير أو مناقشة ..

كان البابا فى مقاله يخاطب هؤلاء الذين أسموا أنفسهم وأسمتهم بعض الصحف التى قامت بدور إشعال الفتيل والنفخ فى النار لتزداد اشتعالا ، وحشد فيه عبارات لها دلالات دينية وروحية يفهمها الأقباط ، فقال مثلا : « إننا يجب أن نقتدى بالقديس انطونيوس الذى كان يخاطب الشياطين فيقول لهم أيها الأقوياء ماذا تريدون منى أنا الضعيف ، وأنا أضعف من أن أقاتل أصغركم » وبهذا اللطف كان يخزى كبرياءهم فينحلون كالدخان .

وبعد ذلك حدد البابا فى مقاله ٢٤ قاعدة أخلاقية مسيحية لآداب الحوار منها : إذا جلست وسط الشيوخ فلا تتكلم ، وإن سئلت عن رأيك فقل

لا أعلم . وقاعدة تقول : كن متواضعا ، وقاعدة أخرى تقول : إن كنت فى حوار وأخطأ واحد فلا تكشفه ،ولا تحرجه ،ولا تتهكم عليه ، وقاعدة تقول : فى حديثك مع الناس لا تضغط عليهم فى معرفة أسرارهم وأسرار غيرهم .. وقاعدة تقول : لا تصدر أحكاما بسرعة بدون فحص .

وفى مقال آخر فى نفس العدد من مجلة « الكرازة » : « أن الراهب الكثير الكلام يدل على أنه فارغ من الداخل . إن الكلام يعطل الصلاة . كان الرهبان بصمتهم يتعلمون الكلام . إنها خسارة كبيرة أن راهبا بدلا من أن يقول كلمة فيها منفعة يقول كلامًا تكون فيه عثرة لغيره ..

وفى مقال فى نفس العدد : « لا شك فى أن الصحافيين والكتاب الأقباط الذين يهاجمون رجال الكهنوت لهم اتجاه بروتستنتى ، شعروا بذلك أو لم يشعروا . إن الأرثوذكسى الصميم الذى ينادى نيافة الأسقف أو المطران بعبارة « سيدنا » ويسجد عند قدميه ، ويقبل يده ، ويطلب بركته ودعاءه ، ويرتل له الألحان فى استقباله عندما يدخل إلى الكنيسة ، هذا لا يمكن أن يشهر بأحد أحبار الكنيسة أو يهينه أو يسىء إلى سمعته .. والأرثوذكسى الصميم إذا شعر بأن أحد رجال الكهنوت غير راض عليه لا يستطيع أن ينام ليله براحة ..

فى نفس العدد أيضا مقال بعنوان .. « خطية العربة المرسيدس » يقول المقال : مع الأسف انتقد بعض أبناء الكنيسة أن يركب الأسقف عربة مرسيدس كما لو أن هذا نوع من الرفاهية ، بينما يعرف الجميع أن العربة أصبحت جوهرية حتى بالنسبة إلى القسيس اتقاء للزفة التى يمكن أن يزفه بها بعض الصبية فى الشوارع . إن الأسقف يحتاج إلى عربة قوية تحتمل

أسفاره الكثيرة ، فبدلا من أن يشكر الأسقف على كثرة تعبه وأسفاره يوجه إليه اللوم أنه يركب عربة قوية . ثم أن كل الآباء الذين يركبون عربة مرسيدس جاءتهم العربة هدية من أبنائهم المحبين ، أما المنتقدون فلا هم ساهموا فى ثمن عربة لأحد آبائهم ، ولا هم سكتوا على تبرع يأتيه من غيرهم .

فى عدد واحد كتب البابا هذه المقالات ، وهذه العبارات ، ومعروف طبعا مدى ارتباط البابا شنودة بالصحافة وحبه لها وممارسته للعمل الصحفى ، إلى حد أنه رئيس تحرير مجلة « الكرازة » التى يصدرها عن الكنيسة وينشر فيها آراءه وأفكاره وأخبار ونشاط الكنيسة ، ويقوم بنفسه بكتابة واختيار المقالات والأخبار والصور ، ويضع العناوين ، وقبل الطبع ينزل بنفسه إلى المطبعة الملحقة بمقر إقامته ليتابع تنفيذ الصفحات ..وهكذا . ومعلوم طبعا أن البابا عضو عامل فى نقابة الصحفيين ، وله مئات المقالات المنشورة فى الصحف والمجلات على مدى ٢٦ عاما ..

ما الذى دعا البابا إلى إصدار هذا العدد الخاص وما تلاه من أعداد ومقالات فى نفس الاتجاه .. ؟

❑❑❑

كان البابا يواجه تيارا ظهر بين بعض المثقفين ورجال الدين الأقباط سموا أنفسهم « المعارضة » ووجدوا صحفا ترحب بنشر آرائهم التى تجاوزت الحدود ، وتجاوزت تقاليد الأقباط فى مخاطبة الكهنة والرهبان ، وشجعت هذه الصحف على بلورة هذا التيار ..

فالدكتور يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ الحديث المعروف كتب يقول : « إن البابا ظاهرة أدت إلى نموها أمور عدة : مثل الدعوة إلى تطبيق الشريعة

الإسلامية ، وانفجار أحداث العنف على أساس دينى ، وزيادة دعم أقباط المهجر » .

وظهر القس إبراهيم عبد السيد لينشر كتبا ومنشورات ومقالات أقل ما توصف به هو الوصف الذى اختاره عنوانا لأحد كتبه وهو : « المعارضة من أجل الإصلاح الكنسى » وله كتب أخرى عناوينها تدل على طبيعة هذا التيار الغريب مثل : « المحاكمات الكنسية » و « أموال الكنيسة من أين ؟ وإلى أين ؟ » .

ودارت كتابات هذا التيار حول ضرورة تحديث نظام الكنيسة لتساير التغيرات فى العصر الحديث وعدم صلاحية نظم يرجع عمرها إلى مئات السنين ..وضرورة وضع ضوابط وإعلان إيرادات ومصروفات وموازنة الكنيسة وتحديد الحدود الفاصلة بين أموال الكنيسة والأموال الخاصة بالأسقف ، وتحريم التعامل باسم الأسقف فى المعاملات المالية ، وإعادة تنظيم إجراءات المحاكمة الكنسية وتوفير ضمانات الدفاع والحياد فى تشكيل هذه المحاكم .

بينما دار رد البابا شنودة على أن هناك .. « اتجاهات بروتستانتية » وأن الكنيسة الأرثوذكسية تواجه حملة من الكنيسة الأمريكية ، وأعلن البابا أن كل المحاكمات التى تمت لبعض القسس كانت موضوعية وعادلة ، وأن البابا لا يمكن أن يحارب شخصا من شعبه ولكنه يحارب فكرا ، وأنه من الطبيعى أن يحاسب من يخطئ ، وسوف يلومه الشعب القبطى إذا وجدوا منه تهاونا فى محاكمة المخطئين .

فى مقالات أخرى قال بعض الكتاب الأقباط : إن هذه الحملة وراءها دوافع بعيدة ربما لا يفطن من يخوضها إلى أبعادها الحقيقية ، وهى موقف

البابا من اليهود عموما ، ومن إسرائيل خصوصا ، وقراره بمنع الأقباط المصريين من زيارة القدس وهى تحت الاحتلال الإسرائيلى .

أثار البعض أيامها تساؤلاً : لماذا نشرت الكنيسة إعلانا مدفوعا فى « الأهرام » عن تجريد الراهب دانيال البراموسى وهو قرار لا يهم أحدا غير الأقباط ..

وأثار الدكتور ميلاد حنا دوامات عديدة فى هذا النهر الجديد .

والدكتور ميلاد حنا أستاذ الهندسة ، والمفكر المعروف ، والشخصية العامة برصيدها السياسى فى أكثر من حزب وأكثر من موقع ، له ثقل وتأثير .. وإضافة إلى ذلك له تاريخ فى العمل الكنسى يسمح له بمعرفة الكثير والتحدث من موقع العليم ببواطن الأمور ، وهذا ما جعل موقفه أكثر تأثيرًا .. فهو – كما قال – مر بأربع مراحل خلال حياته العامة . أولا نشأ نشأة دينية . فكان شماسا فى كنيسة العذراء بشبرا . وكان جده رئيس لجنة الكنيسة ، ثم أصبح الدكتور ميلاد مسئولا عن مدارس الأحد فى نصف جزيرة بدران ، بينما كان البابا شنودة قبل أن يدخل سلك الرهبنة – مسئولا عن النصف الآخر من هذه المنطقة ، ومن هنا نشأت علاقة خاصة ومتميزة بينهما ، ولكنه تفرغ لمستقبله العلمى بينما انخرط البابا شنودة فى الكهنوت . أما المرحلة الثالثة للدكتور ميلاد – كما قال – فقد استمرت ٣٠ عاما وهى مرحلة العلم والعلمانية والاشتراكية ، ثم المرحلة الأخيرة بعد أن اعتقله الرئيس السادات عام ١٩٨٠ فصار فى موقف متعاطف مع قضايا الأقباط .. ولم يذكر الدكتور ميلاد أنه مر بمرحلة خامسة وهى كتابة مقالات فى نقد البابا شنودة ، ثم مرحلة سادسة دعا فيها كل الأقباط إلى الالتفاف حول البابا شنودة باعتباره الرمز لسلطة الكنيسة الروحية والقيادة للأقباط

فى المرحلة الرابعة قال الدكتور ميلاد حنا إنه وجد أن البابا يرغب فى الانفراد وحده بالمكانة دون أى زعيم آخر سواء بين المدنيين أو الإكليروس ، وأبدى هذا لى بوضوح ، وهذا مالا يعجبنى ولا يتفق مع تركيبتى الشخصية ، فآثرت الابتعاد عنه ، وقررت أن أكون شخصية عامة . فهو يرفض أن يتحدث أى شخص آخر عن قضايا الأقباط ، ويعتبر هذا خروجا عن طوع الكنيسة بالمعنى الدينى ، إنه لا يملك روحا رياضية فى الصراع ، وكنت أتمنى أن يتعاون معى ويقبلنى كشخصية عامة .. ولو كنت بجانبه كنت سأكون سندا له ، معاونا ، أحوّل الأزمة الطائفية إلى علاقات وطنية ، أحوّل ثمرات الليمون المتناثرة إلى « ليمونادة » فذلك هو شعار كل حياتى وما أقوله فى كل كتاباتى .

وقال الدكتور ميلاد حنا أيضا : إنه لا توجد قنوات ديمقراطية داخل البنية التنظيمية للكنيسة ، وماساعد على تفاقم المشكلة أن هناك أوضاعا اقتصادية وسياسية ودينية تغيرت فى المجتمع والدولة ، فقد هاجر آلاف الأقباط إلى خارج مصر ، وتوسع نشاط الكنائس القبطية فى المهجر من كندا وأمريكا إلى استراليا واريتريا وكينيا وجنوب أفريقيا ، ولهذه المجموعات تطلعات ديمقراطية ، وفى حين صار للكنيسة تنظيم عالمى لم يزل التنظيم الداخلى للكنيسة المركزية كما هو ، كل شىء يجب أن يمر من خلال البابا ، وهكذا هناك تناقض بين الداخل المحدود والخارج المتفتح . فضلا عن ذلك هناك شرخ بين أجيال الكنيسة ، إذ أبعد المطارنة القدامى إلى أبرشيات ، وحل مكانهم أساقفة شباب ، وزاد عدد أعضاء المجمع المقدس إلى ٦٠ بدلا من ٢٥ ، ومعظم أعضائه من أبناء البابا شنودة ،

فغضب « الحرس القديم » وخلق هذا فجوة بين مدارس فكرية متباينة حول طريقة إدارة الكنيسة وعلاقتها مع الدولة . ومن مصلحة الدولة أن تبقى الأوضاع مستقرة داخل الكنيسة ، لأن استقرار الكنيسة من استقرار الدولة .

وقال الدكتور ميلاد حنا عبارته التى أثارت الكثيرين : « الشعب القبطى فى جيب البابا ، والبابا فى جيب الدولة » . وقال أيضا إن البابا ليس شخصية مرنة ، ولن يتغير شيء . وهناك أزمات أخرى مقبلة مؤكدة ، والذى أحاوله الآن مع آخرين هو دفع البابا إلى إجراء عملية إصلاح كنسى ، وهى مسألة ليست سهلة .

ولم يكن الدكتور ميلاد حنا وحده .

ولكن هذا التيار كله كان يمثل قلة .

أما الأقباط فى مصر فظلوا على حبهم وولائهم للبابا ، يقبِّلون يده ، ويسجدون عند قدميه ، ويلتمسون منه الصلوات والبركة وظل حديث البابا هو المسموع وأمره هو المطاع .

فماذا قال البابا نفسه عن كل ذلك .. ؟

قال :

خلال العشرين سنة من ١٩٧٠ حتى ١٩٩٠ لم يحدث أى نقاش حول الأمور الكنسية ، ولكن بدأت القضايا الداخلية للكنيسة المصرية تتحول إلى مادة إعلامية حتى فى المسائل العقيدية والتنظيمية ، حين أفسحت بعض دور الصحف صفحاتها لقلة من الناس لا يمثلون الكنيسة فى شيء ، فألقى

هؤلاء بمواد لتلك الصحف التى رأت فى نشر مثل هذه المواضيع رواجا للصحيفة وانتشارا للتوزيع . وهنا بدأت المشاكل .

وقال :

الذين يطالبون بالإصلاح فى الكنيسة لم يقولوا شيئا عما يقصدونه بالإصلاح ، وعبارة « إصلاح » مبهمة جدا ، لم يقولوا ما هو الشىء الذى يريدون إصلاحه ؟ ولم يقولوا ما هو منهج الإصلاح ؟ ولم يحددوا النقاط التى يوجد فيها خلل وتحتاج إلى إصلاح .. والحقيقة التى يعرفها الأقباط فى مصر وخارجها هى أن الكنيسة سارت خطوات واسعة جدا إلى الأمام ، وحققت إنجازات كثيرة يصعب حصرها . هناك رسالة للدكتوراه تناولت إنجازات الكنيسة فى ٢٦ عاما تفرغ لها أحد الباحثين الجادين ، فجاءت رسالته فى ثلاثة آلاف صفحة وقال : إنه لم يستطع أن يحصر كل شىء ، وطالب فى نهاية بحثه بإنشاء مركز وثائقى لجمع الأعمال وتسجيل الإنجازات فى الداخل والخارج .. ولذلك فأنا أشعر بمدى حزن الأقباط لما ينشر فى بعض الصحف ومدى سخطهم عليه ، وهم طبعا يقرأون مايكتب لأنهم يريدون أن يعرفوا مايقوله عنى الآخرون بإنصاف أو افتراء .. صدقا أو كذبا .. وأنا التقى كل يوم أربعاء مع مجمع الأقباط فى الكاتدرائية ويعبرون عن رفضهم لما ينشر ، وتأتى وفود من أبرشيات لتعلن هذا الرفض ، ومطران إحدى المحافظات جاء ومعه ١٥٠ من الآباء الكهنة ليعلنوا سخطهم على كل هذا الذى ينشر ، ووردت إلىَّ برقيات لاحصر لها تستنكر ماينشر .

ويقول البابا :

ما هو الإصلاح الذى يريدونه ؟ .. هل يعلمون أن عدد الرهبان تضاعف

عدة مرات من نوعية ممتازة من ناحية الثقافة الروحية ؟ وهل يعلمون كم زاد عدد الكنائس والأديرة وزاد النشاط والعمران فيها ؟ لقد رسمت حوالى ٣٠٠ كاهن فى القاهرة والإسكندرية والمهجر ، و٧٥ أسقفا تقريبا ، وهذا أمر لم يحدث من قبل ، وهل يعلمون حقيقة النهضة التعليمية فى الكنيسة التى أهتم بها كثيرا لأنى كنت أسقف التعليم قبل أن أكون بطريركا ؟

وهل يعلمون أننا أصدرنا ١٠٠ كتاب فى النواحى الروحانية والعقيدية ، وبعد أن كان عندنا كلية واحدة للاهوت أصبح لدينا سبع كليات ومعاهد أخرى فى بعض الأبرشيات ، وكليتان فى امريكا ، وكلية فى أستراليا ، وبعد أن كان لنا سبع كنائس فى الخارج أصبحت لنا ١٤٠ كنيسة وأكثر .

وقال :

أنا أرحب بالحوار ، ولكن هل من المصلحة أن يكون الحوار فى شئون الكنيسة الداخلية فى الصحف ؟ .. الكنيسة أسرة لها خصوصياتها التى لا يصح أن تنشر على الملأ .. والحوار لابد أن يكون فى جو من الحب والرغبة فى التعاون .. فهل ماينشر حوار أو تشهير ؟

وقال البابا :

هل يعرف هؤلاء الذين ينادون بالحوار أنى أدخلت تقليدا جديدا منذ سنوات .. فى كل اجتماع لى سواء الاجتماع العام الأسبوعى فى الكاتدرائية أو الاجتماعات التى أعقدها لكل الأقباط فى الإسكندرية كل أسبوعين أتلقى أسئلة فى نواح دينية ، أو حتى نواح شخصية وأمور عائلية ، ويسود الجو نفسه فى لقاءاتى مع الآباء الكهنة ، وحين أختار كاهنا جديدا أعقد اجتماعا مع شعب الكنيسة وأستمع إلى رأيهم فيه وأوزع عليهم أوراقا وكل شخص يذكر بصراحة وسرية مايريد أن يقوله من ملاحظات .

وقال البابا :

أنا أرد على كل سؤال .. وأقدم بيانات وإيضاحات لكل من يريد .. دون أن نناقش الأمور الداخلية على صفحات الجرائد أو نترك أمور الكنيسة لغير المتخصصين ، فليس كل قبطى قادرا على مناقشة قوانين وأنظمة الكنيسة لمجرد أنه قبطى ، ولكن لابد أن يدرس ويعرف دقائق وتفاصيل وتاريخ هذه القوانين والأنظمة قبل أن يسارع فى الحكم عليها .

وقال :

الذين يقولون : إنهم يمثلون المعارضة فى الكنيسة يقولون : إنه ليس هناك بشر معصوم من الخطأ ، وهذا صحيح ، لماذا إذن يعارضون إذا أخطأ أحد الآباء الكهنة وقدم إلى المجلس الاكليركى فحكم عليه المجلس بالإيقاف بالوقائع .. هل هؤلاء سلطة فوق سلطة الكنيسة .. أو هم أكثر علما ودراية بالوقائع التى بحثها وحقق فيها المجلس الإكليركى .. أوهم أكثر أهلية للثقة من المجلس الاكليركى .. ؟

وقال البابا :

هل تعرف مم يتكون المجلس الاكليركى .. ؟ إنه يتكون من أربعة أعضاء من كبار الكهنة المعروفين ، يعتبرون جزءا من المجلس الملى العام ، يرشحهم البابا ، ويصدر بهم قرار من المجلس الملى ، ويرأسهم البطريرك أو من ينيبه عنه ، وهذه محكمة رسمية لها طابع كنسى ، وفى الوقت نفسه لها طابع قانونى – لأن المجلس الملى مشكل بقانون من قوانين الدولة ، وهذا القانون يحدد تكوين المجلس الاكليركى .. وهذا المجلس ينظر قضايا تحال إليه ويحقق فيها ويعطى الفرصة لكل من يوجه إليه الاتهام لكى يقول ما عنده ، وأحيانا

كثيرة يعترف الشخص بالتهمة الموجهة إليه ويطلب السماح ، ويتعهد بأنه لو رجع يستحق العقاب ، وفى هذه الحالة للمجلس الاكليركى أن يحكم بالوقف بدلا من الشطب ، ويخفف الحكم ..

ويقول البابا :

هذه كلها أمور كنسية .. أمور داخلية .. لم يحدث أبدا أن كانت مادة للنشر فى الصحف إلا فى هذه الأيام .. نحن نحرص على أن تتم فى سرية ولا نسمح بنشر اتهامات ولا أسباب الحكم حرصا على كرامة الذين يقفون أمام المجلس الاكليركى ، ولا نعرف كيف يمكن أن يسمح البعض لنفسه أن يجعل أمور الكنيسة مضغة فى الأفواه ، ولا كيف يصدر هو الحكم بالبراءة ويدين الذين حاكموا وحكموا واستمعوا وناقشوا وعلموا ما لا يعلم .. ؟ هل يريدون أن يجعلونا نفتح الملفات وننشر نحن أيضا .. ؟

يقول البابا :

الذين يكتبون وينشرون لا يعرفون الفرق بين الراهب والكاهن . فالرهبان لهم محكمة خاصة أخرى غير المجلس الاكليركى ، الرهبان لهم لجنة مجمعية مكونة من جميع رؤساء الأديرة القبطية لتنظر فى أمرهم ..

وقال البابا : إجابة عن سؤال عن السبب .. وهل الرفض لزيارة الأقباط إلى إسرائيل له دخل فى الموضوع ؟ :

لا أحب أن أبحث فى أمور ليست من اختصاصى ، ولكن جاءنى من يطلب إلغاء منع الأقباط من السفر إلى القدس لأن شركات السياحة الإسرائيلية فقدت بذلك مصدرا كبيرا للربح ، ومرة أخرى جاءنى رجل من فلسطين

وقال لى : إن لديه مشروعا هو أن تدخل الكنيسة شريكا فى مصنع لتعبئة زجاجات مياه نهر الأردن حيث تعمد السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان فى هذا النهر . ويتهافت المسيحيون على هذا الماء .. فقلت للرجل إن عندى مشروعا آخر ، فالسيد المسيح عاش سنوات فى مصر هو والعائلة المقدسة ، وطبعا شرب من مياه النيل ، وتقدس بشربه منه ، كما تقدس بغطسه .. فلماذا لا نقيم المشروع على ضفاف النيل ونعبئ مياه النيل المقدسة فى زجاجات ؟ .. وانصرف الرجل ..

وقال البابا شنودة :

أنا دائما أحذر .. أن الهجوم على رجال الدين أيا كانوا ، وجعلهم مادة صحفية لابد أن يؤثر على القيم وعلى الوطن ، وسيؤثر على موقع القيادة الروحية ذاتها وليس على أشخاص القادة الروحيين فقط ، ولذلك أقول : هذا موضوع حساس ، وأقول : إن الذين يسارعون بالنشر لا يحققون ولا يدققون .. إنهم ينشرون اتهامات وانتقادات دون تحقيق .. ثم يقولون : لكم حق الرد .. فهل أرد ثم يأتى رد على الرد وندخل فى دوامة جدل عقيم ؟ ..وهل هذا يليق بنا ؟ .. وإذا سكتنا يقولون : سكتوا لأنهم ليس لديهم ما يقولونه .. ولكن أقول عبارة واحدة : هل من الصالح العام أن يكون رجال الدين مادة صحفية ؟ .. وهل الحملات الصحفية هى وسيلة تعامل أبناء الدين الواحد مع قياداتهم الروحية .. ؟

وقال البابا :

اسأل الذين يتحدثون عن شئون الكنيسة ما هو دوركم فى الكنيسة وستجدهم بعيدين عنها .. أقول لهم تعالوا واعملوا مع العاملين واخدموا مع من يخدمون ولا تختاروا هذا الدور لنشر الشك واليأس بين إخوانكم ..

تعالوا وقولوا ما شئتم داخل الكنيسة وليس خارجها .. أقول لهم لماذا تختارون لأنفسكم دور الهدم ولا تختارون دور البناء .. ؟

وقال البابا :

صدقنى ليست هناك معارضة .. صدقنى هذه كلها مبالغات من أفراد يسعون إلى أهداف شخصية .. وهم لا أثر ولا تأثير لهم فى المحيط القبطى .. هناك دائما من يختار لنفسه أن يقوم بدور الشرير ..

❑❑❑

وهل هناك تيار « المسيحية السياسية » فى مواجهة « الإسلام السياسى » .. ؟

يقول البابا شنودة :

ليس هناك شيء اسمه المسيحية السياسية .. فالمسيحية ليس فيها تنظيم سياسى وليس لها دعوة سياسية ..هى دعوة روحية فى الأساس والكنيسة المصرية تاريخيا منذ إنشائها تحرص على الصلاة من أجل رئيس الدولة وقياداتها ، ونحن ندين بالولاء دائما للوطن ، وندعو فى صلواتنا أن يمد الله رئيس الدولة بروح النصر ويلهمه الحكمة والسداد .. إخلاصنا للحاكم أمر عقيدى يوصينا به الكتاب المقدس .. نحن لايمكن أن نكون معارضة للحكم .. ونحن نرفض المعارضة ونرحب بالحوار واختلاف الآراء وتعدد الاجتهادات من أجل الصالح العام .. هذا هو موقفنا الثابت وأساسه فى العقيدة وفى الكتاب المقدس .. وأرجو أن يكون ذلك واضحا ومفهوما ، والهدف الأول للكنيسة هو أن يعيش الفرد فى سلام روحى مع الله ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف لابد أن يعيش فى سلام مع الآخرين أيا كانت دياناتهم

ومذاهبهم ، لذلك لابد أن تكون هناك علاقة مباشرة بين الفرد والكنيسة وبين الكنيسة والمجتمع ، ولا يعنى ذلك أن يكون للكنيسة دور سياسى .. ليس للكنيسة دور سياسى ولكن لها دور اجتماعى .. والكنيسة تعرف الحدود بين ما هو سياسى وما هو اجتماعى ، فلا تتجاوز إلى الدور السياسى .. الكنيسة تساهم فى التنمية وتنظيم الأسرة والتدريب ، وتقدم إعانات للفقراء ، وتوفر خدمات صحية وتعليمية . فهل هذه سياسة ؟

وقال البابا :

أنا مواطن من مصر .. يخدم الله فى الناس ، ويصلى فى الكنيسة للوطن ، ويتطلع إلى السماء من أجل طلب النعمة للأرض كلها .

ثم يضيف البابا :

ليس للأقباط موقف سياسى واحد .. فهم موزعون على كل الأحزاب بنفس النسب التى يتوزع بها المسلمون .. لا فرق .. فالجميع مصريون .. والكنيسة لا تتدخل فى شئون الأقباط السياسية .. لنا موقف واحد غير قابل للمناقشة .. أرض مصر نفتديها ، أما الأحزاب والسياسة فليس للكنيسة سلطان على أبنائها فى مواقفهم واختياراتهم .. ولكن الكنيسة تحث الأقباط على ممارسة دورهم الوطنى بالمشاركة فى الاستفتاءات والانتخابات .

أما ماذا يقولون فيها فهذا متروك لضمير كل واحد فيهم مثل كل المصريين ..

❑❑❑

قلت : تكرر الحديث عن إنشاء حزب سياسى للأقباط ما موقف الكنيسة وهل ترى أن هذه فكرة صائبة ؟

قال :

فى فبراير ١٩٨٩ ظهر إعلان فى بعض الصحف عن تأسيس حزب قبطى من مجموعة تربط معظم أفرادها صلة القرابة ، وفى الإعلان أنهم تقدموا بطلب إنشاء حزب قبطى باسم « حزب السلام الاجتماعى وصيانة الوحدة الوطنية » وكان وكيل المؤسسين يدعى هابيل توفيق سعيد ، ولم تكن هذه أول مرة فى التاريخ الحديث . فقد حدث ذلك قبيل ثورة ١٩١٩ حينما قام أخنوخ فانوس بإنشاء حزب قبطى باسم « الحزب المصرى » .

وحين نشر هذا الإعلان أعلنت رفض الفكرة رفضا باتًا .. وحين دعيت لندوة فى نقابة الصحفيين فى يونيو ١٩٩٠ قلت : إننا لانوافق على قيام حزب دينى مسيحى فى مصر .

الكنيسة لا توافق إطلاقا على إنشاء حزب سياسى مسيحى .. الأقباط باستمرار يعملون داخل الأحزاب العامة فى مصر متعاونين مع اخوتهم المسلمين فى العمل السياسى ، كما حدث فى القديم ، وكما يحدث الآن .. ولا ننسى أن مسيحيا كان مرشحا لعضوية مجلس الشعب على رأس قائمة التحالف الإسلامى ونجح .. ولا مصلحة للأقباط أن يكون لهم حزب سياسى خاص بهم ، ولا يمكن عمليا أن يكون لمثل هذا الحزب نجاح فى أية انتخابات ، فالمسيحيون لا يحبون أن يعملوا منفردين . وهم دائما جزء من نسيج المجتمع المصرى . وقيام حزب مسيحى يمكن أن ينتهى بنا إلى الفرقة وليس إلى الوحدة الوطنية . وكأنهم يجعلون من الدين حاجزا يحول دون انضمام اخوتهم المسلمين إليهم . كما سيكون لحزبهم رد فعل مضاد لا يخدم الوحدة الوطنية ولا السلام الاجتماعى .

وتسألنى عن موقف الكنيسة .. الكنيسة تهدف دائما إلى الوحدة . وإلى تعميق مشاعر الود والتعاون وتذويب الفروق .. والأقباط والمسلمون يعملون دائما معا – جنبا إلى جنب – فى المجال السياسى . لأن لنا جميعا أهدافا وطنية واحدة يحرص المسيحى على تحقيقها . تماما كما يحرص عليها المواطن المسلم . وهنا تأتى أهمية الصف الواحد فى النضال الوطنى وفى العمل الداخلى .. كلنا واحد فى مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وفى الخدمة العامة وفى مواجهة العدو الخارجى .. فما هو تبرير وجود حزب مسيحى إذن ؟ أمام المشكلة الاقتصادية .. هل يمكن أن يكون هناك خلاف بين مسلم ومسيحى على ضرورة التصدى لها ؟ الأقباط ليسوا عنصرا قائما بذاته فى مصر .. هذا المعنى مهم جدا ، ولذلك أقوله دائما ، وأكرره ، لكى أضمن أن يصل إلى كل أذن ويتغلغل فى كل قلب .. الأقباط خيوط متداخلة فى هذا النسيج المصرى الواحد ، يعملون مشتركين مع اخوتهم المسلمين فى كل مجال .. فلماذا إذن ينفصلون فى المجال السياسى ؟

❑❑❑

سألت قداسة البابا :

هل صحيح أنكم تعاطفتم – من بعيد – مع الذين طالبوا بإنشاء دولة للأقباط فى مصر .. ؟

هذه الفكرة الغريبة كان أول من أثارها هو الرئيس أنور السادات فى خطابه عام ١٩٨٠ وأعلن أن البابا كيرلس السادس حينما زار أثيوبيا عرضت عليه هذه الفكرة فغضب وعاد مباشرة إلى مصر . وبمجرد أن استمعت إلى هذه القصة أعلنت بكل الوسائل أن فكرة إنشاء دولة قبطية تدخل فى باب الدعاية أو الخرافة أو اللا معقول ، ومع ذلك ناقشت الفكرة بالعقل :

قلت أولا : هل من المعقول أن الأقباط يتركون جميع مقدساتهم فى القطر المصرى كله لكى يتقوقعوا فى أسيوط ؟ . يتركون أديرة وادى النطرون والبحر الأحمر أقدم أديرة فى العالم .. يتركون أماكن زارتها العائلة المقدسة فى أنحاء مصر .. يتركون الكاتدرائية فى العباسية ومقر الكرسى المرقسى فى الإسكندرية ومقر مار مرقس ورفات القديسين .. يتركون الاحتفالات الضخمة التى يقيمونها فى بلقاس وسنباط وميت دمسيس والرزيقات وفى كل مكان لكى يحشروا أنفسهم فى منفى .. ؟

وقلت ثانيا : إن أمن الأقباط يتحقق فى اختلاطهم بإخوانهم المسلمين فى كل بيت وكل شارع وكل حى وكل قرية ومدينة .. هم معا فى المدرسة والمتجر والشارع .. يختلط المسلمون والأقباط اختلاطا كاملا يندر أن تجد له مثيلا فى العالم بحيث لا تستطيع وأنت تسير فى الشارع أن تفرق بين من هو المسلم ومن هو المسيحى .. أما إذا وضع المسيحيون فى مكان فهذا ضد مصلحتهم .. وضد طبيعتهم .. وضد تكوينهم كمصريين يشاركون أبناء مصر جميعا فى المواطنة فى كل مكان ..

وقلت ثالثا : من المجنون الذى يقول : إن أسيوط تصلح لتكون مقرا لتجمع الأقباط .. هل من المعقول أن يعيشوا آمنين فى مكان تحيط به المنيا شمالا ، وسوهاج جنوبا ، ومحافظة البحر الأحمر شرقا والواحات غربا ؟ .. وهل معقول أن يقول إنسان عاقل – أو مجنون – إنه يمكن أن تصبح مصر ثلاث دول .. دولة فى أسيوط .. ودولة فى شمال أسيوط .. ودولة فى جنوب أسيوط .. وكيف يمكن تنفيذ ذلك عمليا .. والمسلمون لهم أطيان وعمارات ومتاجر ومساكن وجوامع ومقابر ..

كيف يمكنهم ترك ذلك كله .. ؟ وكيف يمكن إخراجهم من أسيوط ؟ هل ستقوم به الدولة أو سيقوم به الأقباط وهل لديهم القوة التنفيذية لذلك ؟

وتوقف البابا لحظة .. رأيت سحابة من الحزن تمر بعينيه وقال :

صدقنى أنا أحزن فى داخلى بقوة كلما سمعت هذا الكلام لأنى أعرف أن وراءه روحا شريرة ونوايا شريرة ضد مصر بما فيها من مسلمين وأقباط .. وهل نحن من ناحية وطنيتنا وانتماءاتنا نتنازل عن لقب مصرى الذى نفخر به لنأخذ لقب أسيوطى ؟ فنترك مصر كلها .. بكل أمجادها وتاريخها وعظمتها لنتقوقع فى حيز صغير ؟

ثم قال :

هذا الكلام لا يردده إلا أعداؤنا .. هدفهم إثارة الخواطر .. وهذه الفكرة لا تصمد للمناقشة العقلية أو المنطقية ..

ثم قال :

أرجو أن يكون مفهوما أنه لا يوجد شىء فى المسيحية اسمه نظام حكم مسيحى .. بل هناك دعوة للأخذ بالقيم والتعاليم والأخلاق التى بشر بها السيد المسيح .

❑❑❑

قلت :

قداسة البابا .. لقد نشر مقال فى أغسطس ١٩٩٢ فى صحيفة « فرانكفورتر الجماتيه » المعروفة فى ألمانيا بمناسبة زيارتكم لألمانيا ،

وفى المقال قال قبطى مقيم فى ألمانيا إنه « رئيس الحكومة القبطية فى المنفى » وإنه سيقابل البابــا ليقنعه بإقامــة « الجمهورية القبطية الفرعونية » .

وابتسم البابا وقال :

نعم أذكر هذه الواقعة .. ولكن بقيتها أنى أعلنت فى ألمانيا استنكارى لهذه التصرفات الخاطئة التى يقوم بها بعض الأقباط خارج مصر ، ووصفت الشخص الذى ادعى بأنه رئيس حكومة الأقباط فى المنفى بأنه شخص مخبول .. والغريب أن أكثر من صحيفة فى ألمانيا نشرت هذه التخاريف طبعا بقصد الترويج لحملات الأباطيل المضللة .. هذا الشخص الذى أعطى هذه التصريحات للصحف الألمانية شخص مجهول .. حين سألت عنه لم أجد له حيثية أو أهمية .. ووواضح أنه مخرف وغير مسئول .. أو أنه كان مستخدما أداة لتفجير الحملات المغرضة وافتعال الفتنة الطائفية .. لا أقول أكثر من أن هذا شخص مريض .. وفكر مريض .. ولا أقول أكثر من أن هناك قوى خارجية من مصلحتها إثارة الفتنة والسعى إلى تحريكها باستمرار سواء بنشر الأخبار المضللة فى الصحف وأجهزة الإعلام الغربية ، أو باستخدم عناصر فى الداخل تؤدى لهم نفس الغرض ..

وقال :

إننا لن نتهاون مع هذه القوى .. وسنقف لها بالمرصاد لكشف افتراءاتها ولحماية الوحدة الوطنية .. وحدة التراب المصرى أمر نموت من أجله .. واستمرار نسيج المعايشة التاريخية بين المصريين دون تفرقة قيمة نحميها بكل قوتنا .

❑❑❑

وأذكر أنه فى لقائنا بالبابا شنودة بدير الأنبا بشوى سأله أحدنا :

يقال : إنه سبق أن طلبتم من الرئيس السادات قبل الخلاف الذى نشب بينكم زيادة عدد الوزراء الأقباط فى الحكومة .. فما مدى صحة ذلك ؟ !

– هذا لم يحدث على الإطلاق ، ولم أطلب من الرئيس السادات شيئا من ذلك .. فأنا شخصيا عندما اهتم بشئون الأقباط لا أهتم بموضوع الوزارات ولكنى أهتم بالقاعدة الشعبية العريضة من الأقباط سواء فى معيشتها أو وظائفها أو رزقها أو فى أمور عبادتها .. أما مسألة زيادة عدد الوزراء فهذه مسائل فردية بالنسبة للأقباط قد تعطى مظهرا وطنيا .. ولكن حياتهم العامة هى موضع اهتمامنا ، ولذلك أؤكد أننى لم أطلب زيادة عدد الوزراء ولا زيادة عدد القيادات ، ولو وجد طلب مثل هذا كان الرئيس السادات أعلنه فى حينه !!

ثم يقودنا تداعى الخواطر وحديث الذكريات إلى أيام حكم جمال عبد الناصر .. فيقول البابا شنودة :

كان جمال عبد الناصر على علاقة طيبة بالبابا كيرلس ، وهو الذى وضع حجر الأساس للكاتدرائية ، وتبرع لبنائها بمبلغ مائة ألف جنيه وكان هذا المبلغ كبيرا جدا فى ذلك الوقت ، ثم قام الرئيس عبد الناصر بحضور حفل افتتاح الكاتدرائية بنفسه .

وقال البابا :

تتردد فى الخارج شائعات حول اضطهاد الأقباط فى مصر ، وهذه أقوال غير مقبولة ، وخيالية ، ومبالغ فيها ، وهل يصدق أحد ما يقال من أن

الأقباط يتعرضون للقتل فى الشارع ؟ .. فكيف أعيش أنا وأتحرك ويتحرك أيضا ملايين الأقباط فى كل المحافظات والمدن والمراكز والقرى .. ؟

إن هناك أصابع خفية تسعى إلى إيجاد تفرقة بين أبناء الوطن الواحد ، وتحاول أن تشككك فى ولاء وانتماء الأقباط .

❑❑❑

قلت : هناك محاولات من بعض الباحثين لغرس فكرة أن الأقباط أقلية .. ما رأيك ؟ ..

قال :

أنا أرفض وصف الأقباط بأنهم أقلية ، وحين ظهرت هذه الفكرة على يد أحد الباحثين المسلمين دعا إلى عقد مؤتمر عن الأقليات عام ١٩٩٤[١] أصدرت بيانا أعلنت فيه رفض عقد المؤتمر ورفض المشاركة فيه ، وحين صمم الباحث على عقده فى الخارج لم يشترك فيه قبطى ، وحين اشتعلت الحرب فى البوسنة عقدت مؤتمرا صحفيا عالميا أعلنت فيه إدانة الصرب فى عدوانهم على المسلمين فى البوسنة ، وطالبت الكنائس فى جميع العالم أن تجاهد لوقف نزيف الدم هناك ، والكنيسة فى مصر حريصة على المشاركة فى العمل الاجتماعى العام سواء فى أعمال التنمية ، أو التوعية الصحية ، ومحو الأمية ، وتنظيم الأسرة ، والمشاركة فى مواجهة الأزمات مثل الزلازل والسيول وغيرهما .. الكنيسة دائما حاضرة ومشاركة فى كل مناسبة وطنية وقومية ..

---

(١) انظر مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ١) .

وعن تدخل أطراف أجنبية لحماية الأقباط ، قال قداسة البابا :

هذه مسألة لايمكن السكوت عليها ..

فى سنة ١٩٩٢ عقدت مؤتمرا صحفيا أعلنت فيه رفضى الكامل لأى تدخل خارجى بحجة حماية المسيحيين فى مصر ، وكان ذلك ردا على سؤال من صحفى أمريكى قال فيه : إن بعض الصحف الأمريكية نشرت أن الأقباط المصريين لهم شكاوى ويطالبون بالتدخل الدولى لحمايتهم .. فقلت : إننا غير مسئولين عما ينشر فى الخارج من بعض أفراد .. نحن مسئولون عما يصدر من الكنيسة .. والكنيسة ترفض هذا الكلام .. لا يوجد أحد يطالب بتدخل دولى .. ونحن بصفة رسمية لا نقبل إطلاقا أن تتدخل دولة أجنبية فى الشئون الداخلية .. والأقباط فى مصر لا يقبلون أبدا التدخل الأجنبى .. ولو تدخلت دولة من تلقاء نفسها فإننا نعلن منذ الآن رفضنا لهذا التدخل ..

ثم قال البابا :

ألا ترى أن هناك مؤامرات تحاك فى الخارج للإيقاع بين المصريين .. مرة بزعم احتياج الأقباط لحماية خارجية ، ومرة بطرح فكرة إنشاء حزب قبطى ، أو محاولة عقد مؤتمر دولى لاعتبار الأقباط أقلية ،وفى كل يوم تظهر هذه المؤامرات فى صورة جديدة ..

أما مؤتمر الأقليات فقد رفضناه ، وأعلنت أن الأقباط فى مصر ليسوا أقلية ويرفضون اعتبارهم أقلية ، كما يرفضون التعامل معهم على هذا الأساس .. الأقباط مصريون مائة فى المائة ..الكلام عن أغلبية وأقلية هو سعى للتفرقة والإيقاع والتمييز ، وتكوين المصريين فيه خصوصية ،وسماحة الإسلام ترفض هذه التفرقة ، والإسلام قائم على أن كل البشر لآدم ..كل البشر من أب واحد وأم واحدة

إننى أقول بوضوح .. وأكرر .. إن مشاكلنا وقضايانا الداخلية نستطيع أن نحلها نحن داخل البلد وبالطريق الديمقراطى .. لا نحتاج إلى مساعدة من أحد .. وليس لأحد أن يتدخل فى سياسة بلدنا .. ولن نسمح لدولة أجنبية مهما كانت أن تتدخل فى علاقات المسلمين والمسيحيين فى مصر ..

وقال :

المسيحيون لهم مشاكل ومطالب .. والمسلمون أيضا لهم مشاكل ومطالب .. والكل مصريون .. ومن حقهم أن يطالبوا .. ومن حقهم أن يجدوا الاهتمام بمناقشة كافة القضايا بأسلوب جدى فى إطار الوحدة الوطنية وفى داخل الأسرة الواحدة .

وحين تطرق الحديث إلى دور الدولة ودور الأقباط فى الحياة السياسية قال البابا :

نحن علاقتنا طيبة جدا مع رجال الدولة .. وأنا التقى بكل القيادات المسئولة تقريبا .. وكل مشكلة نجد لها حلا من خلال العلاقات الطيبة .. أما اشتراك الأقباط فى الحياة السياسية فالأقباط يحبون أن يشتركوا فى كل عمل فى المجتمع المصرى وبخاصة فى العمل السياسى . هذا موضوع يمكن بحثه لنعرف كيف نشجعهم . وإذا كان هناك شعور بأن هناك نفعا فى أى مجال فيجب أن يدعوا إلى ذلك وسوف يلبون ويعملون .. وأنا أدعو المسيحيين للاشتراك فى الانتخابات كواجب وطنى ، ولكن عندما أدعوهم لذلك يقولون : البابا يشترك فى العمل السياسى . والحقيقة أننى لم أفعل إلا أن أحثهم على أن يقوموا بواجبهم ، لأن الاشتراك فى الانتخابات واجب وليس حقا وفقا للدستور والقانون ، نحن دائما نؤدى واجبنا كاملا فى المجالات التى تتاح لنا .. وبصراحة عندما تكون القيادة إسلامية فإنها تخدم

المسيحيين ، ويكون ذلك تسامحا منها ومحبة ، أما القيادة إذا كانت مسيحية فى أى موقع فإنها لاتخدم المسيحيين لأنها تخاف من أن تتهم بالتعصب . وطبيعى أن اختيار القيادات أساسه اختيار الكفاءات دون نظر إلى ديانة هذا وذاك . وإذا اعتاد الجميع أن يعيشوا معا فى محبة فلن تظهر مشاكل .. وأنا أشكر الروح الطيبة وراء كل الكلام الذى قيل الآن .. وأنا أرى أنه يمكن مناقشة كل فكرة بالتفصيل .. كل مانريده هو أن نؤكد المحبة والهدوء .. أعتقد أن المسألة ترجع إلى الجهل من قلة .. لأن المسلم الحقيقى يعرف أن المسلم هو من سلم الناس من لسانه ويده . وإن السلام اسم من أسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن .. وقد يظهر نوع من القيادة الرديئة يسئ استخدام المفاهيم الدينية . وكلما كان قادة الفكر مستنيرين ، سار المجتمع إلى الطريق السليم .

وفى هذا السياق فلازلت أحتفظ بأصل المقال الذى كتبه البابا شنودة للرد على الأستاذ فهمى هويدى عندما نشر مقالا بعنوان المسيحية السياسية عرض فيه كتابا صدر بهذا العنوان وأثار زوبعة وجدلا شديدين فى الأوساط المسيحية لباحث مسيحى شاب هو الدكتور رفيق حبيب ، وهو ابن رئيس الطائفة الإنجيلية الراحل الدكتور القس صموئيل حبيب ، وفى مقال البابا شنودة الذى يجده القارئ فى نهاية هذا الموضوع ؛ توضيح كامل لرؤيته عن المسيحية السياسية يحسم به الجدل الذى يحلو للبعض أن يثيره بين حين وآخر .

واعتقد أن نشر هذا المقال – بنصه – يفيد فى التعرف على الموضوع ، وعلى أسلوب البابا شنودة فى التفكير والكتابة والحوار مع الفكر المخالف .

□□□

كتب قداسة البابا فى مقاله[1] :

« فى هذا الوقت التى تبذل فيه كل الجهود ، لتعميق المحبة بين النفوس ، وترسيخ السلام ، وتضميد جروح الوحدة الوطنية ، نتيجة ماحدث فى المنيا وأبى قرقاص ، طلعت علينا الأهرام بمقال عن (المسيحية السياسية) ، عرضت فيه لأفكار شاب بروتستانتى ثائر على كل الأوضاع ، يلقى الاتهامات بلا حرص وبلا دليل ، ويتعرض لكل القيادات بالاسم ، ليس فى الكنيسة القبطية وحدها ، بل حتى فى كنيسته الإنجيلية ، بل يتعرض أيضا للقيادات الإسلامية وللوعاظ والشيوخ المسلمين ، ولما أسماه «الصراع بين المعممين والمطربشين» . ويحلل شخصيات القادة الدينيين، ويدخل فى نواياهم ومقاصدهم ، ويتخيل لهم أهدافًا ووسائل. ويعزو كل عمل روحى أو رعوى إلى هدف سياسى ..

وكنت أظنه كباحث فى علم الاجتماع ، أو فى علم الأنثروبولوجيا ، يلجأ – كشأن العلماء – إلى البحث الميدانى ، ولايعتمد على مجرد القراءات فى الكتب . فيقابل من حلل شخصياتهم ، ويناقشهم ويتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم ، حتى يكون بحثه قريبا من الحقيقة بقدر الإمكان . ولكنه لم يفعل ، إنما قدم استنتاجاته الشخصية كواقع أو حقيقة .. ! ولم يتورع عن اتهام أى أحد . ونرى فيما نشره فى كتابيه ، وما نشر له فى جريدة الأهرام الغراء ، ما ينافى التاريخ والواقع ..

وقد ذكر الأستاذ فهمى هويدى فى ختام مانشره من كتاب هذا

---

(١) صورة ضوئية لنص مقال قداسة البابا وبخط يده فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ٢) .

المؤلف « أخيرًا فإن توقيت صدور الكتاب الآن له دلالته ، وسط الجدل القائم حول الشأن المسيحى الإسلامى ، خصوصًا وأن القارئ المدقق يلاحظ أنه كتب بقدر من التعجل ملحوظ » .

هنا وأحب أن أذكر بعض تعليقات حول ما نشر .

تعريفات :

بادئ ذى بدء ، أحب أن أقول : إنه فى كل مانكتب ، يعوزنا أن نفهم المعنى العميق لكثير من الألفاظ المتداولة ، ونبحث هذه التعريفات . فمثلا ماهو المقصود بكلمة السياسة ، وما معنى المسيحية السياسية ؟ وما الفرق بين السياسة والوطنية ؟ وأيضا ما معنى التطرف ؟ وهل هو التطرف الفكرى ، أو التطرف الممتزج بالعنف أو بالاعتداء أو الجريمة ؟ ثم أيضا ما معنى العنف ؟ وما حدوده ؟ ثم ما معنى المسيحية فى المقال : هل هى الأرثوذكسية أو المسيحية فى كل الكنائس ؟

تقول مقدمة المقال « المسيحية اليسياسية كما يعرضها الباحث هى التى تتجاوز الروحى إلى المادى ، وتتجاوز العبادى إلى الاجتماعى والاقتصادى والسياسى » . فمن قال : إن هذا التعرف مقبول ؟ ! ما هو التعريف الدقيق لعبارة روحى وعبارة مادى ؟ مثال لذلك : هل الشخص الروحى لايطعم جوعانًا ، ولا يكسو عريانا ، ولا ينقذ شخصًا فى ضيقة مالية ؟ وهل تدخل هذه الأمور فى العمل الروحى أو العمل الاجتماعى أو العمل الاقتصادى ؟ أو نقول : إن العمل الروحى يشمل هذا كله ؟ فالروحانية تدعونا إلى الشفقة والإحسان . والشفقة تعودنا أن نسند المحتاجين فى أعوازهم المادية ، ونساهم فى حل مشاكلهم الاجتماعية وأزماتهم الاقتصادية ..

فهل إذا ساهمت الكنيسة فى هذه المجالات تكون قد خرجت عن عملها الروحى العبادى ، إلى عمل مادى أو اجتماعى ؟ ! وهل تستطيع الكنيسة أن تغلق قلبها عن مساعدة المحتاجين ، بحجة أن عملها هو عمل روحى عبادى ؟ وهل يُقبل هذا منها ؟ ! إن السيد المسيح نفسه كان يعلم الشعب ويكرز بالملكوت ، وفى نفس الوقت كان يطعم الجياع ويشفى المرضى ويعصب المنكسرى القلوب .

وهل لو اقتصرت الكنيسة على العمل العبادى دون الاجتماعى ، هل يتفق هذا مع المركز الاجتماعى الكبير ، أو المؤسسة الاجتماعية الضخمة ، التى تقوم فى المنيا بعمل نبيل تحت رئاسة والد الباحث القس الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية الذى تربطنا به أواصر من المودة والتعاون ؟

وهذا يجعلنا نبحث - فى محبة معًا - ماهو عمل الكنيسة ؟ وإلى أى حد توصف بالسياسة ؟

الكنيسة والسياسة :

ورد فى المقال « والكنيسة فى هذا وذاك ، لا تمارس سلطة ولا وظيفة ، ولا تطمع فى حكم . ولكنها تؤدى دورًا . فيصبح لها رأى وموقف » . والسؤال الآن هو : هل نريد كنيسة بلا رأى وبلا موقف ؟ وإن صارت كذلك ، هل تكون نافعة للمجتمع الذى تعيش فيه ؟ ! وهل تكون أيضا نافعة للدولة ؟ ! . وهنا يتعرض الباحث أو مؤلف الكتاب إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة ، ويقسمها إلى مراحل زمنية . ويبدو التحامل على الكنيسة واضحًا ..

إن تعاونت الكنيسة مع الدولة ، يصفها بالتدخل فى السياسة ! وإن وقفت صامتة مقتصرة على العمل الروحى العبادى وصفها بالانعزال وبالرفض وبالعنف السلبى وإحراج الدولة بابتعادها عنها !!

ماذا تفعل إذن ؟ هل تندمج الكنيسة فى المجتمع الذى تعيش فيه ، وتفرح لأفراحه ، وتتألم لآلامه ، عملاً بقول الكتاب « فرحًا مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين » .. وإن فعلت هذا ، هل تكون قد خرجت عن العمل الروحى العبادى إلى العمل الاجتماعى أو السياسى حسب تعبير المؤلف ؟ ! وإن لم تعمل ، هل يصفها بالانعزال عن المجتمع ، وبرفض المجتمع ؟ ! إنه أمر محير ..

فى ثورة سنة ١٩١٩ يذكر التاريخ بكل إعزاز كيف أن القسس كانوا يخطبون فى الأزهر ضد الاحتلال الانجليزى . وكيف تعاونت الكنيسة والأزهر فى هذا المجال .. فهل كان ذلك خروجًا عن الخط الروحى العبادى ، وتدخلاً فى السياسة تلام عليه الكنيسة ؟ !

أو كان ذلك عملاً وطنيًا . وهنا نسأل عن الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة ؟ وما حدود اشتغال الكنيسة فيهما ؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة بلا رأى بلا موقف ؟ ! وبصراحة نحب أن نسأل : ما هى المواقف التى اتخذتها الكنيسة وتعتبر تدخلاً فى السياسة ؟

إن الباحث يرى أن مجرد إبداء الرأى سياسة !! ونحن غالبا لا نبدى الرأى إلا إذا سألونا . فهل إذا سئلنا نصمت ؟ ! ألا يفهم صمتنا عند ذاك أننا تحت ضغوط أفقدتنا حريتنا الشخصية .

وإن صمتنا صمتًا كاملاً ، ألا نسمع أصواتًا لائمة من كل ناحية تقول « أين دور الكنيسة فى التوعية ؟ ! لماذا تقف هكذا سلبية ؟ ! » هل نجيب بأن المطلوب أن تكون الكنيسة بلا رأى بلا موقف ؟ إننا لا نعمل بالسياسة ، وليس لدينا وقت لها ، ولا هى من اختصاصنا . ولكن هناك مواقف إن صمتنا فيها ، نلام على صمتنا ، ونوصف بالسلبية .

هنا ويتعرض المؤلف ، وكاتب المقال إلى موضوع ذكر الأستاذ هويدى أن « له أهميته » وهو مدارس الأحد ، وجيل مدارس الأحد ، والرموز التى « تخرجت فى وعاء مدارس الأحد » وسنجيب عن تساؤلاته فى هذا المجال ..

مدارس الأحد :

ما هى مدارس الأحد ؟ وما عملها ؟ ومتى نشأت ؟ وهل قامت كرد فعل لقيام الإخوان المسلمين ؟ وهل كان لها نفس دورهم ؟ هذه أسئلة تعرض لها المقال . ونحن نجيب :

مدارس الأحد هى فصول لتعليم الدين فى كل كنيسة ، ولا هدف لها سوى التعليم الدينى ، وتدريب الأطفال على حضور الكنيسة ، وعلى حياة الفضيلة ومحبة الله والناس . إنها جزء من العمل الروحى العادى . العظة للكبار ، أما الصغار فلهم مدارس الأحد . وحاليا نسميها مدارس التربية الكنسية ، وتعقد يوم الجمعة أيضًا .

ولم يحدث فى يوم من الأيام أن تدخلت مدارس الأحد فى السياسة

بأى أسلوب ، ولا كان لها دور سياسى على الإطلاق . وكل هجوم عليها ، لامبرر له ولا دليل .

والشاب البروتستانتى صاحب الكتابين ، يعرف تمامًا أنه توجد مدارس أحد فى كنيسته الإنجيلية وفى كل الكنائس البروتستانتية ، بل فى كل كنائس العالم بلا استثناء ، فى مصر ، وفى الشرق الأوسط ، وفى أوربا وآسيا وأمريكا . لماذا التركيز إذن علينا ؟ !

أما جماعة الأمة القبطية التى خطفت البابا يوساب الثانى فى بداية الخمسينات ، فهى ليست من مدارس الأحد ، ولا تمتُّ إليها بأية صلة . وما قامت به هو مجرد عمل فردى ، ولم يستمر سوى يوم ، وكان منتقدًا من الجميع .

ومدارس الأحد بدأت فى مصر مع بداية القرن العشرين ، وكانت لها جذور فى نظام الكتاتيب التى كانت ملحقة بالكنائس منذ قرون طويلة ، يقوم فيها (العريف) بتدريس الأطفال الدين والطقوس والألحان »

هى إذن ليست رد فعل لقيام الإخوان المسلمين ، لأنها كانت موجودة قبل ذلك بعشرات السنين . وكان عليها أن تستمر فى عملها لتعليم الأطفال سواء قامت جماعات إسلامية من أى نوع أو لم تقم . إنها لا تتدخل فى مثل هذه الأمور .

والأسر الجامعية لم تنشأ فى بداية السبعينات ، كما قال مؤلف الكتابين لكى يربطها بالبابا شنودة . إنما نشأت فى أواخر الخمسينات ، بهدف التعليم الدينى لطلبة الجامعات . وكان أمينها العام هو الأستاذ الدكتور

شفيق عبد الملك .. وذلك قبل عهد البابا كيرلس بسنوات .. والطلبة فيها يجتمعون لسماع الوعظ ، في أقرب كنيسة ، ثم ينصرف كل منهم إلى حاله ، وبهذا لا يكوّنون تشكيلاً معينا . وطلبة كل كلية لايعرفون زملاءهم فى الكليات الأخرى .

مدارس الأحد هى جزء من النظام الكنسى العام ، خاضعة للقيادة الكنسية ، وليست جماعة قائمة بذاتها . يحضرها الطلاب والمدرسون كما يحضرون الصلاة فى الكنيسة .

وتلقى الدروس الدينية فى الكتاب المقدس وسير القديسين والعقيدة ، ويتعلمون الترتيل ، ثم يمضى كل واحد لشأنه . ولا يرتبط العاملون إلا بالتعليم الدينى وحده . وقد جعلها قداسة البابا كيرلس السادس جزءًا من أسقفية التعليم .

لكل هذا ، كانت لكل مدرس فى مدارس الأحد شخصيته ، ومنهجه الفكرى ، وإنتماؤه الخاص فى المجتمع . إنهم داخل الكنيسة جماعة تعلم الدين . أما خارجها فهم مجرد أفراد ، لكل منهم أسلوبه الذى يتفق مع تكوينه النفسى والفكرى وظروفه الاجتماعية واتجاهاته فى الحياة .

التطرف والعنف :

إنه سؤال كثيرًا ما يسأله البعض : هل يوجد أيضا تطرف فى الجانب القبطى ؟ وهنا نسأل : أى تطرف هو المقصود ؟ هل هو تطرف فى الفكر أو تطرف ضد الآخرين ؟ من جهة الفكر ، فى وسط ملايين الناس ، نحن لا نضمن أن يكون فكر الكل سليما ، فقد تجنح أفكار

البعض ، ويكون عمل الكنيسة هو التعليم السليم ، وهداية من تخطئ أفكاره .

أما التطرف الممزوج بالعنف والإيذاء ، فهو غير موجود عند الأقباط . ولا يوجد إطلاقا تطرف قبطى يدعو إلى مثل هذه الأمور . ونحن جميعًا ندعو الناس إلى المحبة والسلام ، وإلى الوداعة والتواضع والهدوء .

وأتذكر أننى ألقيت محاضرة ضد العنف فى أواخر سنة ١٩٧٧

وطبعت هذه المحاضرة فى كتاب لى اسمه (الحروب الروحية) . قلت فيها « إن المسيحية لاتوافق على العنف فى كل صوره ، لأنه سلوك غير روحى وتتركز فيه مجموعة من الأخطاء » . فهو خطيئة مركبة ومنفرة ، وخطيئة عدوانية . وهو دليل على قسوة القلب ، وعلى البغضة ، وعدم ضبط النفس . وهو ضد الوداعة وضد المحبة .

واستثنيت من هذا مواقف تحتاج إلى عنف وحزم من الدولة صيانة للمجتمع وللحق العام « مثل معاقبة الخطاة المستهترين أو المستبيحين ، أو الذين يهددون المجتمع بجرائم تحطمه أو تحطم تراثه وقيمه » « فهناك جرائم إذا لم تؤخذ بعنف ، قد يستهتر مرتكبوها فيكررونها . أما إذا عولجت بحزم وحسم ، فإن المجتمع يتنقى ويتطهر » .

وواضح أن المعاقبة على الجرائم ، وحماية المجتمع من المجرمين هو عمل الدولة .

ولكن الباحث – سامحه الله – حاول أن يستنتج من هذا الموافقة على استخدام العنف فى عبارة أضافها من عنده وهى (الحق القبطى

العام) . وهذا ما لم نذكره مطلقا ولايتفق مع روح المقال ، ونسى قول السيد المسيح « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون » .

واتهم الكنيسة بالعنف السلبى الذى قلنا عنه إنه « مثل الكآبة المستمرة ، والبكاء الدائم ، والإضراب عن الطعام ، والصمت الحزين ، والانسحاب » . وواضح أن الكنيسة لم تسلك فى مثل هذه التصرفات التى تحدث أحيانًا فى المحيط العائلى عند البعض .

ننتقل إلى نقطة أخرى وهى الهوية والشعبية .

الهوية والشعبية :

حسب الباحث أن كل عمل رعوى تقوم به الكنيسة ، وتخدم به أبناءها التى هى مسئولة عن روحياتهم أمام الله ، إنما هو كسب شعبية ، وتأكيد للهوية .. وبذلك خرج من المفهوم الروحى للرعاية ، ومسئولية الأبوة الروحية . واعتبر أن الكنيسة تجذب الناس إليها ، بدلاً من المفهوم الرعوى للكنيسة فى جذبهم إلى الله . وتحدث فى موضوع « شعبية الكنيسة » بدلاً من العمل الرعوى للكنيسة . إنه تفكير عجيب ، لم يستطع أن يصعد إلى المستوى الروحى ، فخرج به إلى السياسة .

أما تأكيد الهوية ، فنحن لسنا فى حاجة إليه مطلقًا . معروف عند الكل أننا أقباط . ولسنا فى حاجة إلى تأكيد أننا أقباط ، وأننا مصريون ، وأننا أبناء لهذا الوطن المحبوب الذى قلنا عنه « ليست مصر وطنا نعيش فيه ، إنما هى وطن يعيش فينا » ...

ختاما :

أحب أن أؤكد للأستاذ فهمى هويدى أنه لاتوجد جماعات فى المسيحية تنادى بالتكفير ولا بالمالكية . وطول خدمتى فى الكنيسة فى أكثر من خمسين عامًا ، لم أسمع عن هاتين العبارتين فى المحيط الكنسى . ولم ألمح لأى منهما وجودًا عمليا . هذه واحدة .

والنقطة الثانية هى أنه إذا انحرف فرد فى وقت ما عن التفكير الكنسى السليم ، فلا يعتبر هذا اتجاهًا أو تيارًا داخل الكنيسة ، أو أنه يمثل مجموعة فيها .

ورأيى فى الكتابين اللذين قدمتهما للجمهور ، أنهما مجرد تفكير شخصى لباحث له حرية التفكير وكنت أود أن حريته لاتتمادى حتى تتعرض لقيادات دينية ، غالبًا لم يعرف الكثيرين منهم وليست له بهم خلطة . ونصيحتى له - كباحث - أن يعيد التفكير فيما نشره .. فكثير من معلوماته لاتتفق مع التاريخ والواقع . وفى رأيى أنها لا تتفق فى شىء مع الصالح العام ..

وختاما أرجو لك صومًا مقبولا ، وعيدًا سعيدًا .. أعاد الله عليكم هذه الأيام بالخير والبركة » .

□□□

قلت : وماذا يقول البابا شنودة عن عروبة الأقباط فى مصر ؟

يقول البابا :

العروبة جزء رئيسى فى تكوين كل الشعب المصرى .. والثقافة العربية والحضارة الإسلامية عنصر رئيسى فاعل فى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا .

عروبتنا لا شك فيها .. نحن مصريون عرب أقباط .. ونحن نرى أن مشاكل العرب لا حل لها بغير وحدة عربية .. والتفكك العربي على مدى التاريخ لايستفيد منه إلا أعداء العرب ..

ثم قال لى البابا :

هل تعلم أن أول شهيد فى حرب ٦ أكتوبر لم يكن شهيدا واحدا ، ولكن كان هناك شهيدان سقطا معا ، فى لحظة واحدة ، وهما متعانقان ، أحدهما المقاتل غريب أحمد ، والتوءم الثانى هو شنودة .. ألا ترى فى هذه الواقعة تجسيدا لكل ما يمكن أن أقوله .. ؟

ثم قال :

فى معارك ١٩٦٧ استشهد اللواء شفيق مترى سدراك ، وقد نشرت الصحف عن المقاتل جورج الذى رفع العلم مع زملائه .. والشهيد نشأت بخيت الذى اختيرت والدته الأم المثالية لمصر فى عيد الأم عام ١٩٧٤ تكريما لبطولة ابنها .. وسأظل أذكر العبارة التى كتبها الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل فى الأهرام فى نوفمبر ١٩٧٣ وقال فيها : « لقد استطاع أحمد وجرجس ، وعويس ومرقص ، أن يواجهوا موشيه وحاييم وآرى .. » ولا أنسى ما جاء فى الأهرام فى نوفمبر ١٩٧٣ أيضا فى تحقيق كبير قالت فيه : « وأقيمت فى كل قطاع من قطاعات الجبهة مصليتان متجاورتان ، واحدة للمسلمين ، والثانية للمسيحيين » ..

وتوقف البابا لحظة كما لو كانت مشاهد هذه الفترة قد عادت تتجسد أمامه .. وقال :

عندما نشب القتال يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ كان أول شىء أن أصدرت بيانا لإعلان تأييد الرئيس والقوات المصرية الباسلة ، وطالبت الجميع بالتطوع

فى الدفاع المدنى والإسعاف والتبرع بالدم وبالمال ، وأقمنا الصلوات فى الكنائس يوميا ابتهالا إلى الله أن ينصر مصر وجيشها .. وعقدت اجتماعات مع الكهنة والجمعيات القبطية لحشدهم لدعم المجهود الحربى . وطلبت من كل كنيسة وجمعية أن تقدم لى تقريرا يوميا عما تقدمه .. بعد ذلك عقدت اجتماعا للطوائف المسيحية بمقر البطريركية وشكلت لجنة لجمع التبرعات ، ولجنة للإعلام الخارجى للاتصال بالكنائس المسيحية فى أنحاء العالم وشرح حقائق الموقف المصرى .. وقمت بزيارة الجرحى فى المستشفيات ، وقدمنا مائة ألف بطانية لوزارة الشئون ، و ٣٠ ألف جهاز لنقل الدم لوزارة الصحة ، وكتبت مقالات كان لها أثر فى الأوساط الإسرائيلية ، ومازال بعض اليهود يثيرون زوابع حولها .. مقال بعنوان : « إننا ندافع عن أراضينا ودفاعا عن الحق » والثانى بعنوان : « أرض سيناء مقبرة الإسرائيليين ، ومقال ثالث بعنوان : « الصهاينة أعداء المسيحية » . واتصلنا بالكنائس الأمريكية لنطالبها بتوعية الرأى العام الأمريكى بعدالة جهادنا من أجل استرداد حقوقنا وأرضنا المسلوبة ، وضرورة تصحيح التحيز الأمريكى .

وقال :

وكذلك كنائس المهجر .. شاركت فى المعركة .. الكنائس المصرية فى لوس انجلوس ونيوجرسى وشيكاغو ونيويورك نظمت اجتماعات وتبرعات وصلوات .. وخرج الأقباط المصريون فى مظاهرات وطنية فى المدن الأمريكية الكبرى وعقدوا ندوات لشرح الحق العربى فى مونتريال وتورنتو بكندا ، وسيدنى وملبورن باستراليا ، وفى نيويورك وشيكاغو فى أمريكا .. ونسقت الكنائس المصرية بالخارج مع السفارات المصرية نشاطها فى جمع التبرعات وشراء الأدوية .. وقام بعض المهاجرين الأقباط باستئجار أوقات فى محطات

التليفزيون الأمريكية لشرح موقف مصر من القضية الفلسطينية وحق العرب فى استرداد أراضيهم المغتصبة ، كما اشتروا مساحات فى الصحف الأمريكية نشروا فيها مقالات تشرح الحقائق للقراء الأمريكيين .. وأقامت الكنائس المصرية فى الخارج قداسات إلهية لطلب النصر من الرب لجنودنا البواسل ..

ثم قال :

لقد أرسلت إلىَّ وزارة الخارجية المصرية خطابا أشارت فيه إلى أن الكنائس القبطية تقوم بجهود طيبة لجمع التبرعات وشراء الأدوية ..

ثم قال البابا :

ولا أنسى زيارتى للجبهة مع عدد من الأساقفة والكهنة وأقمت قداسات فى كنائس مدن القناة ليحفظ الله مصر وشعبها وينصر الحق العربى .. ولا أنسى لقائى مع اللواء أحمد بدوى وكان قائدا للجيش الثالث الميدانى ، وانتقالى فى سيارات القوات المسلحة إلى سيناء ، وانفعالى وأنا أرى المواقع الحصينة فى خط بارليف وقد تهدمت ، وتجولت فى أرض سيناء الحبيبة حتى عيون موسى وممر متلا .. وفى الذكرى الأولى لانتصارات أكتوبر أقمنا مؤتمرا شعبيا داخل الكاتدرائية حضره نواب رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة وقادة القوات المسلحة ، وقمنا بتكريم مجموعة رمزية من ضباط وجنود معركة العبور مسلمين وأقباطا ..

□□□

ثم قال البابا :

المواقف كثيرة .. فى معركة تحرير الكويت شارك المقاتلون المسلمون والأقباط معا .. وكان من ضمن الشهداء المقاتل أمجد صفوت عجيب ، وقد

أمر الرئيس بتكريم خاص له ، وأمر بنقل جثمانه بطائرة حربية إلى مطار أسيوط حيث استقبلته هيئات رسمية وشعبية ودينية ، وشارك فى الجناز الجميع فى بلدته البلينا ، وقرر المجلس المحلى إطلاق اسمه على الشارع الذى ولد فيه ..

ويضيف قداسته :

إن مواقفى ليست مواقف سياسية ، بل هى مواقف وطنية ، وقد عبرت عنها فى إحدى المرات فى برقية أرسلتها إلى الرئيس حسنى مبارك وقلت فيها : « أشكركم يا سيادة الرئيس على محبتكم التى أظهرتموها نحونا فى مناسبات متعددة ، أدام الله لكم هذا القلب الكبير ، وحفظ الله لكم هذه الحكمة ، وأبقى الله مصر على الدوام أمثولة طيبة للمحبة والسلام والأمان يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا بقلب ينبض بحب مصر ، وبروح واحدة تؤمن بإله واحد نعبده جميعا ونسبح باسمه القدوس .. إن بلادنا على الدوام فوق الأحداث ،تجتازها وتخرج منها شامخة نقية ، ونحن نعلن للجميع أن المسلمين والمسيحيين يضعون محبتهم لله والوطن ، ومحبتهم لبعضهم البعض فوق كل اعتبار .

وقال لى البابا :

هذا ما قلته للرئيس مبارك بالأمس ، وأقوله اليوم وكل يوم .

ثم قال :

– إن مصر قلب كبير .. ومبارك قلب كبير ..

هذه حقيقة .

وساد السكون لحظة ..

كنا خلالها فى صلاة شكر لله .

□□□

٣ التعصب والفتنة

دخلت الدير لأول مرة فى شهر رمضان .. !

كانت لدى رغبة قديمة فى أن أشاهد ما يجرى داخل الدير ، وكان الدير بالنسبة لى عالما غامضا ، لا أعرف كيف يعيش فيه الرهبان ، ولا ماذا يأكلون ، ولا كيف يقضون سنوات طويلة داخله ، وبماذا يشغلون أيامهم ولياليهم . وكنت أظن أن دخول مسلم إلى الدير سوف يثير الدهشة ، وربما الاستنكار ، ولكنى فوجئت بترحيب البابا شنودة بأن يحقق لى هذه الرغبة .

كان ذلك فى شهر رمضان فى سنة ١٩٨٧ وكنت أيامها فى الأهرام ، وحين أبديت هذه الرغبة ووجدت الترحيب شجعنى ذلك على أن أطلب من البابا أن يكون معى بعض زملائى من الصحفيين المعروفين فى الأهرام ولديهم نفس الرغبة .

وكان جواب قداسة البابا :

— أهلا وسهلا .. الدير يرحب بزواره دائما ويقدم لهم واجب الضيافة .. بيوت الله مفتوحة دائما لمن يقصدها ..

وأضاف :

— أى دير تحب أن تزور .. ؟

ووقعت فى شر أعمالى ، إذ ظهر جهلى بهذه المسألة ، فلم أكن أعرف حتى ذلك الوقت عدد الأديرة أو أماكنها وأسماءها .. ولم تخف حيرتى الصامتة على فطنة البابا فأنقذنى منها بلطفه :

– هناك أديرة كثيرة .. فى الوجه البحرى مثلا أكثر من تسعة أديرة ، فى صحراء وادى النطرون منها أربعة : دير الأنبا بشوى ، ودير السريان ، ودير البراموسى ، ودير الأنبا مقار .. والباقى فى أماكن متفرقة ..فى منطقة مريوط دير القديس مينا .. فى منطقة شمال قناة السويس دير تل .. وعند بلدة تل العسل دير تل اتريب ، وفى شبين القناطر دير سرياقوس ، وعند بلقاس دير السيدة دميانة .. بخلاف دير سقارة ودير القصير عند طره بالقاهرة ، وأديرة أخرى فى حلوان .. هذا فى الوجه البحرى ..

وسألنى البابا :

– أم تريد أن تزور أحد أديرة الوجه القبلى .. ؟

وأسرعت أقول : لأعفى نفسى من مشكلة الاختيار :

– ليكن الدير الذى يعتكف فيه قداسة البابا شنودة ، ويتولى رئاسته بنفسه .. فتكون فرصة لأرى أين وكيف يعيش البابا فى فترات الاعتكاف .. وأنا أعرف أن البابا يقضى ثلاثة أيام فى الأسبوع فى الدير ويومين فى القاهرة ويومين فى الاسكندرية ، ولا يغير هذا البرنامج الا لضرورة ..

وابتسم قداسة البابا وهو يقول :

– اتفقنا .. سأنتظركم فى دير الأنبا بشوى فى وادى النطرون ..

ثم ختم حديثه مبتسما :

— نقضى اليوم معا ، ونتناول الإفطار معا ..ولس غريبا أن تكونوا صائمين .. فالرهبان يعيشون حياة صوم طويلة ..

ولمع بذهنى خاطر كالبرق :

— إفطار رمضان فى دير .. ! وفى ضيافة البابا .. !

فرصة نادرة .. وتاريخية .. !

فى الطريق كان طبيعيًا أن يدور حديث نسلّى به صيامنا ونهيّئ أنفسنا للزيارة ..دون ترتيب كان الموضوع عن الدير والأديرة .. وملخص ما سمعته إجابة عن أسئلة كثيرة أن نظام الرهبنة فى المسيحية نشأ أول ما نشأ فى مصر ، وأن أول دير أنشىء فى العالم كان فى مصر .. وأن الرهبنة لها فلسفة هى بناء النفس البشرية من جديد على أساس الصفاء الروحى .. فالراهب ينصرف عن ضوضاء العالم وضجيجه ، ويعكف على العبادة إلى أن تصفو نفسه وتتطهر ، ثم يعرف ذاته ، ويعرف بالتالى صفاته ونقاط ضعفه ، إنه يبعد عن الوجود الخارجى ، فيسكن ، وفى السكون يستبطن ذاته ، فتنكشف له ، فيتبينها على حقيقتها ويعلم أمراضها وأدواءها .. وفى الهدوء والسكون يصمت عن الكلام ، فيتكلم الله فيه ، ويسمع حكم الله عليه ، فتتولاه الرهبة والخوف ، ومن هنا جاءت كلمة الرهبنة ، والرهبانية مشتقة من الرهبة التى تتولى العابد بعد أن تتكشف له ذاته ، كما تنكشف له الأنوار العلية .. فالرهبنة فى جوهرها كما قالوا هى .. « الانفصال عن الكل للاتحاد بالواحد » . الرياضات الروحية التى يمارسها الراهب فى خلواته وفى صومعته ، مع ضبط

الشهوات بالصوم والزهد والنسك وحياة التقشف وتدريب النفس على الجوع والحرمان والتجرد .. كل ذلك يصل بالراهب فى النهاية إلى مرحلة تموت فيها شهواته الحياتية ويصل إلى مرحلة الإضاءة والإشراق التى يرى فيها فى ذاته ما لم يكن قد رآه من قبل .. فيتولاه الفرح بعد الفزع ..

الكلام ليس غريبا ..

هو كلام فى الصوفية ، والزهد ، والبعد عن الناس للاقتراب من الله .. كلام كنا نسمعه زمان من الدكتور أبو العلا عفيفى أكبر أساتذة التصوف الإسلامى حين كان يشرح لنا أفكار المتصوفين الإسلاميين العظام .. الحلاج .. وابن عربى .. وابن عطاء الله السكندرى .. وقائمة طويلة من المتصوفة .

قال لى أحد الزملاء همسا وهو يجيب عن تساؤلى :

– طبعا .. التصوف هو التصوف .. فى المسيحية كما فى الإسلام .. هو رغبة فى التجرد عن الدنيا والاقتراب من الخالق .. وهذه الرغبة قديمة فى الإنسانية حتى من قبل نزول الديانات السماوية .. ستجد فى كل زمان ومكان منذ خلق الله البشر مجموعة من الناس تنفصل عن ضجيج العالم ، وتفضل الانعزال والانفراد ، وتختار حياة الفقر طوعا ، وستجد أن النسك نزعة إنسانية قديمة .. طائفة البراهمة فى الهند يعيشون – قبل الأديان – على حياة الوحدة والتقشف الشديد وإذلال الجسد ..

المصريون القدماء كانت لديهم فلسفة متكاملة للزهد .. فعقيدة الحياة بعد الموت أهم عقائد المصريين وهم أول من قال بها فى التاريخ .. وكان الكهنة يخصصون لآلهتهم فترات مختلفة للصوم والعبادة ويمتنعون عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر ..

الزهد فى الدنيا قديم .. والتطلع إلى الاقتراب من الله قديم ..

.. اليهود أيضا كانت لهم جماعات من الزاهدين والنساك .. فى القرن الثانى قبل الميلاد عاشت جماعة منهم كان اسمها « الأسينيين » حول شواطىء البحر الميت ، كانوا يحرّمون على أنفسهم الزواج ويكدّون للحصول على القوت ويتصدقون بما لديهم للفقراء . وكانت هناك جماعة أخرى منهم اسمهم « السرابيوتاى » تعيش خارج المدن فى أكواخ غاية فى البساطة ، ولم تكن هناك أى علاقة بين الفئة الغامضة وبين الرهبنة المسيحية الأولى كما ذهب بعض المؤرخين ..

❑❑❑

طاف بخاطرى تساؤل :

هل لابد لكى نقترب من الله أكثر أن نبتعد عن الدنيا أكثر .. ؟

وإذا انعزل كل الأخيار والأطهار ونجوا بأنفسهم بعيدا وعاشوا وحدهم .. ألا يعنى ذلك أن يخلو العالم للأشرار .. ؟

ولم استسلم كثيرا لخواطرى لأننا كنا قد وصلنا إلى بوابة الدير الضخمة ، وكان صرير البوابة وهى تفتح كافيا لإشعارنا أننا ندخل عالما آخر مختلفا عما هو خارجه ..

وفى الداخل كان ينتظرنا راهب فى وجهه نور هادئ ، وابتسامته من القلب ، فيها حب حقيقى وترحيب حقيقى .. رحب بنا واقترح أن نقوم بجولة داخل الدير قبل أن نلتقى بالبابا .. وبعدها صحبنا إلى الطابق العلوى للدير .

النسمات الطرية تهب علينا رقيقة ، ذهبت حرارة الجو ، وجاءت النسمة الحلوة مع زقزقة عشرات الآلاف من العصافير .. تسبح ربها فى إيقاعات تجعل القلب يخفق ..

سبحانك يارب ..

وأصبح لصيام رمضان طعم جديد فى هذا المكان .. رأيت زملاء الرحلة يتجهون إلى السماء واحدا بعد الآخر .. كأنه فى صلاة قصيرة يناجى فيها ربه ..

من بعيد هلت علينا ابتسامته الواسعة ، خطواته خجول متواضعة ، ولحيته يتسلل اليها المشيب على استحياء .. إنه الأنبا بسنتى أسقف القاهرة .. أهلا بكم ومرحبا .. كل عام وأنتم بخير .. رمضان كريم ..هل رأيتم الدير .. إذا كان هناك أى سؤال أنا تحت أمركم ..

هل رأيتم المشهد العظيم من الدور الثالث .. الصحراء الواسعة حولكم ، ودير الأنبا مقار قريب منا ..وأيضا دير السريان على مرمى البصر .. إن الوصول إليه أسهل بكثير من غيره ..وفيه أجمل الزخارف القديمة كما أن فيه ثروة من المخطوطات القديمة النادرة التى تفيد الطلاب والباحثين فى أبحاثهم ..

ودار حديث حول المخطوطات القديمة ومدى الاهتمام بها فى الأديرة ..
وبدأ يظهر فى السماء خط أحمر عريض .. المغرب يقترب ..
لحظة صمت ، ثم قال الأنبا بسنتى بابتسامته الخجول المتواضعة :
- سيدنا فى انتظاركم ..

❑❑❑

واتجهنا إلى لقاء قداسة البابا شنودة .. كانت الشمس الملتهبة قد هدأت حتى أصبحت بردا وسلاما ..

ونحن فى داخلنا .. والجو من حولنا .. جوقة واحدة تسبح لله ..

الله الواحد المعبود .

حين وصلنا إلى مقر قداسة البابا كان واقفا هناك وحوله مجموعة من الكهنة .. ابتسامته الواسعة .. ترحيبه الشخصى الذى يجعلك تشعر أنك صديقه وأنه ينتظر هذه اللحظة من زمان .. ثم حديث قصير عن الرحلة ومشاهدات الدير .. وإشارة إلى مبان حديثة .. هنا أنشأنا مبانى جديدة .. هنا استراحة للزوار .. وهنا قاعة للاجتماعات ..

تفضلوا إلى السطح لتستريحوا ، وتستمتعوا بسعادة النظر إلى الشمس وهى تتجه إلى الغروب وقد أديتم الفريضة وصمتم لله يوما .. الصوم طاعة وعبادة .. وشكر لله على نعمه وهى كثيرة .. أكثر من أن يحصيها بشر .. الصوم فرصة ليبتعد الإنسان عن الانشغال بجسمه ومعدته . وينشغل بحياة الروح ..

❑❑❑

على السطح جلسنا ..

قداسة البابا شنودة يتجه إلى الشمس ويتأملها لحظة .. ثم تنساب أمامنا خواطره :

بعد لحظة تغرب الشمس وتتركنا .. الحقيقة أن الشمس لا تغرب ولا تتركنا ، الأرض هي التي تتحرك ، ونحن بهذا الجزء من الأرض الذى نعيش عليه نعطى ظهورنا للشمس .. فى الحقيقة نحن الذين نغرب وليست الشمس .. هكذا حال الإنسان .. أحيانا يقول : إن الله نسينى .. الله تخلى عنى .. الله ابتعد عنى .. أبدا .. الله لا يبتعد ولا يتخلى .. الله موجود ينتظر عباده دائما ويستمع إليهم دائما ويستجيب لهم دائما .. لكن الإنسان هو الذى يدير ظهره لله ، الإنسان هو الذى يبتعد عن الله .. الإنسان بيده أن يكون قريبا أو أن يكون بعيدا عن الله ..

لحظة صمت .. الهدوء الكامل يخيم على المكان .. لا أحد يريد أن يقطع على قداسة البابا تأملاته .

— هنا يحس الإنسان بالهدوء الحقيقى .. الهدوء الكامل .. إننى أحب هذا المكان من أجل الهدوء ، ولا أقضى فى القاهرة إلا أياما قليلة .. كل إنسان ينشد الهدوء .. الهدوء هو الأصل فى الكون .. قبل أن يخلق الله الكون كان الله وحده فى هدوء كامل . ملايين السنين مرت بل ما هو أكثر .. والهدوء هو الأصل .. وأخذ الله يعمل فى هدوء ، وكان عمله الأول هو الخلق .. خلق الله الكون ، وعاش الكون فىهدوء .. متى بدأ الكون يفقد هدوءه .. كان ذلك بعد أن خلق الله مخلوقات عاقلة ذات إرادة حرة .. مع خلق الإنسان بدأ الكون يفقد هدوءه .. كان أول فقدان للهدوء بسبب الشيطان .. فقد الشيطان هدوء قلبه فى الداخل حينما داخله

الكبرياء ، فقاد ثورة في السماء ، وطرد الشيطان من السماء ، وبقيت السماء هادئة ، ومن جهة البشرية عاش آدم أولا فيهدوء ، وهو في الجنة ، حتى الوحوش كانت تحيا معه في هدوء ، الحيوانات المفترسة لم تكن مفترسة في أيام آدم .. والعجيب أن الإنسان فقد هدوءه وهو لا يزال في الجنة ، وذلك بعد أن أخطأ .. لما أخطأ خاف وخجل وخاط له من أوراق التين ما يستر عريه .. وطرد آدم وحواء من الجنة ، ثم توالت الخطايا .. وفقد الإنسان هدوءه .. ثم فقدت الأرض هدوءها .. كيف نعود إلى الهدوء ؟ .. هذه هي معركتنا مع الشيطان ، ومع أنفسنا ..

كان الحديث حلوا .. وصوت قداسة البابا هادئا .. ونحن نستمع بهدوء ..

بعد لحظة اتسعت ابتسامة قداسة البابا وهو يقول لنا :

ها قد اكتمل الغروب .. تفضلوا الإفطار .. لا يكفي أن تروا الغروب بأعينكم ، لابد أن تستمعوا إلى أذان المغرب لتطمئنوا إلى صحة صيامكم .

وفتح أحد الكهنة راديو صغيرا فانطلق منه صوت الأذان عاليا يشق الهدوء والصمت ..

وكانت لحظة صمت شعرت معها أن جسمي كله يهتز ..

أحسست معنى الإخوة في الله .. وأحسست حقا أن المؤمنين إخوة مهما اختلفت أديانهم .. إذا كانوا مؤمنين .. ومخلصين .. فهناك شيء يربطهم .. هو الإيمان بالله الواحد .. هناك مساحة واسعة مشتركة بين أصحاب الديانات .. ومساحة الخلاف قليلة .. الحكم فيها ليس من شأن البشر ، ولكن الحكم لله وحده حين يقف الجميع أمامه ..

□□□

وجلسنا حول قداسة البابا نتناول طعام الإفطار فى دير الأنبا بشوى .

بسم الله الرحمن الرحيم .. اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا .. فتقبل صيامنا وقيامنا يا أرحم الراحمين

كرم الضيافة واضح .. قداسة البابا « يعزم » علينا بمودة .. الرهبان يتولون الخدمة .. والبابا لا يكاد يتناول لقيمات .. يبدو أن هذا الطعام لنا وليس لمن يعيشون حياة الدير ..

لحظات وننتهى من الطعام ..

بعد الشاى يقول لنا قداسة البابا : تفضلوا لتصلوا المغرب ثم نلتقى ..

وقمنا نصلى المغرب فى دير الأنبا بشوى .. وبعدها عاد الجمع فى حلقة واسعة حول قداسة البابا بشنودة لتبدأ مع الشاى أيضا ندوة غير مرتبة .. تحدث فيها كل من يريد ، وسأل فيها كل من لديه سؤال . سحر خاص كان يحيط بنا لا أعرف .

كدت أوقن أن ثمة أرواحا ترفرف حولنا وتشاركنا المكان .

ربما كان ذلك بتأثير الجو الروحى الذى كان يملؤنا .. جو رمضان .. الشهر المبارك .. وقد قضينا يومه صائمين وعلى سفر ، وكان ذلك جزاء ما تحملناه من طول الطريق وشدة القيظ .. ومن تطوع خيرا فهو خير له ، وكانت هذه السعادة الروحية التى تفيض بها قلوبنا هى الخير والجزاء ..

ربما كان بتأثير المكان .. دير الأنبا بشوى فى قلب الصحراء وفيه قسيسون ورهبان نذروا أنفسهم لعبادة الله ولا يشغلهم سواه ..

كانت اللحظة كلها سحرا فى سحر .. القمر فوقنا اكتمل وأصبح بدرا ..

والهدوء يلف المكان .. فى وسط الدائرة جلس قداسة البابا شنودة بردائه الكهنوتى الأسود المطرز بصلبان بلون ذهبى وابتسامته تملأ وجهه .. جعلت الابتسامة تعرف طريقها إلى الجميع ، وحوله مجموعة من كهنة الدير يتحركون بهدوء فلا تكاد تشعر أنهم يتحركون ..

❑❑❑

وبعد أن فرغنا من صلاتى المغرب والعشاء ومن تناول الشاى .. بدأت جلستنا مع قداسة البابا وقد أصبحت بالفعل جلسة سمر تضم أصدقاء قدامى يتجاذبون الحديث بلا تحديد للموضوع ولاتحضير للأسئلة .. ولكن غلبنى سؤال طرح نفسه ، عن رأى قداسته فيما يثار حول التطرف باسم الدين . فقال :

بالنسبة للتطرف فهو لا يتفق مع الحق لأنه خروج عن الحق ، والذين يتطرفون قد يتطرفون بطريقة إيجابية أو سلبية .. والمسائل كلها تحتاج إلى توعية لتفهم الناس ما هو الحق وما هو الخير ، والمتطرف غالبا هو إنسان مقيد برأيه ولم يدرس الرأى الآخر ولم يفهمه ويبالغ فى تنفيذ ما يرى أنه خير .. كذلك التطرف فى الفكر وإن كان خطرا ولكن الأخطر منه هو استخدام العنف لتنفيذ التطرف الفكرى .. ونحن نحتاج أيضا إلى أن نعلم الناس كيف أن العنف منفر وأنه ليس الوسيلة السليمة لنشر المبادئ السليمة .. والمفروض أن الإنسان يقتنع بالوضع السليم لا أن يرغم عليه بالقوة وإلا كان داخل الإنسان فى اتجاه وخارجه فى اتجاه آخر . والتطرف يحتاج إلى تعليم وتوجيه من أشخاص موثوق بهم فى عملهم وفى معرفتهم ويحتاج إلى قيادة وإلى اهتمام بالشباب منذ صغره

عندما كان مطواعا فى يد المربين والمرشدين قبل أن يكبر وتكبر نفسه فى نظره .. فالعالم يترك الشباب بدون توجيه حتى يكبروا ثم بعد ذلك ينوح ويبكى على تطرفهم .. وكان الأفضل أن يقودهم منذ صغرهم ومع ذلك فالطريق مفتوح للإرشاد والتوعية والاجتماع بالشباب واحتضانه وحل مشاكله وإقناعه دون مهاجمته . ورأيى أن العنف يدل على قلة الحيلة .

فالأم التى تضرب ابنها لكى تربيه تعلن فشلها عن إقناعه ، وعلى رأى المثل : « من أطاع عصاك فقد عصا لك » .. العنف سلاح خارجى بينما الإقناع سلاح داخلى .. العنف تعبير منحرف عن القوة .. قد يظن البعض – وأحيانا تظن بعض الدول – أن العنف أقصر طريق لتحقيق الغرض ؛ لكن هذا تصور خاطئ ، لأن العنف يولد العنف المضاد ..

ويقول البابا :

سئلت . هل المتطرفون يعبرون عن رفضهم لأمور يرون أنها خطأ فى المجتمع ، فقلت : إن الخطأ لا يعالج بالخطأ . العنف والاعتداء والتخويف خطأ ، والهدف النبيل لابد أن يتخذ وسيلة نبيلة ، والدعوة إلى الخير تكون بالأمر بالمعروف كما جاء فى القرآن الكريم ، وسئلت أيضا عن العوامل الخارجية التى تحرض وتحرك التطرف فقلت : إن واجبنا أن نغرس الوعى ونحمى الشباب من الاستجابة لهذا المحرض الخارجى ، ومن لايساعد نفسه لا ينتظر من الغير أن يساعده ..

وأسأل البابا شنودة : هل تشعر بالقلق من موجة التدين بين المسلمين ؟

قال :

أبدًا .. أبدًا .. أنا أشعر بالعكس .. أشعر بالراحة لذلك .. لأن المسيحيين يكونون فى اطمئنان حين يتعاملون مع مسلمين متدينين يعرفون جوهر دينهم ، لأن الدين يحمى الإنسان من الخطأ والانحراف والشر ، ولكنى أشعر بالقلق من العنف الذى يظهر لأسباب اجتماعية ، وأحيانا تحركه قوى خارجية ، ويحاول أن يظهر بمظهر دينى ، ويدعى أنه تعبير عن الإسلام ، وأنا أعلم جيدا أن الإسلام بعيد كل البعد عن الظلم والإرهاب .

□□□

ووصل الحديث طبعا إلى الجرائم التى يرتكبها من يعتبرون أنفسهم جماعات إسلامية وقال البابا شنودة :

أنا لا أقول : الجماعات الإسلامية ، ولكن : أقول الجماعات المتطرفة . فالذين قتلوا الدكتور رفعت المحجوب وجهوا اعتداءهم إلى شخصية مسلمة ، إذن فالتطرف يوجه عدوانه إلى الجميع . والمتطرفون لا دين لهم .. لأنه لا يوجد دين يحض على القتل والعنف .. وليس هناك دين يدعو إلى انتهاك حرمة أماكن العبادة .. ونحن واثقون من أن مرتكبى هذه الجرائم هم مجرمون احترفوا الإجرام والقتل .

وأحب أن أقول : إننا يجب أن نعمل دائما بالحب ، مثلا عندما بدأت تقليد الدعوة إلى الإفطار فى مغرب رمضان اتسعت المسألة فانتقلت إلى جميع أحياء القاهرة والاسكندرية وسائر المحافظات على امتداد شهر رمضان . الناس تجلس معا فى حب . ويتبادلون التفاهم ، ويختلطون معا ، ويعيشون معا ، وهذا مايحدث منذ قديم الزمان .. المسيحى يسافر فيترك مفتاح شقته

أو رعاية أسرته وأولاده إلى جاره المسلم والعكس .. هذه هى الحالة التى عاش عليها المصريون دائما .. وأذكر وأنا صغير أن أبى كان يزرع أرضه مع جاره المسلم فى أرض واحدة وكانا شريكين فى كل شىء وكانا يتعاملان دون أوراق بمجرد كلمة الشرف . والثقة بينهما كاملة . هذه هى الحياة فى مصر .

وهل يرى البابا أن الإرهاب يهدد وحدة المصريين .. ؟

يقول البابا :

الإرهاب خطر على المجتمع كله ..والكنيسة ليس لها موقف يختلف عن موقف المجتمع المصرى فى إدانة كل صور الإرهاب .. أما وحدة المصريين فلا خوف عليها .. ولا خوف على مصر ووحدتها أبدا .. مصر هى « المحروسة » برعاية الله .. تناوب عليها الغزاة ، وأرادوا بها شرا ، وأراد الله بها خيرا ،وحافظ على وحدة أرضها وشعبها ، ومصر والمصريون جميعا فى حفظ الله من كل شر إلى آخر الزمان ..

وحين سألت قداسة البابا عن وجود هيئات مسيحية متطرفة قال :

صدقنى .. أنا لا أعرف هيئة متطرفة داخل الكنيسة أو خارجها .. أرشدونى عنها وأنا أعالجها ..

ثم قال :

إننى عندما أسافر إلى أوربا وأمريكا وأستراليا وكندا تكون مهمتى رعاية الأقباط ، ولكنى اعتبر رعاية إخوتى المسلمين فى هذه البلاد واجبا على ، ولذلك فى كل بلد أزور المسجد ، وأقابل الشيوخ المسلمين ، وأتناول الطعام معهم ، وألبى دعواتهم لى ، وفى كندا يدعونى السفير المصرى إلى لقاء

بقادة المسلمين من كل البلاد الإسلامية وليس من مصر فقط ، وفى استراليا جاء بعض المسلمين وشكوا لى من تصرفات بعض المسيحيين وجمعت بينهم .. واتفقنا على أن يتعاونوا فى عمل مشترك لصالحهم جميعا . واتفقنا على عقد اجتماعات دورية يلتقون فيها معا فى جمعية أبى بكر الصديق بالاشتراك مع الجمعية المصرية للمسيحيين فى استراليا ، على أن يكون سكرتير الاجتماع هو الكاهن ..

وقال البابا :

فى المهجر سألنى الأقباط لماذا لا أطالب بإلغاء خانة الديانة من البطاقة الشخصية فقلت لهم هذا شيء ليست له أهمية ، فالأسماء تدل على الديانة غالبا ، والمسيحى لا يرى عيبا فى أن يذكر فى البطاقة أنه مسيحى ، ولا يجد مشكلة نتيجة لذلك ، فلماذا نفكر فى هذا الأمر بدون مناسبة .. والمسألة ليست مسألة بطاقة وبيانات .. المسألة هى تعميق المحبة فى القلوب ..

❑❑❑

وأسأل البابا شنودة

وماذا تقول عن الفتنة الطائفية ؟ ..

فيقول :

فى داخلى شعور ويقين بأن هذه الأحداث ليست فتنة طائفية .. مصر ليست فيها مشكلة طائفية .. المسلمون والأقباط بينهم تاريخ طويل مشترك .. وبينهم نقاط التقاء كثيرة .. والشعور الوطنى واحد فيهم بحيث لا تستطيع أن تميز بين القبطى والمسلم فى الوطنية .. واجبنا أن نعمل جميعا على تعميق نقاط الالتقاء ولا نعطى فرصة لمن يحاول إثارة المشاعر من هنا أو

من هناك .. الإعلام عليه مسئولية كبيرة خصوصا التليفزيون .. وللحق فإن شيخ الأزهر يعمل بإخلاص فى هذا الاتجاه وكذلك وزير الأوقاف .. نحن نحتاج إلى استمرار جهد المثقفين والمستنيرين للحفاظ على روح مصر .. روح السماحة والمحبة .. والجهود يجب أن تكون ذات طابع شعبى ويقودها المثقفون ورجال الدين المسلمون والأقباط ..

وكل الأحداث التى وقعت لا تؤثر فى حقيقة مصر .. وإن كانت الأحداث خطيرة فعلا .. ولكنها فى نظرنا لا تعبر عن حال الشعب كله .. والذين قاموا ويقومون بها يريدون إظهارها بحجم أكبر من حجمها الحقيقى .. قد تكون وراءها أهداف سياسية ترتدى ثياب الدين .. على اعتبار أن الدين له تأثير أعمق فى نفوس المصريين .. ولكن على أية الحالات الحزن بسبب ماحدث لن يفيدنا .. والأجدى لنا هو التفكير فى العلاج حتى لا تتكرر الأحداث .. وحتى نضع أساسا لمستقبل من الوحدة تتضافر فيه جهود الجميع ..

ويضيف الباب شنودة :

أنا أحب أن أقول : إن الطائفية لا وجود لها فى مصر ولن يكون ، فلدينا جيش وطنى يقف فيه المسلم مع القبطى جنبا إلى جنب للدفاع عن الوطن ، ولدينا حكومة وطنية كلنا وراءها مسلمين ومسيحيين .. وعندنا رئيس مخلص هو رئيس للجميع ولاشك فى هذا أبدا ، ونحن نؤيده ونباركه وندعو له فى صلواتنا ليوفقه الله فى خطواته السلمية لخير البلاد .

وحدة الشعب مسألة مهمة يجب أن نعمل كلنا مع الرئيس للحفاظ عليها .. التفرقة ليست لصالح أحد ..الانقسام ليس لصالح أحد .. يجب

أن نذكر أن القصد الإلهى فى الخليقة كان هو الوحدة ، فالله خلق العالم كله من أسرة واحدة هى آدم وحواء ، وبعد الطوفان أعاد الله تكوين العالم من أسرة واحدة .. فكلنا فى العالم كله أبناء آدم (أب واحد) ونوح (أب واحد أيضًا) .

والله أراد للعالم أن يكون فكرا واحدا وقلبا واحدا ،ولكن الناس تفرقوا ، وأعطانا الله مثالا جميلا عن الوحدة فى الجسد ، حيث جمع الأعضاء لتتحد معا رغم أنها متعددة ومختلفة فى الوظائف ، ويكون الجسد سليما عندما لا يكون هناك تعارض بين وظائف أعضائه ، فالأعضاء كثيرة وبينها اختلاف ولكن هدفها واحد وتتعاون ..كذلك أعطانا الله مثالا آخر فى الأسرة .. فيها اختلاف ولكن الاختلاف فيه تعاون وتكامل ووحدة ، فالله يريدنا دائما فى هذه الوحدة ، والله خلق فى الإنسان الفكر والشعور ، ويريدنا أن نتحد فى الفكر والشعور ويأمرنا أن نحب بعضنا بعضا ، وفى الإنجيل « الله محبة » ..

وقد عشنا فى مصر فى محبة ..

ولن يستطيع أحد أن يفرق ما جمعه الله .

وإذا أردتم أدلة على مدى قوة الوحدة الوطنية فخذوا موقف الأقباط من الحروب الصليبية .. لقد جاء الغزاة من أوربا رافعين الصليب وادعوا بأنهم رسل المسيحية لإنقاذ القدس من أيدى المسلمين ، فماذا كان موقف المسيحيين المصريين ؟ لقد انضموا إلى إخوتهم المسلمين ضد المسيحيين الغزاة .. وحاربوهم .. واختلط الدم المسيحى مع الدم المسلم دفاعا عن القدس .. الأقباط هنا مصريون أولا وعرب ثانيا .

وخذوا موقف الأقباط المصريين فى ثورة ١٩١٩ .. كل خطوة كان يشترك فيها الأقباط مع المسلمين بلا أدنى تفرقة ، ولذلك ظهر تلقائيا شعار وحدة الهلال مع الصليب ، وكان الذين نفاهم الاستعمار البريطانى مع سعد زغلول نصفهم من الأقباط .. وعندما فرضت الحماية البريطانية على مصر ، كانت بريطانيا تدعى أنها جاءت لحماية الأقلية المسيحية ، لكن الأقباط المصريين رفضوا الحماية ورفضوا الاحتلال ولم يبتلعوا الطعم .

فمصر ليست وطنا نعيش فيه ، ولكنها وطن يعيش فينا .. لحظة أبتعد عنها أجدها فى قلبى .. أجدنى أحملها معى فى كل مكان ، وأعيش فيها وتعيش فى داخلى ، وأنا فى أى بلد فى العالم .. ومن المؤكد أن هذا شعور كل مصرى ، لافرق بين مسلم ومسيحى إطلاقًا فالمصرى مصرى ، وتحت جلد المسلم والمسيحى تجد الدم المصرى واحدًا .. وفى ساحات المعارك تجد هذا الدم الواحد روى أرض مصر كلها من أولها إلى آخرها .

إن أصدقائى المسلمين أكثر من أن أستطيع إحصاءهم .

الدكتور يوسف والى بينى وبينه صداقة كبيرة .. والدكتور عبد القادر حاتم .. والمهندس حسب الله الكفراوى .. وخالد محيى الدين ..

ومن رجال الدين تجمعنى صداقة مع الشيخ الشعراوى .. وعلاقتى بمشيخة الأزهر بدأت فى عهد الشيخ جاد الحق الذى كان يحرص على حضور مأدبة الإفطار فى رمضان التى نقيمها فى الكاتدرائية .. ووزير الأوقاف الدكتور حمدى زقزوق أعتز بصداقته ، ودعانى للحديث فى المؤتمر الإسلامى لأتحدث عن الإسلام والغرب مع فضيلة الإمام الأكبر .

أما أعمق علاقة صداقة فهى مع فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر .. صداقة قوية جدا حتى أننا نتفق فى الرأى فى شتى الأمور .. وقد اعتادت كثير من الهيئات أن تدعونا معا فى الندوات والمؤتمرات ، لأتحدث عن موقف المسيحية ، ويتحدث هو عن موقف الإسلام ، فلا يكون بيننا اختلاف فى الرأى .. وذهبنا معا فى مؤتمر القدس فى أبو ظبى فكان اتفاقنا موضع تقدير المؤتمر .

والإمام الأكبر الدكتور طنطاوى رجل يتصف بالسماحة وسعة الأفق ويتصف بالعدل ، وتعجبنى فيه فضائل عديدة .

وقال قداسة البابا :

على مر العصور لم يحدث أن قامت صداقة بين شيخ الأزهر وبابا الأقباط مثل الصداقة التى تربط بينى وبين شيخ الأزهر الدكتور طنطاوى .. صداقة تخرج عن حدود الرسميات .. وهو يتعامل مع جميع الأساقفة والآباء بمودة ومحبة ويناديهم بالاسم ويعاملهم بمودة عميقة .

وابتسم البابا شنودة وقال :

– هكذا نحن فى مصر .. وهذه هى الروح السائدة بيننا .. وماعدا ذلك فأمور عابرة تنتهى مع الوقت .

□□□

وحين سألته عن رأيه فيما يقال من أن الصحافة كان لها دور فى إثارة الفتنة وخلق مشاكل بين الأقباط والمسلمين قال قداسة البابا :

- لا استطيع أن أجمع الصحافة كلها فى اتجاه واحد .. الحقيقة أن كل صحيفة لها اتجاه .. وأنا لا أتابع كل الصحف والمجلات لكى أحكم عليها جميعا .. وأحب دائما أن أفترض حسن النية .. وأحب أن أقول : إن

الصحافة إذا استباحت بعض الشخصيات وبعض الأمور الخاصة وجعلتها مضغة فى الأفواه تكون مخطئة ..

والصحافة لها دور كبير أساسى فى تثبيت دعائم الوحدة الوطنية ، وبخاصة الجرائد اليومية التى تتصل بفكر الناس ومشاعرهم على الدوام يوما بيوم . إننا نشكر نقابة الصحفيين على مشاعرها وتوجيهاتها . ونود أن يكون للصحافة عمل عميق مستمر فى بناء الوحدة والحب ، ولاشك أن دورها له اتجاهان : اتجاه إيجابى فى تنمية الوحدة واتجاه آخر فى معالجة السلبيات . وكل ذلك بالإقناع والتوعية . وضرب الأمثلة من التاريخ ، وتحليل الجانب الدينى والتركيز على الآيات التى تدعو إلى المحبة وإلى التعامل بالود ، والمجادلة بما هو أحسن ، وتقديم مناخ فكرى طيب يشترك فى بنائه كبار المفكرين ، بأدلة من المنطق والدين ..

والظاهر أن البلد يتحمس كلما تقع أحداث تهز الضمير الوطنى . ويبدو الحديث عن الوحدة الوطنية كما لو كان حديثا للمناسبات فقط ، بينما الوضع السليم أنه يكون حديث الوحدة هو المناخ العام ، وحبذا لو اشتركت فى الكتابة أقلام كثيرة متنوعة مسلمة ومسيحية ..

– الصحافة وحدها تتحمل كل هذه المسئولية ؟ ..

– هناك واجب آخر يقع على المدارس والكليات وكل دور العلم ، فى نشر علاقات المحبة بين الطلاب ، وهم صغار وهم شباب ، حتى ترسخ فى مشاعرهم مبادئ التعاون والمودة ، واحترام بعضهم للبعض ، وعدم التفريق بينهم بأن هذا مسلم وهذا مسيحى . بل التركيز على أن الكل مصريون ، يعيشون فى مجتمع واحد يسوده السلام والحب . وأن الدين –

كل دين – يدعو إلى المحبة . وأن كل إنسان يعطى صورة مشرقة عن مبادئه الدينية عن طريق حسن تعامله مع الآخرين .. ويجب أن ينشأ الطلبة خلال حياتهم الدراسية على نبذ العنف ، بإظهار أضراره لهم ، وتوجيه طاقاتهم إلى العمل البناء مشتركين فيه بعضهم مع البعض الآخر ، مقتنعين أن القوة الحقيقية هى فى كسب محبة الناس وفى خدمتهم ، وليس فى إيذاء أحد ، أيا كان السبب الداعى إلى الإيذاء .

إن أطفالنا عجينة سهلة التشكيل فى أيدى أساتذتهم ومعلميهم ، فليت بلادنا تقيم دورات تربية وتوعية للمدرسين فى كيفية إنشاء وإرشاد الطلاب على مبادئ الحب لا العنف ، ومنح جوائز تقديرية من الدولة للعاملين فى المدارس التى تتفوق فى هذا المجال .

❑❑❑

وحين وصل بنا الحديث إلى مشاكل الشباب فى مصر وما ظهر فيهم من سلوك سلبى قال لى البابا شنودة :

لماذا نتحدث الآن عن مشاكل الشباب . ألم يكن هؤلاء الشباب أطفالا وكانوا فى حضانتنا . ألا يدعونا الإنصاف إلى القول بأن مشاكل الشباب هى من صنعنا نحن وليست من صنعه .. لو أننا أحسنا أداء واجبنا لكان شبابنا قادرا وحده على رفض كل فكر غريب يمكن أن يقابله .. وقادرا على حل كل مشكلة يمكن أن تواجهه .

إذا أردت الحديث عن الشباب فأمامنا موضوعان : موضوع معالجة المشاكل القائمة للشباب حاليا . وموضوع الشباب الذى سيظهر بعد سنوات وتظهر معه مشاكله .. وأعنى به أطفال اليوم وهم – طبعا – شباب الغد .

لابد أن نبحث جميعا – وليس الدولة وحدها – ماذا قدمنا للطفولة .. وأطفالنا الآن فى يد من ؟ وهل المهتمون بهم على مستوى تنشئتهم على الطريق السليم وإعدادهم ليكونوا فى الغد شبابا بلا مشاكل ولا انحرافات ؟ تنشئة الطفل لاتصادفها عوائق لأن طبيعة الطفل تجعله يقبل المبادئ التى تعطى له ولايقاوم . وعقلية الطفل صفحة بيضاء نكتب عليها مانشاء ، فإذا اهتممنا بالطفولة ننشئ جيلا جديدا سليما يصير شبابا قويا بمبادئه بعد حين . وهنا نحتاج إلى اهتمام حقيقى بما نقدمه للطفل من قصص وكتب وأناشيد فى البيت والمدرسة .. وللأسف أغلب قصص الأطفال عندنا عن الخرافات أو العفاريت أو عن بشر من الخوارق .. وأكثرها لا يعطى القيم التى نريد غرسها وتأكيدها .

بالعكس .. إن أكثر هذه القصص تؤدى إلى تكوين شخصية مريضة لاتؤمن بالتفكير العلمى المنطقى .. ولا تتطلع إلى اكتشاف المجهول والسيطرة على الظواهر وإدارة المشاكل بإيجابية .

لقد فكرت أن اطلع بنفسى على القصص المتاحة للأطفال عندنا ، وبحثت فيها .. هل تغرس قيم الرجولة ، والانتماء ؟ هل تقدم له فكرة الوطن بشكل متكامل ؟ فوجدت الإجابة .. لا .. غالبا .. ولذلك أقول : إن الشاب الذى يحطم أو يحرق أو يتلف شيئا من الملكية العامة أو الخاصة .. شاب ضال لم تتكون فى ذهنه فكرة صحيحة عن الوطن .

❑❑❑

ويمتد الحديث ليصل إلى ظاهرة العنف فى السلوك العام .. فى الشارع .. فى العلاقات الخاصة .. فى العمل .. ازدياد درجة العدوان لدى الشباب ..

تلاميذ يضربون المدرسين .. وأبناء يقتلون الآباء .. وشباب يقع فريسة المخدرات وعصابات السطو و « البلطجة » .. ما الأسباب ؟ .. وما الحل ؟

يقول البابا شنودة :

الأسباب واضحة .. قصور فى التربية .. البيت .. المدرسة .. الإعلام .. النادى .. أفلام السينما وقنوات التليفزيون مدارس لتعليم العنف وغرس العدوانية .. وهناك طرق كثيرة للعلاج .. أولها أن نبدأ بمراجعة المناهج والقصص التى تقدم للأطفال فى سن مبكرة ، ونقلل من قصص الإبهار بأبطال العنف .. نقلل من تمجيد القوة والتعامل مع الآخرين بالعدوان .. نقلل من إعجاب الطفل بالمصارعين والملاكمين وطرزان والرجل الأخضر والمرأة الخارقة .. نقدم البديل الذى يعلم الأطفال حياة المحبة والتعاون والتفاهم .. الأسرة والمدرسة والإعلام مؤسسات مسئولة مع المسجد والكنيسة لنعلم الشباب أن الهدف النبيل لابد أن يكون تحقيقه بوسائل نبيلة أيضا .

❑❑❑

وقد تسألنى ما هى القيم ؟ ..

حسنًا لنأخذ مفهوم الحرية .. كيف قدمنا للشباب مفهوم الحرية ، وكيف يفهمه الشباب .. هل الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء دون قيود أو ضوابط ؟ هل الحرية أن تعتدى على حريات غيرك أو على حقوق غيرك أو على النظام العام ؟ .. الحرية مثل النهر .. النهر يحتاج إلى شاطئين لحمايته ، والحرية تحتاج إلى ضوابط لحمايتها وتنظيم ممارستها . والمفروض أن يفهم الشباب الحرية بمعنى روحى .. بمعنى التحرر من الخطيئة ومن العادات الرديئة ومن سيطرة المادة .. الحرية هى حرية القلب وحرية الروح .. وحرية الفكر محكومة بالقواعد الثابتة والمسلمات .

خذ أيضا مفهوم القوة .. هل هى القوة العضلية أو هى قوة الشخصية التى تعتمد على الذكاء والثقافة والقدرة على الإقناع ؟ .. أما مفهوم القوة عندى فهو قوة الإيمان .. قوة الإرادة التى تجعل الإنسان لا يهتز أمام المشاكل .

وخذ مفهوم الحب .. الحب الحقيقى لله ولكل الناس بلا تفرقة ولا تمييز .. والذى يعرف قلبه طريق الكراهية يضل الطريق إلى الله لأن الله محبة .

خذ مفهوم الحق .. هل يعلم الشباب أن أنصاف الحقائق ليست هى الحقائق ؟ . وهل يعرف أن دفاعه عما يراه حقه يجب أن يشمل حق غيره أيضا ؟ نحن نحتاج فى هذه المرحلة بالذات إلى أن نعلّم شبابنا احترام الرأى الآخر وتفهمه ، وأن الإنسان يصل إلى الحق بمعارف كثيرة وليس بمعلم واحد ، ومحب الحقيقة يشبه النحلة فى محبتها لكل الزهور .

❑❑❑

وحين أسأل البابا شنودة :

مع الصداقة التى تربطك بشيخ الأزهر .. هل يمكن أن تعمل الكنيسة والأزهر فى عمل مشترك ؟ ..

يقول :

نعم .. أمامنا مجالات للعمل المشترك بين الأزهر والكنيسة

وأقول لك أولا إننى أعلم جيدا سماحة الإسلام وأستشهد بآية فى القرآن توصى المسلمين بمحبة المسيحيين : ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

لا يستكبرون﴾ .. واستشهد أيضا بالحديث الشريف : « استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم فيهم نسبا ورحما » .. وهكذا فإن طريق التعاون مفتوح ..

نحن والأزهر نتفق فى الهدف وهو تكوين أجيال مؤمنة إيمانا قويا .. وتربية الشباب تربية روحية متكاملة .. التربية الدينية ليست حفظ النصوص الدينية فقط ، ولكن غرس الروح الدينية السليمة بما فيها من قيم التسامح ومحبة الناس جميعا مهما اختلفوا عنا فى الجنس أو اللغة أو الدين .. نحن نحتفل بعيد الأم وفيها نقدم التكريم لكل أم .. مصر هى الأم الكبرى .. وكلنا أولاد لها .. لابد أن نكرمها .. وتكريم مصر أن تظل بلد الوحدة .. المسلمون والمسيحيون فيها شعب واحد بقلب واحد .. وهذا هو واجبنا الأول الذى نستطيع أن نقوم به مع الأزهر ..

نستطيع أيضا أن نتفق على تدريس القيم المشتركة بين الأديان ليتعلم الشباب أن الأديان كلها تتفق فى القيم الأخلاقية والحياة الطاهرة والتعاون بين البشر .. وفى تنقية الروح من الخطايا ..

هذا واجب المسجد والكنيسة ، سواء فى الخطب الرسمية ، أو العظات أو فى اللقاءات العامة والفردية ، وفى كل مايقدمونه للناس من معرفة دينية وأسلوب في التعامل . ينبغى أن تكون المحبة والوحدة فى جوهر أحاديثهم ، باهتمام وبقلب خالص وبقدوة طيبة . وما أجمل أن يظهر رجال الدين المسلمون والمسيحيون معا فى عمل مشترك ، وفى وحدة قلب ، ووحدة هدف ، بل أيضا فى وحدة الوسيلة والأسلوب ..

وقد أعجبنى المجهود الطيب الذى قام به وزير الأوقاف ، والمظهر الطيب الذى ظهر به رجال الدين معا فى المنيا وبنى سويف وغيرهما فى أكثر من

لقاء ، بالروح النبيلة التى ظهرت فى كل توجيهات الرئيس مبارك الذى يحرص على الوحدة الوطنية ويدعو إليها مخلصا فى كل مناسبة ..

وفى رأيى أن بلادنا تحتاج إلى لقاءات كثيرة لرجال الدين المسلمين والمسيحيين معا ، بمشاركة فعالة فى العمل من أجل الوحدة الوطنية ..

فما أسهل أن يعمل المسجد وحده ، وتعمل الكنيسة وحدها من أجل الوحدة والمحبة . ولكن الأثر الطيب يزداد وضوحا وفاعلية كلما عمل المسجد والكنيسة معا فى إطار واحد ، مع ترك الخلافات العقيدية لإيمان كل إنسان على حدة . وليتحدث الجميع فى النقاط المشتركة وهى عديدة جدا ، فى كل مجالات العمل لأجل الإيمان بالله وخدمة الوطن ونشر المحبة فى قلوب الجميع نحو بعضهم البعض ..

ويضيف البابا شنودة :

إن حفظ الوحدة الوطنية وتقويتها ليس واجب رجال الدين الإسلامى والمسيحى فقط ، بل يجب أن تتعاون فيه كل الهيئات الرسمية والشعبية على حد سواء ، بل كل فرد ، وكل جماعة ، وكل نقابة ، وكل مؤسسة من المؤسسات ، لأنه أمر يخص الوطن كله ..

وفى مقدمة ذلك : الواجب الذى ينبغى أن تقوم به وسائل الإعلام ، كالإذاعة والتليفزيون ، وإلى جوار كل هذا ينبغى أن ننبه إلى فائدة الأفلام الوطنية التى تبنى مشاعر المواطنين وتوحدهم فى خدمة بلدهم ..

كذلك يمكن أن يقدم سؤال عن المطبوعات الدينية ومدى مساهمتها فى تقوية الوحدة الوطنية . وليت البعض يقوم بدراسة للكتب التى تبحث

موضوعات دينية . وتخرج عن الأسلوب العلمى إلى الإثارة والهجوم ، أو تمس حساسيات معينة .. وليت الجميع يحرصون على الالتزام بالأسلوب الذى يقوى الوحدة الوطنية ولا يقوضها ..

وهذا الكلام ينطبق أيضا على كل المطبوعات من كتب وجرائد ومجلات . فالمطبوعات لها تأثيرها على النفوس ، إذ تتحول من كلام مطبوع ، إلى فكر وإلى شعور ، وأحيانا إلى عمل وتدبير ..

كذلك ينبغى إلقاء نظرة فاحصة على مناهج التعليم ، والتأكد من أنها تخلو من أية معلومات تثير الحساسيات أو تؤثر على الوحدة الوطنية مع الاهتمام بالأنشطة المتنوعة التى توجد فى المدارس والكليات ، بحيث توجد فيها مشاركة فعلية من الجميع ، فى جو الألفة والتعاون والوحدة ..

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى وهى العمل الذى يقوم به المجلس الأعلى للشباب ، وكل من يساهم فى ريادة الشباب والإشراف على نشاطهم وتوعيتهم . وكيف يمكن أن توجد دراسات وندوات يناقش فيها ما يصل إلى الشباب من أفكار ومن انحرافات ومن شائعات . وعلاج ذلك كله على مستوى الفكر والإقناع . وتقديم القدوة الحسنة للشباب من خلال السير الطيبة التى حفظها لنا التاريخ ، قديمة أو معاصره ..

ويقول البابا شنودة :

من رأيى أن الشباب يحتاج إلى أن تتضح أمامهم مفاهيم معينة تحدد منهجه الفكرى ، وتكون نبراسا له فى علاقته مع الآخرين ..

فعلى الشباب أن يعرف ، وعلينا أن نعرّفه ، أن الله لا يطالبه بما هو

خارج اختصاصه ، وبما هو خارج مسئوليته . وأنه إن كان يحب الحرية لنفسه ، فعليه أيضا أن يحب الحرية لغيره وإن اقتنع بشىء أنه خير ، ووجد من واجبه أن ينشر هذا الخير ، فليكن ذلك عن طريق الإقناع والمنطق ، وليس بالإجبار والعنف . فالإقناع أكثر ثباتا ورسوخا فى أعماق النفس ، بينما الإجبار شىء منفر وفيه قسوة ، وفيه إقلال من قيمة نفسية وإنسانية غيره . طريقة الإقناع هى عمل مع النفس من الداخل . أما الإرغام فهو تغطية الإنسان برداء من الخارج ، وربما يكون قلبه عكس ذلك ..

وعلينا أن نشرح للشباب ، أنه من غير المعقول أن يجمع بين السلطات الثلاث : سلطة التشريع ، وسلطة القضاء ، وسلطة التنفيذ . فيشرع أن هذا الأمر خاطئ ، ويقضى على مرتكبه بالموت أو بإهدار دمه ، ثم ينفذ هذا بنفسه ..

كذلك فإن موضوع العنف يحتاج إلى بحثه ، وإقناع الناس بأضراره . ويمكن إقناعهم بأدلة من الدين والمنطق ، ومن واقع الحياة ، ومن الخبرة أيضا .. والعنف لا يعطى صورة جميلة عن النفس الكاملة المتشحة بالفضائل ، ويمكن أن يسىء إلى البلد وسمعته ، ويسىء إلى الإنسان وسماحته ، ويوجد جوا مضطربا تختفى فيه المحبة ويختفى السلام وهو ضد الحرية أيضا ..

والمعروف أن المعنى السليم للحرية هو أن يمارس الإنسان حريته ، بحيث إنه لا يتعدى على حقوق الآخرين وحرياتهم ، وبحيث إنه يمارس هذه الحرية دون أن يكسر القانون أو النظام العام ..

ونحن نود أن ينشأ كل إنسان على احترام وتوقير السلطات التى منحها

الله ولاية عليه . فيحترم والديه في البيت منذ الصغر ، ويحترم أساتذته ومعلميه فى المدرسة وفى الكلية والمعهد وفى دراساته العليا ، ويحترم رؤساءه فى العمل وفى كل مؤسسة ينتمى إليها وفى كل نشاط يمارسه . والذى ينشأ على كل هذا ، لابد أنه سيحترم أولى الأمر منه ، ويحترم أيضا القانون والنظام ، ومن كل هذا يوجد مجتمع سوى متكامل ، يعرف كل فرد فيه حدود تصرفه . وتوجد فيه أيضا آداب التعامل ، والقيم اللازمة لحماية المجتمع ..

وإن كان الناس لا يحترمون الكبار وأولى الأمر ، فإنهم لابد سيسلكون بلا مبالاة وبلا اكتراث بسلطة ، يحطم كل منهم مايراه مخالفا لفكره أو مخالفا لرغباته .. وما أخطر هذا الأمر على سلامة الوطن وسلامه ، بل ما أخطره على سلامة أية جماعة وأى مجتمع ..

من الأمور اللازمة أيضا لسلامة وترابط المجتمع : التدرب على احترام رأى الآخرين مهما كان مخالفا ، ومجادلتهم بالتى هى أحسن . والتدرب أيضا على الحوار الهادئ غير المتحفز ، بطريقة تريح الآخرين . وعدم اعتبار المخالف فى الرأى عدوا شخصيا تجب مقاومته أو تصفيته !! وما أجمل أن يتصف الحوار بالموضوعية ولا يصبح ساحة للقتال تستخدم فيها شتى الأساليب ..

ولذلك نحن نشجع دائما الكتب الدينية التى تقرب ما بين القلوب وتترك آثارا طيبة فى علاقات الناس ببعضهم البعض . وكذلك المقالات البناءة التى تنحو هذا المنحى ، وتدرب الناس على مراعاة شعور الغير ، وتدعو إلى الترابط والتآخى وتعالج كل تفكك ..

□□□

– هل هذا هو الوقت المناسب لحوار إسلامى مسيحى فى مصر كما يجرى الحوار الإسلامى المسيحى على الصعيد الدولى ؟

يجيب البابا :

نحن في حوار دائم من خلال الحياة اليومية المشتركة .. والمثقفون يجتمعون معا وبينهم تقارب ، وليست لديهم حساسية من أى نوع .. نحن نحب مصر من أعمق أعماق قلوبنا ، ولكن قد تكون هناك أسباب تجعل المسيحيين يهتمون بالأبدية والحياة الروحية ، ويمكنك كصحفى وباحث أن تبحث عن هذه الأسباب ، ونحن لم ندع لحوار إسلامى مسيحى ، ويمكن أن يدور حول نقطتين ، الأولى هى ما هى النقاط المشتركة بين الدين الإسلامى والدين المسيحى لأن البحث عن نقاط الالتقاء سوف يجعلنا ندرك أنها كثيرة جدا . والنقطة الثانية الجديرة بالبحث هى ماهى مجالات التعاون بين الأثنين لتحقيق مصالح البلد . لكن لو دخلنا فى حوار عقيدى فهذا يحتاج إلى أهل التخصص ، والبداية أن يكون البحث فيما نشترك فيه فى المجالات الاجتماعية والأخلاقية والروحية .

فى مثل هذا الحوار يمكن أن يشترك رجال الدين باعتبارهم قيادات ، وهناك أيضا شخصيات عامة تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة ، ويمكن أن يجتمعوا ويتحاوروا ، والمهم أن يصلوا إلى نتيجة ذات تأثير وفاعلية فى تكوين رأى عام يدعم الوحدة الوطنية ، وأنا مستعد لتهيئة مكان هادئ جدا لهذا الحوار وتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح الفكرة .

وحين عاد الكلام عن الحوار الإسلامى المسيحى قال البابا :

إن مثل هذا الحوار يمكن أن يدور حول نقطتين . الأولى هى المسائل المشتركة بيننا ، وهى كثيرة وتحقق تعميقا لنقاط الاتفاق ، والثانية مجالات التعاون التى يمكن أن نشترك فيها ، ويمكن أن نجد مجالات كثيرة نتعاون فيها من أجل مجتمعنا .. من أجل النهضة العلمية ، والتنمية .. هل تظنون

أنه لابد أن نعمل فى السياسة. وندخل مجلس الشعب ؟ .. كلا .. هناك مجالات كثيرة للتعاون والبلد يحتاج إلى جهود وعقول أبنائه فى ميادين كثيرة جدا .

نعم .. المسلمون والأقباط يؤمنون بالإله الواحد ويعبدونه... وهناك من لا يؤمن بالله ويسعى إلى نشر الإلحاد .. هنا يجب أن نعمل معا لمواجهة الإلحاد والفلسفات المعادية للإيمان بالله .. أليس هذا أفضل من أن يحدث الصراع داخل معسكر المؤمنين .. ويتركوا أعداء الإيمان وأعداء الأديان ..

وقال أيضًا :

هناك مجال الأخلاق والقيم الاجتماعية ..الإسلام والمسيحية بينهما اتفاق كامل فى المبادئ والقيم .. ننشرها معا .. ونتعاون فى ذلك ..

وهناك فلسفات وأفكار تدعو إلى الانحلال .. علينا أن نحاربها معا .. المسجد والكنيسة لهما دور تربوى واحد ..

ثم قال :

مساحة الاتفاق بيننا كبيرة جدا .. ومجالات العمل المشترك واسعة جدا .. ونشكر الله لأن فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وزير الأوقاف وفضيلة المفتى متفقون معى فى ذلك . ونحن دائما متفقون ومتفاهمون والحوار بيننا متصل .. ولو كره الكارهون .. !

فلنأخذ دروسا من نهر النيل الذى يعايشنا ونعايشه منذ بداية التاريخ .. هذا النهر العظيم .. أليس أصله قطرات من الماء نزلت مطرا وتجمعت فصارت نهرا .. ألا نتعلم منه أن أى عمل ضخم قد يبدأ بشىء بسيط ، ربما بفكرة ، وعلى رأى المثل .. « أطول مشوار أوله خطوة » .. أول خطيئة بدأت بمجرد حديث بسيط مع الحية ، وأكبر مشاجرة ربما تبدأ بكلمة .

نتعلم من نهر النيل أن نقطة الماء اللينة الناعمة ، إذا سقطت بمتابعة واستمرار على صخر أو جبل ، أمكنها أن تحفر فيه طريقا ، فنأخذ درسا مهما عن المثابرة .. هذا الماء يحمل الطين ويبدو لأول وهلة عكرا ولكنه يحمل الغرين الذى هو سبب خصوبة مصر وهو الذى كسا رملها بالطين . هذه المياه العكرة تحمل . الخير .. وفى البدء كانت المياه تنسكب على الجانبين وتكون مستنقعات ، ولكنها مالبثت أن تعمق مجراها شيئا فشيئا على مدى الزمن الطويل حتى استقرت .. يعطينا هذا الأمر فكرة عن التدرج والصبر على النفس حتى تصل إلى استقرارها بعد حين .

لحظة صمت طويلة ليعود قداسة البابا إلى تأملاته ولكن حول فكرة أخرى ، لا تبدو بعيدة عن الموضوع : ليقول : نظرة الناس إلى الخطأ والصواب تختلف من شخص إلى آخر حسب تواضع القلب أو كبريائه .. الإنسان المتواضع يركز بحثه حول أخطائه الخاصة .. وإذا توجه باللوم فإنه لا يلوم إلا نفسه .. أما غير المتواضع فلا تشغله سوى أخطاء الآخرين فتشغل كل فكره وكل حماسه .. إنه ينصّب نفسه رقيبا على الناس ، يرقب الآخرين ويحاسبهم ، ويشغل نفسه بمنصب القضاء ، فيقيم نفسه قاضيا على الناس ويصدر أحكامه عليهم .

إنه دائما يلوم الآخرين ولكنه لا يقبل أن يلومه أحد ، ولا يلوم نفسه . إنه ينتقد الآخرين ، ولا يقبل النقد .. نفسه أمام نفسه بلا خطيئة ، والخطيئة فى نفوس الآخرين فقط .. لهذا من الصعب على مثل هؤلاء أن يقبلوا نصيحة .. فى نظرهم ما الذى يفهمه الناس أكثر منهم حتى ينصحوهم به .. ولذلك يقول سليمان الحكيم .. « على فهمك لا تعتمد .. لا تكن حكيما فى عينى نفسك » ..

قال البابا وهو يتطلع إلى النجوم وهى تلمع فى السماء الصافية فوقنا :

– ليس هناك ما يمنع المسلمين والمسيحيين من أن يعيشوا فى المحبة والتعاون .. فقد عشنا معا نسيجا واحدا ومازلنا وسوف نبقى هكذا ، ولن يفلح الذين يحاولون إيجاد التفرقة أو إثارة الفتنة بين شعب واحد بتكوينه وطبيعته وتاريخه .

وهناك جماعة تجتمع على الشر وجماعة تجتمع على الإيمان والمحبة ، وستجد فى كل جماعة من هذه وتلك من يؤمنون بأديان متعددة .

والمؤمن حين يلتقى مع مؤمن من دين آخر يشعر أن بينهما رباطا مشتركا ، فهم يجتمعون والله معهم .. ومهما اختلفت دياناتنا لاتختلف فى المبادئ .. فالضمير موجود قبل أن يوجد الدين .. فكيف كان يعيش الناس قبل أول شريعة وهى شريعة موسى بآلاف السنين .. كانوا يعيشون بالشريعة الفطرية الكامنة داخل الإنسان منذ بدء الخليقة وهى الضمير .. هابيل حين قتله أخوه كانت هذه جريمة .. وشعر القاتل أنه ارتكب جريمة ولم تكن هناك وصية تقول : لا تقتل ..

يوسف الصديق رفض الخطيئة ، ولم تكن هناك وصية تقول : لاتزنى .. ولكن كان هناك « الضمير » .. كل الناس يحكمهم الضمير .. ولكن هناك ضمائر يقظة وسليمة ، وهناك ضمائر مريضة أو ميتة ، والشرائع كانت دائما تتجه إلى الضمائر السليمة .

هدوء ليل الصحراء يغرى على الاستغراق فى التأمل .. وهلال رمضان فوقنا الذى أصبح بدرا يملأ الصحراء بالنور يدفع التأمل إلى فريضة الصوم وينساب صوت قداسة البابا .

فى فترة الصوم يليق بالإنسان أن يتدرب على ضبط النفس ، كما يدرب

نفسه على ضبط الجسد ، ضبط النفس بأن يمنع الإنسان نفسه عن شيء يشتهيه أو شيء ينفعل به ، فلا يستسلم لشعور أو لدافع ، وإنما يحكم الإنسان نفسه كما قال الحكيم : « من يحكم نفسه خير ممن يحكم مدينة » .. التدريب مهم .. أن يضبط الإنسان نفسه وقت الغضب ، يضبط قلبه من الحقد والغيظ والكراهية ، يضبط لسانه عن الإيذاء والإهانة .. يضبط نفسه من الانفعال والاندفاع والتسرع .. فلا يتكلم بسرعة ، ولا يبدى رأيه بسرعة ، ولا يقاطع غيره فى حديثه ، ولا يصدر حكما دون التأكد من صحته أولا .

ويمضى الليل فى حوار وتأملات .. حديث يطول ربما نعود يوما إلى ماتبقى منه .. إلى أن نفيق إلى أن الليل انتصف .. تذكرنا ساعاتنا فجأة ، فإذا عقاربها جرت دون أن ندرى .

❑❑❑

وعند مشارف القاهرة كانت مآذنها العالية تتلألأ بالأضواء ، تتخللها أضواء أبراج الكنائس .. وكان البدر فى السماء قد أصبح أكثر نورا وكانت السماء صافية .. لم تكن ثمة سحابة واحدة يمكن أن تحجب عنا نور السماء !

❑❑❑

الفصل الثالث

الأقبـــاط في المهجر

الأقبـاط فى المهجـر

قلت لقداسة البابا شنودة بعد رحلة طويلة بدأها بزيارة بريطانيا ؛ ثم زار بعدها أمريكا وقضى فيها أسبوعين :

هذه هى الرحلة الثانية إلى أمريكا هذا العام .. والبعض من الأقباط يتساءلون لماذا يسافر البابا كثيرا إلى أمريكا .. حتى أن أحدهم كتب يقول هل أصبح البابا شنودة بابا الإسكندرية وأمريكا ؟

وقال لى البابا بهدوئه المعهود :

— الكلام سهل .. والعمل صعب جدًا .. لو أنى لا أسافر فسوف يقول البعض لماذا يهمل البابا رعاية أبنائه الأقباط فى المهجر ؟ .. ولو سافرت فسيقول البعض لماذا يسافر كثيرا ولم يسبق فى تاريخ الكنيسة أن سافر البابا إلى كل أنحاء العالم تقريبا مثلما فعلت ؟ .. وهؤلاء لا يعرفون أن الدنيا تغيرت .. والمصريون تغيروا .. وسأقول لك الموضوع بالتفصيل ومن البداية .

وبدأ البابا شنودة يشرح لى بالتفصيل .. قال :

عندما بدأت هجرة المصريين إلى أمريكا تزداد فى الستينيات ، كان طبيعيا أن يكون من بينهم أقباط ، وكان طبيعيا أيضا أن يفكروا فى إنشاء كنيسة لهم ليحافظوا على مذهبهم الأرذوكسى حيث لاتوجد كنائس أرذوكسية فى أمريكا .. وكانت أول كنيسة تأسست فى الولايات المتحدة هى كنيسة مار مرقس فى جرسى سيتى بولاية نيوجرسى الملاصقة لنيويورك ، وكان ذلك

فى عام ١٩٦٤ ، وفى هذا العام كوَّن الأقباط فى هذه المدينة جمعية أسموها « الجمعية القبطية » ، وكان يذهب إليهم كاهن مصرى كل شهرين ليرعاهم ولإقامة الصلوات ، وهذا الكاهن نفسه كان يرعى أقباط كندا أيضا . وفى عام ١٩٦٨ سجلت ثانى كنيسة قبطية للمصريين فى نيويورك ، وفى سنة ١٩٧٠ أنشئت كنيسة فى نيويورك .. وهذا كل ماجرى إلى أن توليت فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٧١ فبدأت فى العمل على مد رعاية الكنيسة المصرية إلى كل المصريين المقيمين فى الخارج سواء فى أمريكا ، أو دول اوروبا وأسيا وأفريقيا .. وسرت فى هذا شوطًا بعيدًا سأحكى لك عنه فيما بعد .. لكى يبقى الحديث الآن محصورا عن أمريكا .. فى سنة ١٩٧٥ بدأت خدمة كنيسة فى كليفلاند بولاية أوهايو وزرتها فى مايو ١٩٧٧ وتضم قاعة ومسرحا وفصولا للتربية الكنسية ومسكنا للكاهن ، وتقع على مساحة ثلاثة فدادين .. ثم بدأت كنيستين فى مدينتى كولمبس ودايتون بولاية أوهايو ، وكنيسة فى شيكاغو بدأت خدمتها سنة ١٩٧٥ وزرتها عام ١٩٧٧ وعينت لها أحد القسس ، وبعد ذلك أنشئت كنيسة ثانية فى شيكاغو بدأت فى ٨٦ ، وفى عام ١٩٨٩ أنشئت كنيسة ثالثة فى شيكاغو ، وبعدها أنشئت كنيسة فى كانساس ، ثم فى ديترويت عام ١٩٧٩ وزرتها عام ١٩٩٤ ، ثم كنيسة فى مدينة مينا بوليس بولاية مينيسوتا ، وكنيسة فى مدينة سانت لويس بولاية ميسورى ، وفى مدينة دنفر بولاية كولورادو ، ولوس أنجلوس أصبح لنا فيها كنيستان ، وفى منطقة بلفلاور ، ومنطقة أورانج كاونتى ، وسان فراندو فالى ، وكوفينا ، وتورانس ، وريفرسايد ، وفنتورا ، وكورونا ، وسانتامونيكا ، وسان دييجو ، وسكرامنتو فى كاليفورنيا ، وفيكتور فيل ، ونكستر فى كاليفورنيا أيضا ، وبالمديل ، وسان فرانسسكو ، وبيكر سفيلد ، وسياتل ، وهونولولو ، ثم كنيسة أخرى فى سان فرانسسكو .

وفى منطقة جنوب كاليفورنيا بدأ إنشاء دير فى عام ١٩٧٣ كان على

مساحة ٤٠ فدانا ، ثم ازدادت مساحته فأصبح ١٢٠ فدانا ، ثم أصبحت ٢٤٠ فدانا ، زرته لأول مرة عام ١٩٧٧ ، وكلفت نيافة الأنبا انطونيوس مرقس أثناء وجوده فى لوس أنجلوس بتكملة تعميره ، فقام بالتعاون مع أقباط لوس أنجلوس بإقامة مبنى يضم كنيسة صغيرة وحجرتين للزوار ، ومكتبة ، وقاعة اجتماعات ، ومطبخا ، ودورات مياه ، وقلالى للرهبان (القلاية مكان متواضع يعكف فيه الراهب للتأمل والعبادة) وافتتح هذا المبنى عام ١٩٨٨ ، وفى سنة ١٩٨٩ تم اختيار أربعة من الرهبان لتعمير هذا الدير ، وافتتحت هذا الدير رسميا يوم ٦ نوفمبر ١٩٨٩ بحضور أحد عشر أسقفا . وفى سنة ١٩٩٠ اشترى هذا الدير مساحة أخرى تبلغ أربعين فدانا أقام عليها بعض البيوت للضيافة والخلوة ، وفى عام ١٩٩٣ قرر المجمع المقدس اعتبار هذا الدير ضمن أديرة الرهبان ، وتم تعيين أسقف للدير ، وكان هذا أول دير للرهبان المصريين فى أمريكا ، يستقبل الأقباط ليقضوا فيه وقتا للعبادة والخلوة والحياة الروحية . ويجدوا الرعاية من الرهبان .

أما فى جنوب الولايات المتحدة فقد أنشئت كنيسة فى داتيونا بيتش قمت بتدشينها عام ١٩٩١ ، وفى أورلاندو قمت بتدشينها عام ١٩٩٢ ، وقبل ذلك فى تامبا فى ولاية فلوريدا بدأت خدمتها عام ١٩٨٦ ، وفى كلير ووتر ، وبومبا نويتش قمت بتدشينها عام ١٩٩٢ ، وفى باتلانتا بولاية جورجيا ، وفى دالاس ، وهيوستن بولاية تكساس ، وسان انطونيو ، ونيو أورليانز بولاية لويزيانا ، وفينكس بولاية أريزونا .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل أنشئت كنيسة للأقباط فى جزر الكاريبى عام ١٩٩٠ ، وعين القمص شنودة رفائيل لكنيسة مار مرقس ، والأنبا بشرى فى كنيسة سانت كيتس بجزر الهند الغربية ، والقمص انطونيوس

ميخائيل لكنيسة مار مرقس فى سانت توماس بجزر فرجن .. وامتدت الكنائس حتى وصلت إلى برمودا ، فى عام ١٩٩٠ ، وأصبحت لنا كنائس فى البرازيل والأرجنتين ..

بدأت الكنيسة القبطية فى أمريكا الجنوبية عندما أوفدت نيافة الأنبا سرابيون أسقف الخدمات لتفقد الأقباط هناك ، والتعرف على أحوالهم وظروفهم وأماكن تجمعهم ، والاتصال بالهيئات الكنسية التى يمكن أن تسهم فى خدمة الكنيسة القبطية هناك ، وقد تبين أن أكثر أماكن تجمع الأقباط المصريين فى أمريكا الجنوبية فى البرازيل والأرجنتين .. بعد ذلك سافر نيافة الأنبا بطرس الأسقف العام لتفقد الأقباط فى البرازيل والأرجنتين وتأسيس أول كنيسة قبطية فى أمريكا الجنوبية ، والتقى بالأقباط هناك ، وأقام لهم القداسات الإلهية ، والتقى بالسفير وأعضاء السفارة المصرية ، وفى الأرجنتين التقى مع عمدة العاصمة بوينس أيرس ومع بعض رجال الدين من الطوائف المسيحية الأخرى ، وفى ذلك الوقت تبرع أحد الأقباط المصريين المقيمين فى الأرجنتين بقطعة أرض لتقام عليها كنيسة ، تم تسجيلها فى سبتمبر ١٩٩١ ، وهكذا بدأت الكنائس المصرية فى الأرجنتين ، أما فى البرازيل فقد بدأت عام ١٩٩١ حين سافر القمص شاروبيم يعقوب للخدمة هناك ليكون أول كاهن قبطى مصرى يخدم فى البرازيل ، واتخذنا مدينة سان باولو لتكون مركزا لخدمة الكنيسة القبطية هناك ، وامتدت الخدمة إلى جواريليوس ، وهكذا أصبحت لنا كنائس متعددة ونشيطة فى أمريكا الجنوبية ..

أما الكنائس فى أستراليا فلها قصة أخرى .

حين تزايد عدد الأقباط المصريين المهاجرين إلى استراليا كتبوا إلى قداسة البابا كيرلس السادس يطلبون إرسال كاهن قبطي لرعايتهم ، وأرسل في عام ١٩٦٨ القمص مينا لبيب نعمة الله ، وكان يعمل مدرسا بالمرحلة الثانوية وشماسا في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية ، فسافر بالباخرة في ديسمبر ١٩٦٨ ووصل إلى مدينة سيدني في ٢٢ يناير ، ولم تكن هناك كنيسة قبطية ، فتم تأجير كنيسة ليجتمع فيها الأقباط المصريون ويؤدوا الصلاة ، إلى أن أنشئت بعد شهور أول كنيسة مصرية في استراليا .

وكان القمص مينا لبيب يوزع خدمته بين مدينتي سيدني وملبورن ، فكان يذهب إلى ملبورن مرة كل شهر بالطائرة ويجمع الأقباط المقيمين هناك ، وكانوا وقتئذ حوالى مائة أسرة .. كان يجمعهم في صالة ويقيم القداس الإلهي ويمكث معهم ثلاثة أيام . ثم يعود إلى سيدني وهكذا .. ولما تزايدت أعباء الخدمة عين القس بقطر روفائيل للخدمة في ملبورن عام ١٩٧٠ ، وفي العام نفسه تأسست كنيسة قبطية في ملبورن ، وبعد ذلك انتعشت الخدمة في استراليا ..

وقال لي قداسة البابا شنودة :

هل تعرف أنه تم تأسيس ٢٣ كنيسة في أنحاء متفرقة في استراليا حتى عام ١٩٩٦ في سيدني وملبورن وكانبرا وبرسبن وأيضا في بيرث في أقصى الغرب .. وهل تعرف أنه أصبح لنا ديران للرهبان أولهما في ملبورن والثاني في سيدني ؟ .. وهل تعرف أنه تم تأسيس كلية أكليريكية في سيدني ومركز قبطي في العاصمة كانبرا على مساحة ١١ ألف متر مربع حضرت وضع حجر الأساس لهما في نوفمبر ١٩٨٩ .. وهل تعرف أن في استراليا قرية

قبطية متكاملة الخدمات على مساحة ٤٧ فدانا ، ولنا أيضا ٣ مدارس قبطية .. وفى ملبورن كلية القديسة العذراء حضرت افتتاحها فى عام ١٩٩١ ، وكلية القديس الأنبا انطونيوس حضرت افتتاحها أيضا عام ١٩٩١ ، والثالثة فى سيدنى تابعت مشروعها أثناء زيارتى لاستراليا عام ١٩٩٥ ..

ثم قال البابا شنودة :

بعد ذلك : أليس طبيعيا أن أزور أستراليا .. لقد زرتها حتى الآن خمس مرات .. عام ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ .. وانتدبت كثيرا من الأساقفة لزيارة أستراليا .. وأصبح لنا كثير من الكهنة فى كنائسها .. وكذلك قمنا بإعداد دستور موحد للكنائس القبطية فى أستراليا ..

❑❑❑

ثم قال البابا شنودة :

الكنائس المصرية لم تنتشر فى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية واستراليا فقط خلال ربع القرن الأخير ، بل انتشرت جدا فى أوروبا ..

إننا نقوم بتأسيس الكنائس فى كل بلد توجد فيه تجمعات قبطية ، ولذلك أصبحت لنا كنائس متعددة فى منطقة واحدة .. لنا عشر كنائس فى كل من سيدنى باستراليا .. ولوس أنجلوس بكاليفورنيا ومنطقة نيويورك ، ونيوجرسى .. وتأسيس الكنائس ارتبط بإرسال أوسيامة الآباء الكهنة .. وإعداد الكهنة أو اختيارهم كان جهدا كبيرا .. لم يكن الأمر سهلا .. لأنه ليس كل كاهن يصلح للخدمة فى المهجر حيث يعيش الأقباط فى ظل ثقافات وأفكار وعادات ومناخ سياسى واجتماعى مختلف تماما عما هو الحال فى مصر .. كنا نبحث عن كهنة يجيدون اللغات الأجنبية لأن كثيرا

من الأقباط المهاجرين فقدوا القدرة على التخاطب والقراءة باللغة العربية ، وخصوصا الجيل الثانى من أبناء المهاجرين الذين تعلموا فى مدارس أجنبية وأصبحت لهم صداقات وعلاقات وتعاملات فى هذه المجتمعات بلغاتها .. لذلك أرسلنا أكثر من ١٥٠ كاهنا لخدمة بلاد المهجر وراعينا قدرتهم على التعامل باللغات الأجنبية ، ومعرفتهم للوسط والبيئة والخصائص الثقافية والاجتماعية لهذه المجتمعات ، وأيضا سهولة تدبير الإقامة ، ويضاف إلى ذلك ترشيح الشعب هناك .

لقد صار للكنيسة القبطية كنائس فى كل قارات العالم ..

وبعد أن كان لكل كنيسة كاهن واحد ، أصبح لكثير من الكنائس كاهنان أو أكثر وبخاصة فى المواقع التى يكون فيها تواجد الأقباط المصريين كبيرا مثل لندن وسيدنى وملبورن ولوس انجلوس ونيويورك ونيوجرسى .. وازدياد عدد الكهنة يدل على اتساع الخدمة وازدحام الكنائس بالمصلين .. حتى أن بعض الكنائس تضيق بالمصلين فيقيم الكاهن القداس مرتين .. ومازالت هناك أماكن سوف تقام فيها كنائس قريبا .. لأن التجمعات القبطية كانت سببا فى إنشاء الكنائس . والكنائس أيضا أدت إلى إيجاد تجمعات قبطية وأخذ الأقباط يتبرعون ويتطوعون لإنشاء كنائس جديدة .

وقال البابا :

ليست المسألة بناء كنائس .. لقد بدأنا مشروعا واسعا للترجمة .. بدأنا ترجمة القداس الإلهى إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والهولندية .. وإلى اللغات السواحلية والأمهرية ولغات القبائل الأفريقية .. ثم ترجمنا كتب الطقوس .. ثم بعض الكتب الروحية .. وسير القديسين

والكتب العقائدية واللاهوتية وكتب عن تايخ الكنيسة .. لماذا ؟ لأننا وجدنا أن الأجيال الجديدة لم تعد تستطيع القراءة باللغة العربية ، وهذه مشكلة سأعود إليها .

ليس هذا فقط .. وحدنا قوانين الكنائس .

كان لكل كنيسة قانون خاص بها . فأخذنا فى توحيد كل هذه القوانين بمراعاة الاختلافات فى قوانين كل دولة أو ولاية .. ولم يكن ذلك سهلا فى أمريكا .. لأن الكنيسة القبطية لم يكن معترفا بقانون خاص بها ، وكنا نسجل كنائسنا وفقاً لقوانين كنائس أخرى .. إلى أن قمنا بإعداد قانون خاص وسعينا إلى أن اعترفت الولايات المتحدة بهذا القانون .

□□□

ثم قال البابا شنودة :

يشغلنى الشباب فى المهجر .. أرى أنه لابد من جهد كبير لحمايته من أى انحراف عقيدى أو خلقى وسط التيارات الغريبة الموجودة فى دول الغرب .. لذلك أقمنا مؤتمرات دورية وحلقات ثقافية للشباب تحت إشراف الأسقفية العامة لخدمة الشباب .. وتقام هذه المؤتمرات على مستوى المناطق ويشترك فيها الأساقفة والكهنة ، وفى هذه المؤتمرات يتم التعرف على مشاكل الشباب وحلها .. وعلى أسئلتهم والإجابة عنها ، كما تكون هناك دراسات لبعض القضايا التى تهم الشباب فى إطار من الحوار والصراحة .. وكذلك يوجد اهتمام بمدارس التربية الكنسية ومناهجها فى دول المهجر . وفى كل الرحلات أخصص وقتا للجلوس مع الشباب والاستماع إليه .

□□□

ثم قال قداسة البابا :

عندما بدأت المسئولية كانت هناك كنيستان فقط فى كل من أمريكا وكندا واستراليا ، وكنيسة واحدة فى لندن ، ولم يكن معقولا أن يكون هناك أساقفة فى هذه المناطق ، ولذلك كانت مهمتى إرسال أساقفة من مصر للإشراف على رعاية الأقباط وتجميعهم وإيجاد روابط روحية بينهم .

ولحفظ العقيدة بين الأقباط فى المهجر تأسست ثلاثة فروع للكلية الأكليريكية المصرية ، فرع فى سيدنى باستراليا ، وفرع فى لوس انجلوس فى غرب الولايات المتحدة ، وفرع فى جرسى سيتى فى شرق الولايات المتحدة ، ويقوم بالتدريس فى هذه المعاهد اللاهوتية متخصصون ، وبدأت بنفسى تدريس اللاهوت هناك ..

وبعد نجاح المدارس القبطية فى ملبورن وسيدنى هناك مشروعات لإنشاء مدارس مماثلة فى لوس انجلوس ونيويورك ولندن .. تشرف على هذه المدارس وزارات التعليم فى هذه الدول وبجانب المناهج المقررة فى كل دولة نقوم بتدريس اللغة القبطية والألحان الكنسية والتربية الدينية بحسب المعتقدات الأرثوذكسية ..

ونحرص على إقامة ندوات أحضرها بنفسى مع الآباء الكهنة فى الولايات المتحدة وكندا وفى بريطانيا لمن يخدمون فى دول أوروبا ، وتشمل برنامجا روحيا ، وإجابة عن أسئلة الكهنة الذين يعملون فى المهجر ، وهدفنا هو توحيد الفكر العقائدى والروحى بين الكهنة ، وتكوين منهج موحد للعمل ، وربط الكهنة بعضهم ببعض ، ومتابعة عملهم حيث يقدمون تقارير عن أعمالهم ..

والأديرة فى بلاد المهجر أصبحت مراكز إشعاع روحى .. وبخاصة

للشباب الذى يقضى فيها فترات خلوة فى بيوت الخلوة المقامة فيها .. وقد تأسست ٧ أديرة حتى الآن .. دير فى صحراء كاليفورنيا بأمريكا وفى ميلانو بإيطاليا وفى يغلباخ وهوكستر بالمانيا ، وفى فرنسا ، ودير فى سيدنى وآخر فى ملبورن باستراليا .

ثم قال البابا :

منحنا حرية الحركة للكنائس القبطية فى المهجر .. مجلس كل كنيسة يتولى الأمور الإدارية والمالية ولا نتدخل إلا إذا حدثت مشكلة ، لهذا ازدادت الإنشاءات والمشروعات ، وتطورت واتسعت الخدمة .. وبعد أن كانت العبادات تقام فى كنائس يستأجرها الأقباطَ لإقامة الصلوات فيها أصبحت كنائسنا قائمة على أرض تملكها ، وبعض الكنائس أقامت مبانى ومشروعات للخدمات الاجتماعية والثقافية ..

❑❑❑

بعد ذلك قال البابا :

أظن أننى أستطيع أن أقول الآن . لماذا أسافر كثيرا .. ولابد أن أسافر كثيرا .. لألتقى بأبنائى هناك .. فى كل مكان .. وباستمرار .. زياراتى للرعاية أولا .. لدراسة حالة الكنائس على الطبيعة .. ومعرفة ما يلزم لها ، والالتقاء مع الكهنة والأقباط المهاجرين جميعا ، وخلال هذه الزيارات يتم تدشين الكنائس ووضع حجر الأساس لكنائس ومشروعات جديدة ، وسيامة شمامسة لكنائس من الشباب والأطفال لكى يرتبطوا بالكنيسة وطقوسها منذ نعومة أظافرهم .. ولكى ألتقى بكبار رجال الدولة .. مع رؤساء الدول والحكومات والعمد والقيادات المدنية والعلمية .. ومع قادة الطوائف المسيحية

الأخرى ، وكل هذا لتدعيم مكانة الكنيسة القبطية المصرية فى دول المهجر .. وعادة أدعى لإلقاء محاضرات فى الجامعات مثل جامعات لندن وسيدنى وبون وكليرمونت وسان فرانسسكو ولندن ، وغيرها كثير ..

وتكون زياراتى مناسبة لمخاطبة الرأى العام فى كل دولة من خلال أحاديث للصحافة ومحطات التليفزيون وشرح السياسة المصرية ودور مصر ورئيسها والتقدم الذى يحدث فى المجتمع المصرى ..

وكما ازداد اهتمامنا بالتربية الدينية ازداد اهتمامنا برعاية المهاجرين الجدد ، فأنشأنا بيوتا لاستقبالهم وتأهيلهم للحياة فى هذه البلاد ، وتشغيل العاطلين منهم بقدر الإمكان ..

وقال البابا أيضا :

ولاهتمامى بشئون المهجر أنشأت مكتبا فى المقر البابوى بالقاهرة لشئون المهجر ، يتلقى أخبار كنائس المهجر والرسائل والفاكسات .. ويعد ملفات لكل كنيسة ولكل موضوع ..

ثم قال :

نحن لا نعمل لليوم فقط .. ولكن نعمل للمستقبل .. ونرى أن الواجب أن تمتد الرعاية إلى كل قبطى فى الخارج مهما يكن مقيما فى أماكن بعيدة .

□□□

ثم قال قداسة البابا :

هل تعرف قصة كنائس أوربا .. ؟

وبعد لحظة صمت قال :

في بريطانيا مثلا .. بدأ أول قداس في لندن عام ١٩٥٤ وشارك فيه بعض القسس المصريين كانوا في بعثة إلى أمريكا لحضور اجتماع الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمى ، وقد أقيم هذا القداس فى كنيسة للروم الأرثوذكس كان يصلى فيها القبارصة المقيمون في لندن . بعد ذلك قام بعض الأساقفة بزيارات لتفقد الأقباط في لندن ، وزرت لندن حين كنت أسقف التعليم في عام ١٩٦٣ ، وفي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات بدأ عدد الأقباط في لندن يتزايد ، وكان بعضهم من الخدام في الكنيسة في مصر قبل سفرهم إلى هناك ، فشعروا بالحاجة إلى قيام خدمة منتظمة في انجلترا ، وفي عام ١٩٧٠ بدأت أول اجتماعات منتظمة لدراسة الكتاب المقدس ، وفي عام ١٩٧١ تم اختيار أحد الآباء الكهنة للخدمة في لندن وحين توليت المسئولية زرت لندن ودعوت الأقباط إلى شراء أرض وبناء كنيسة مصرية بدلا من استئجار كنائس للصلاة فيها ، وفي عام ١٩٧٢ تم تسجيل هيئة في بريطانيا باسم مجلس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، وفي عام ١٩٧٤ وجد الأقباط كنيستين في حي كينسنجتون تابعتين لطائفتين من البروتستانت واختيرت إحداهما ودفع الأقباط في لندن ثمنها بالكامل وأصبحت أول كنيسة مصرية في بريطانيا ، وبعد ذلك امتدت الخدمة إلى كل بريطانيا ، فتم إنشاء كنيسة في برايتون بجنوب انجلترا حضرت تدشينها عام ١٩٩٤ ، وكنيسة في استفينج ، ومانشستر ، ونيوكاسل ، ودونكستر ، وشمال لندن ، وبرمنجهام ، ولنا أيضا المركز القبطي في برمنجهام ، تم توقيع عقد شرائه عام ١٩٨٨ وتبلغ مساحته حوالى ١٢ فدانا ويضم قصرا كبيرا تم تخصيص إحدى قاعاته لتكون كنيسة ، وعين أسقف عام في برمنجهام عام ١٩٩١ ..

وهكذا مع زيادة الأقباط المصريين في بريطانيا ازدادت الكنائس وازدادت الحاجة إلى زيارات من الكهنة المصريين لرعاية هؤلاء المهاجرين وأبنائهم .. وكان من الضروري أن أزورهم والتقى بهم بصفة دورية ..

هذه بريطانيا ..

أما فرنسا فكان يرعى الأقباط فيها كاهن الكنيسة فى لندن ويذهب إليهم كل شهر ، وفى عام ١٩٨٥ أوفدت أحد القسس للخدمة فى مرسيليا ، وتزايد عدد الكهنة في فرنسا وامتدت الخدمة من باريس إلى طولون ومارسيليا وأصبح لنا فى فرنسا خمس كنائس ، ودير قبطى .. فى باريس لنا ثلاث كنائس تخدم العائلات والشباب القبطى ، وكنيسة فى مارسيليا ، ودير فى طولون ويخدمها مطران يساعده أسقف .

فى ألمانيا القصة مختلفة ..

بدأت خدمة الأقباط بتكوين مجموعة هدفها دعوة كاهن مصرى لإقامة قداس إلهى كلما تيسر ذلك ، وكان القداس يقام فى كل مرة فى مكان غير محدد ، ويدعى إليه من يعرفه الأقباط فى نطاق محدود ، وحين كنت أسقف التعليم زرت ألمانيا عام ١٩٦٣ والتقيت بالأقباط المهاجرين فى فرانكفورت وشتوتجارت ، ولكن لم تقم خدمة دائمة منتظمة فى ألمانيا إلا منذ مارس ١٩٧٥ حين بدأنا الاتصال بالهيئات المسكونية لتقديم الدعم لإنشاء أول كنيسة قبطية فى ألمانيا واستجابت بعض الهيئات للدعوة ، وفى مارس ١٩٧٥ أوفدت أحد القسس لتأسيس أول كنيسة قبطية فى فرانكفورت فى كنيسة أثرية فى حى قديم تركها أصحابها بعد أن أقاموا مبنى آخر لكنيستهم ، وحررنا عقد انتفاع مع أصحابها بدون مقابل مادى ، وتم تجديدها وانتظم فيها عدد كبير من المصريين ..

واجهتنا مشكلة أن ٩٠٪ من الأقباط فى ألمانيا متزوجون من ألمانيات يتبعن مذاهب أخرى .. انجيلية أوكاثوليكية .. ولغياب الكنيسة القبطية

الأرثوذكسية أصبحوا أعضاء فى الكنائس الخاصة بالزوجات ويدفعون لها « ضريبة الكنيسة » التى تحصلها الدولة لصالح هذه الكنائس ، ولما أنشئت الكنيسة القبطية رأت أن تبقى على الالتزامات القائمة بين العائلات القبطية وباقى الكنائس حتى يطمئن الجميع أن هدف الكنيسة ينحصر فى الخدمة الروحية وليس لأهداف مادية .. وحتى لا تحدث خلافات بين الأزواج المصريين الأرثوذكس والزوجات الألمانيات من الطوائف الأخرى .. ووجد هذا الاتجاه ترحيبا من الألمانيات والمصريين على السواء ..

فى عام ١٩٧٥ تم تأجير مسكن فسيح للكاهن .

وأنشئت كنيسة ثانية فى مدينة شتوتجارت عام ١٩٧٥ ثم فى مدينة دسلدورف عام ١٩٧٥ أيضا وهى من أكبر الكنائس ويتميز الأقباط فى دسلدورف بأن أغلبهم من الأطباء والصيادلة ورجال الأعمال ، والمهندسين وهذا يزيد من التبرعات والمساهمات المالية لهذه الكنيسة مما جعلها تساهم فى نفقات الكنائس الأخرى فى ألمانيا ..

وأنشئت كنيسة ثالثة فى برلين عام ١٩٧٥ أيضا تم الحصول عليها من الكنيسة الروسية ،وفى ١٩٧٦ تأسست كنيسة فى مدينة ميونخ كانت كنيسة كاثوليكية وبجوارها حجرة لإقامة الكاهن ، وحصلنا عليها بدون مقابل ..

وفى عام ١٩٧٦ أيضًا بدأت الخدمة فى كنيسة هامبورج قريبا من المطار ، وهى تخدم أكثر من ألف أسرة قبطية تعيش هناك ..

فى عام ١٩٧٧ افتتحت كنيسة خامسة فى هانوفر ،

وفى عام ١٩٧٩ بدأت تنفيذ فكرة إنشاء دير فى كريفلباخ ليقيم فيه المصريون فترات للخلوة الروحية ويذهبون إليه فى رحلات لقضاء يوم معا ، ولتقديم الرعاية الروحية والاجتماعية للأسر المسيحية وبخاصة للشباب ..

تم شراء قطعة أرض مساحتها ١٦ ألف متر مربع عليها ثلاثة مبان تضم ٣٥ حجرة بملحقاتها ومحاطة بأشجار الورد ، وتقع فى قرية كريفلباخ على بعد ٤٥ كيلومترا من مدينة فرانكفورت ..

وتم تخطيط الدير ليشمل : الدير ، وكاتدرائية قبطية ، ومركزا لخدمة الشباب والأطفال مزودا بوسائل سمعية وبصرية ، ومركزا للدراسات القبطية لدعوة العلماء والدارسين للعلوم القبطية لإلقاء محاضرات به ، ومركزا للرحلات ينظم رحلات للكنيسة الأم فى مصر ، وبيتا لخدمة المسنين ،وبيتا للخلوة ، وموقعا لتجمع الأسر فى المناسبات الدينية والعطلات ، ومركزا لتعليم اللغتين : القبطية ،والعربية ، وإنشاء مقابر للأقباط فى ألمانيا .

وقال البابا شنودة :

هذا المشروع الكبير ساهمت فيه الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية الألمانية مع مساهمات الأقباط المصريين المقيمين فى ألمانيا ، وتم الافتتاح عام ١٩٨٠ وزرت هذا الدير عام ١٩٩٠ ..

وبعد ذلك أنشئ دير ثان للأقباط فى منطقة هوكستر . وزرت ألمانيا مرتين فى عام ٩٠ و٩٢ والتقيت بالأقباط فى فرانكفورت ،ودسلدورف ،وبون ، وبرلين ، وميونخ ، وشتوتجارت ، وكريفلباخ ..وغيرها ..

وقال قداسة البابا :

خذ مثالا آخر ..إيطاليا ..

كان الأقباط المهاجرون إلى إيطاليا يصلُّون فى كنيسة فرنسية فى فينيسا ..

وفى عام ١٩٨١ أوفدت أحد الأساقفة لتفقد الأقباط فى إيطاليا .. وتوالت

زيارات الأساقفة إلى أن تم انتداب أحد القسس لخدمة الكنيسة القبطية هناك .. وأصبح لنا دير فى ميلانو .. وامتدت الخدمة من ميلانو إلى تورينو وروما وجنوا وفلورنسا وعين أسقف على ميلانو وتوابعها ، وأسقف آخر على تورينو وروما وتوابعهما ..ولنا الآن كنيسة فى كل من تورينو ،وفلورنسا ، وروما ، ودير فى ميلانو ، وكنيسة فى ميلانو أيضا ، وهناك مشروعات لكنائس أخرى ..

هذه هى كنائسنا فى إيطاليا ..

وليس هذا كل شىء ..

قال لى البابا شنودة :

قصة الكنيسة المصرية فى سويسرا تستحق الذكر أيضا ..

فى سنة ٧٦ قام كاهن الكنيسة القبطية فى ألمانيا بزيارة إلى زيورخ لتفقد الأقباط هناك ، وأقام لهم القداس الإلهى ونظم لهم اجتماعات شهرية بقيادة أحد الخدام هناك .. ثم قام بزيارات شهرية إلى جنيف وإقامة الصلوات فى كنيسة كاثوليكية .. وفى سنة ١٩٨٠ انتدبت أحد القسس لتفقد الأقباط فى سويسرا ،

وبعد ذلك انتدبت أحد القسس للإقامة هناك .. وفى هذه الفترة تأسست أول كنيسة قبطية للمصريين فى سويسرا .. فى العاصمة جنيف ، وفى سنة ١٩٨٩ تم تشكيل أول مجلس للكنيسة .. وبعد ذلك تأسست ثلاث كنائس فى سويسرا فى جنيف ، وزيورخ ، ولوزان ..

وقريب من هذا ما حدث فى النمسا ..

في ١٩٧٥ شكلت أول لجنة لرعاية الأقباط المصريين في النمسا ولجنة أخرى من السيدات للمشاركة في تنظيم الخدمة ، وفي سنة ١٩٧٦ أوفدت أحد القسس لرعاية الأقباط بالنمسا ، وقام بترجمة القداس الإلهي إلى اللغة الألمانية ،وأقام قداسات في فيينا وجراتسي واينزبروك ، وقام بعمل العضوية الكنسية لهم ، وكان عدد العائلات التي أمكن التعرف عليها وقتذاك ١١٣ عائلة ..

بعد ذلك امتدت الخدمة فأصبحت لنا كنيسة في كل من فيينا ،وجراتسي ، ولينز ، واينزبروك ، وبيشوف شوفن ، وأصبح الكهنة والرهبان يزورون النمسا كثيرا للمساهمة في خدمة الأقباط هناك .

وفي هولندا حدث نشاط كبير في سنوات قليلة .

في نوفمبر ١٩٧٨ انتدب أحد القسس لزيارة الأقباط في هولندا ، ثم انتدب أحد الكهنة لرعايتهم والإقامة معهم ، وفي ١٩٨٥ تم توقيع عقد شراء كنيسة في أمستردام ،وامتدت الخدمة إلى مدن انترخت ودنهاخ ولاهاي .. وزرت هولندا مرتين : الأولى سنة ١٩٩٢ والثانية سنة ١٩٩٤ ..

وأيضا في السويد ..

في مايو ١٩٨١ أوفدت أحد الأساقفة لتفقد الأقباط فيها ، وبعدها عين أحد القسس لخدمة الأقباط في ستكهولم . بعد ذلك طلب الاريتريون في السويد الانضمام للكنيسة القبطية ووافقنا على ذلك ، وبدأنا في تفقد الأقباط المصريين في مدن أخرى غير العاصمة ستوكهولم .. وجو تنبرج .. وابسالا .. ومالمو .. وكالمر .. وهمربى .. ونبرو .. وكريستان استاد .. وقمت بزيارة السويد في عام ١٩٩٣ وقضيت فيها ٨ أيام التقيت خلالها

بالأقباط وقمت بتدشين كنيسة لنا فى ستوكهولم ، ثم أنشئت كنيسة ثانية فى جوتنبرج عام ١٩٩٥ على أرض مساحتها ١٢٥٩ مترا مربعا ..

والدانمرك ..

فى سنة ١٩٨٠ انتدبت الأسقف العام للخدمات الاجتماعية لتفقد الأقباط فيها ، وفى سنة ١٩٨٥ انتدبت أحد القسس لخدمة الأقباط هناك ، وفى أواخر سنة ١٩٨٩ اشترى الأقباط فى الدانمرك كنيسة ، وفى سنة ١٩٩١ تم إيفاد أحد القسس لخدمة الأقباط .. وقمت بعد ذلك بزيارة الدانمرك فى سبتمبر ١٩٩٣ وقمت بتدشين كنيستين هناك ..

وقبرص ..

بدأ تواجدنا فى قبرص عام ١٩٨١ حين أوفدت أحد القسس لتفقد الأقباط فيها ، وبعدها تم انتداب قس لخدمتهم ، وامتدت خدمته إلى مدن أخرى هى ليماسول .. وبافوس .. ونيقوسيا .. وحين طلبت من أسقف ليماسول .. أن يسمح لنا بأداء الصلوات فى إحدى الكنائس أعطى للأقباط المصريين كنيسة بصفة دائمة ، وفى سنة ١٩٩١ استأجرت الكنيسة منزلا ليكون مركزا للخدمة ، وقد زرت قبرص ثلاث مرات : الأولى سنة ١٩٩٤ ووضعت حجر أساس كنيسة مصرية فى ليماسول ، والثانية سنة ١٩٩٥ والثالثة فى ١٩٩٧ ..

فوق هذا لنا كنيسة فى اليونان أنشئت سنة ١٩٩١ فى العاصمة أثينا

ولنا كنيسة فى بلجيكا فى العاصمة بروكسل ..

وفى كندا أقباط كثيرون ، ولذلك لنا أكثر من كنيسة

فى كندا لم يكن لنا إلا كنيستان للأقباط المصريين .. واحدة فى تورنتو ، والثانية فى مونتريال ، ولم يكن لنا سوى كاهنين : ومنذ بدء مسئوليتى وحتى سنة ١٩٩٦ وصل عدد الكنائس ١٥ كنيسة وأصبح لنا ٢٠ كاهنا ، وامتدت الخدمة إلى مدن أخرى غير تورنتو ومونتريال .. واتوا .. وادمنتون .. وكالجرى .. وفانكوفر .. وهاميلتون .. واتوبيكو .. وبرامتون .. وانتاريو .. ويزور الأساقفة من مصر هذه الكنائس ويلتقون بأبنائنا .. وقد زرت كندا ٦ مرات ..

بعد هذا العرض يقول لى البابا شنودة :

صدقنى .. أنا شخصيا لم أكن أحب الهجرة إطلاقا .. وقلبى يتعلق ببلادنا كل التعلق .. وما كنت أنصح إنسانا بأن يهاجر .. ولكننى عندما توليت المسئولية شعرت أن على واجبا لابد أن أقوم به بالنسبة للأقباط المصريين الذين هاجروا سواء كنت أحب الهجرة أو لا أحبها .. كان أمامى الواقع وهو أن هناك عشرات الآلاف من المصريين هاجروا .. وإذا تركناهم دون خدمة ورعاية فسوف يذوبون تماما فى المجتمعات الغربية ، وهى مجتمعات غريبة عليهم فى كل شىء .. حتى فى كنائسهم .. فكان لابد من الاهتمام بهم .. وبدأت فى إنشاء كنائس تجمعهم .. وترعاهم .. وتربطهم بالعقيدة .. ولم يكن إنشاء الكنائس أمرا سهلا .. كذلك لم يكن سهلا إعداد الكاهن الذى يخدم فى بلاد المهجر .. وهى بلاد اعتاد الناس فيها حرية الرأى على أوسع نطاق .. ولهم عادات مختلفة عنا ..

❑❑❑

كان لابد أن أبدأ بإعداد كهنة من نوعية خاصة للمهجر .. بحيث يكون

الكاهن على درجة عالية من إتقان اللغات الأجنبية على الأقل ليرعى الأطفال والشباب الذى لا يعرف اللغة العربية .. وعندنا يعترف الإنسان بخطاياه على الكاهن ، والكاهن يرشده روحيا .. فإن لم يكن متمكنا من اللغة فلن يستطيع القيام بهذه الرسالة .. وكذلك الواعظ .. كيف يلقى موعظة وهو لا يجيد لغة الذين يستمعون إليه .. وكيف يخالط الأقباط ويكتسب ثقتهم وهو لا يعرف كيف يخاطبهم ويتفاعل معهم ؟ .. هذا فوق الصفات الطبيعية التى يجب أن يتسم بها الكاهن .. أن تكون شخصيته هادئة يستطيع أن يتقبل كل شيء ، ويعامل الناس باللطف الذى يكسبهم به ..

وقال البابا بعد ذلك ..

– النقطة الجوهرية التى قابلتنا أول الأمر هى أن الذين .يصلحون للخدمة فى المهجر لا يريدون ذلك ولا يرحبون به ؛ لأنهم مرتبطون بالوطن ولا يحبون الابتعاد عنه .. والذين يقبلون الهجرة لا يصلحون لها .. لذلك كان علينا أن نبحث عن الشخص الذى يصلح ويوافق وتوافق أسرته ، وتوافق الكنيسة التى يخدم فيها على الاستغناء عنه ، وأن نجد بديلا له .. وهكذا .. وصادفتنا مشاكل :. سفارات تعطى تأشيرة للكاهن وترفض بالنسبة لأسرته ، لدرجة أنى طلبت مرة سفر زوجة الكاهن إلى أمريكا بشهادة أن زوجها شيخ كبير السن وصحته تحتاج إلى رعاية خاصة .. وفى مرة أعطوا تأشيرة للكاهن وزوجته ورفضوا إعطاء تأشيرة لابنه .. وهكذا كنا نحل مشكلة لنجد مشكلة ..

ولم يكن إنشاء الكنائس سهلا .. كنا نستأجر كنائس من الطوائف الأخرى ، وبدأنا بعد ذلك نبحث عن شراء كنائس قائمة .. وأحيانا نبحث

عن أرض لإقامة كنيسة عليها .. وكل هذه أمور تحتاج إلى إجراءات رسمية .. وفى بعض قوانين الولايات فى أمريكا لابد أن يسمعوا رأى سكان المنطقة كشرط للموافقة .. أحيانا كان أهالى بعض المناطق يرفضون إقامة كنائس فى مناطقهم .. فى مرة قالوا إن وجود أطفال كثيرين فى الكنيسة وحولها سيكون سببا فى أن يفقدوا الهدوء ، ولجأ الأقباط فى هذه الحالة إلى إرسال أطفالهم إلى بيوت أهل المنطقة ليقولوا لهم : نرجوكم أن تسمحوا بإقامة الكنيسة مع وعد منا بالا نسبب لكم أى إزعاج .. فى مدن أمريكا هناك مناطق تجارية فقط ، ومناطق صناعية فقط ، ومناطق خدمات .. ومناطق للسكن .. ولا يسمحون بإنشاء محل تجارى فى منطقة سكنية وهكذا .. وهذا جعل مهمة البحث عن مكان للكنيسة الجديدة أمرا صعبا ..

يأتى بعد ذلك التمويل .. ربما لا يوجد تمويل ، وأحيانا يجمع الأقباط الدفعة المقدمة من الثمن وبعد ذلك يحصلون على سلفة من البنوك تسدد على أقساط مع الفوائد وتكلف كثيرا ، وفى بعض الأحيان يوجد أقباط مصريون مستعدون لأن يدفعوا .. وهكذا استطعنا تأسيس كنائس ودفع ثمنها كاملا واستكمال إنشائها .. وبعض الكنائس مازالت عليها أقساط للبنوك تسددها مع الوقت

وكانت من مشاكلنا الخلافات الأسرية .. فى بلد مثل أمريكا فيها نظم وقوانين غريبة علينا .. هناك الطفل له حقوق ، والقانون يحميه حتى من أبيه وأمه .. وكذلك الشاب .. والفتاة .. والزوجة .. أحيانا يحدث خلاف بين زوج وزوجته .. وينفعل الزوج ويضرب زوجته .. تعلمت الزوجات المصريات المهاجرات أن القانون الأمريكى يعطيهن الحق فى اللجوء إلى البوليس فى مثل هذه الحالة ، ويأتى البوليس للقبض على الزوج .. مشكلة

تمرد الأبناء على الآباء .. وهذا دعانا إلى العمل على احتضان الأطفال لتربيتهم فى الكنيسة مبكرا على الأخلاق الشرقية ، فالحريات الشخصية تخرج هناك عن الإطار المعروف عندنا .. أذكر أننى كنت أتحدث مرة فى تجمع من الأقباط فى استراليا ، وجاء ذكر المساواة بين الرجل والمرأة فقال لى أحدهم : نحن نطالب بالمساواة بالنساء فى الحقوق .. المناخ الاجتماعى والأخلاقى هناك مختلف .. وكانوا يحتاجون إلى كتب روحية تكون متفقة مع المنطق الغربى .. لا يكفى أن تقول : تمسكوا بهذه القاعدة الدينية والأخلاقية لأن الانجيل يقول ذلك .. لأنهم سوف يناقشون النصوص .. لابد أولا من تكوين علاقة حب وثقة فى الكنيسة ليقبلوا ما تقوله .. ولابد من الإقناع بالعقل والمنطق وليس بالنصوص وحدها . الكنيسة لا تستطيع أن تضغط على الناس ، لأنهم سيقولون للكاهن هذه ليست بلاد الضغط والإكراه والطاعة .. هذه بلاد الحرية .. كل إنسان له شخصيته المستقلة وله حريته التى يحرص عليها وغير مستعد للتفريط فيها ..

كان علينا أيضا ترجمة الكتب الدينية إلى اللغات الأجنبية ، ونترجم الصلوات إلى كل اللغات .. ووجدنا صراعا بين الكبار والصغار .. الكبار يريدون أداء الصلوات كما كانوا يؤدونها فى مصر .. والصغار يريدون الصلوات باللغات الأجنبية وبالأسلوب السائد فى كنائس البلاد ، وجاء وقت ظهرت الحاجة إلى إصدار مجلة باللغة الانجليزية ، واستفدنا فى ذلك ببرامج الكمبيوتر .. وفى بلاد المهجر وجدنا ضرورة إنشاء كليات للاهوت فى المهجر للدراسات الدينية ، لكى نربى جيلا جديدا من الكهنة من أبناء المهاجرين ؛ لأنهم أقرب إلى طبيعة الأقباط هناك ويفهمون المجتمعات التى يعيشون فيها ويقدرون على التعامل بالأسلوب الذى يتفق معها .. والآن

أصبح لدينا عدد من هؤلاء الكهنة .. وهؤلاء لا نجد بالنسبة لهم صعوبات فى التأشيرة والمسكن وغيرها

□□□

وقال لى البابا شنودة :

هناك مشكلة أخرى واجهتنا .. مسائل الأحوال الشخصية .. مصريون يتزوجون أجنبيات ، ثم يكتشفون أنهم لا يستطيعون الاستمرار معهن لاختلاف الثقافة والطباع والتفكير .. وربما ينتهى الأمر بالطلاق .. وهنا لابد أن تتدخل الكنيسة .. لأن الكنيسة لا تريد الطلاق .. وهناك مشاكل أسرية فى المهجر من أنواع مختلفة تماما عن المشاكل الأسرية فى مصر .. ولذلك وجدنا الحل فى إنشاء مدارس قبطية لتربية أبناء المهاجرين على أخلاقنا وعاداتنا وعقائدنا منذ الصغر ..

ثم قال لى قداسة البابا :

ولكنى لم أقل لك شيئا عن كنائسنا فى الدول العربية .. فلنا كنائس فى أبو ظبى ، ودبى ، والبحرين ، ومسقط ، وبغداد ، والأردن ، والكويت ، ولبنان ، والقدس ، وليبيا ، والسودان ..

ثم توقف البابا شنودة لحظة طالت وقال لى بعدها :

الآن .. هل عرفت لماذا أسافر كثيرا إلى أمريكا وغيرها ؟ .. لأن لنا أبناء فى كل أنحاء العالم تقريبا لابد أن نلتقى بهم ونرعاهم ونرشدهم روحيا ونربطهم بالكنيسة الأم وبالوطن .. لكيلا يفقدوا الانتماء

أسافر أيضا لأنى أكون مدعوا لإلقاء محاضرات فى جامعات وجمعيات

لتعريف الغرب بأحوال مصر والكنيسة المصرية .. وكثيرا ما يمنحوننى المواطنة الفخرية أو الدكتوراه الفخرية ..

أرجو أن تكون قد وجدت الإجابة عن السؤال الذى أعرف أن البعض يردده وهم معذورون لأنهم لا يعرفون ..

❑❑❑

قلت لقداسة البابا : ومع ذلك فما من مرة أسافر فيها إلى واشنطن أو نيويورك ، إلا وأجد باسمى فى الفندق مظروفًا فيه مجموعة من مطبوعات على ورق فاخر تتحدث كلها عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، حتى يخيل إلى من يقرؤها أنها تتحدث عن مصر أخرى غير مصر التى نعرفها ونعيش فيها .

ويبدو أن وراء هذه المطبوعات منظمة أو منظمات - وما أكثرها فى أمريكا - تجند بعض العناصر الساخطة ، والموتورة والمستعدة لبيع أى شىء وكل شىء بما فى ذلك الوطن والكرامة ، مقابل بضعة دولارات ، أو الكارت الأخضر للإقامة فى أمريكا أو المقابل الحصول على الجنسية الأمريكية التى يضطر بعضهم وهم فى عز الشباب إلى الزواج من الأجنبيات فوق الستين للظفر بهذه الجنسية .

وقبل أن أستكمل الحوار مع قداسة البابا ، أحرص على أن أقدم للقارئ صورة واضحة عن المؤامرة التى تدار فى الخارج تحت مسمى اضطهاد الأقباط فى مصر .

فلم يكن انعقاد لجنة الاستماع فى الكونجرس الأمريكى لبحث موضوع اضطهاد الأقباط فى مصر ، سوى الحلقة قبل الأخيرة فى سلسلة طويلة ..

بدأت خطوة خطوة .. وكل خطوة كان وراءها تنظيم ورجال وأعمال مثيرة .. أغرب من الخيال .

ويبدو أن لعبة الهجوم على مصر تلقى رواجا فى أمريكا ، وتجد أكثر من ممول مستعد للدفع بسخاء ، ويبدو أن موضوع اضطهاد الأقباط فى مصر هو الباب الملكى لمن يريد أن يحصل على المال والوظيفة والأمان فى أمريكا ، والتعايش مع المنظمات الصهيونية فى أمريكا يفتح كل الأبواب والخزائن .

وفى بعض الأحيان يتجمع عشرة أو عشرون مصريا من هؤلاء فى مظاهرة تقف أمام البيت الأبيض ، أو أمام فندق تنزل فيه شخصية مصرية مهمة ويرفعون لافتات عن اضطهاد الأقباط فى مصر .

ومن حين لآخر تنشر صحيفتا نيويورك تايمز وواشنطن بوست الأمريكيتان تحقيقا عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، ومعروف صلة هاتين الصحيفتين بالمخابرات المركزية الأمريكية ، وفى المناسبات تنشر الصحيفتان إعلانا مدفوعا – لا أحد يعرف من الذى يدفع تكاليفه الباهظة – للتنديد باضطهاد الأقباط فى مصر .

وفى آخر زيارة لى لأمريكا وصلنى تقرير غريب بعنوان « الأقباط فى مصر : الكنيسة تحت الحصار » باللغة الانجليزية ، أصدرته مؤسسة أمريكية اسمها مؤسسة الأقليات الدينية فى العالم الإسلامى » ، أشرف على تحريره جون اينر ، وهو مدير هذه المؤسسة التى تمثل المنظمة الدولية للدفاع عن المسيحية ، وملخص التقرير أن الأقباط فى مصر يعانون من اضطهاد القوانين لهم ، واجراءات الحكومة المتحيزة ضدهم ، ومن الضغط الاجتماعى عليهم ،

ومن معاداة الأقباط فى الإعلام ، والاعتداء عليهم فى حوادث العنف ، ومع ما فى هذا التقرير من غرابة ، كان الأكثر غرابة منه تقرير آخر تصدره جهة مجهولة فى أمريكا تسمى نفسها « جمعية الدراسات القبطية » فى نيوجرسى ، وفيه مقتطفات من مقال نشرته صحيفة الأوبزرفر البريطانية نقلا عن مراسلتها فى القاهرة فى ٥ يونيو عام ١٩٩٤ عن « مأساة بنات الأقباط فى الصعيد » ويتحدث المقال عن صور من الضغوط التى تتعرض لها الفتيات المسيحيات فى الصعيد من الجماعات الإسلامية ، أشبه بقصص ألف ليلة وليلة .

❑❑❑

ويبدو أن وظيفة الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس الذى يعيش فى أمريكا هى إثارة كل الهيئات والمنظمات الدولية على مصر ، وإصدار نشرات وتنظيم ندوات للتحريض على مصر وحكومتها وشعبها ، وفى أحد مقالاته يقول : « لقد تأخرت مصر علميا وسياسيا واقتصاديا بعد أن صار رجال الأزهر هم الحكام الفعليين للبلد ، فمثلا سيطر شيخ الأزهر والشيخ الشعراوى على النواحى السياسية والإعلامية ، فانتشر الفساد والرشوة وانصرف الأساتذة عن البحث والتعليم إلى تفسير السنة والفقه ، فلم تنجب مصر علماء منذ النصف الأخير من هذا القرن ، وانتابت مصر هلوسة دينية لم يسبق لها مثيل ، وتعرض العلماء الحقيقيون والأحرار لحملة إعلامية شرسة واعتداءات ممولة من دول الخليج .. أما عن الأقباط فنحن ندعو إلى وجود هيئات علمانية للدفاع عن حقوق الأقباط فى مصر والوجود السياسى والاجتماعى والاقتصادى كما كان الحال قبل ثورة ١٩٥٢ حتى لا تتعرض الكنيسة للهزات مثل ماحدث فى سنة ١٩٨١ بواسطة سفاح الزاوية الحمراء .

ثم يتفرغ الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس للهجـــوم على الرئيس أنور السادات ، وعلى البابا شنودة أيضا ؛ ولا يعجبه أن البابا ظهر فى برنامج للتليفزيون الفرنسى وأكد أنه ليس هناك اضطهاد للأقباط ، ويهاجم أيضا الدكتور إدوار غالى الدهبى لأنه أصدر كتابا عن سماحة الإسلام ، ويشيد بالدكتور ميلاد حنا لأنه يظهر قضية الأقباط بشجاعة ..

ومثل هذا الكلام كثير .. كثير ..

الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس رجل كرّس نفسه لهذا العمل وعمل لكل خطوة من البداية حتى الآن بنشاط يثير الدهشة . هاجر من مصر بعد أن ولد وعاش وتعلم فيها ..

عاش فى أمريكا ، ووجد مصدر رزقه فى الهجوم على مصر ، فلم يتردد ، ثم استطاع بذكائه الواسع أن يدرك مبكرا أن التجارة الرائجة فى السوق الأمريكية ستكون فى إثارة قضية اضطهاد الأقباط فى مصر ، فاستخدم كل علمه وذكائه فى هذه التجارة حتى أصبح من كبار التجار ، خاصة وهو يحمل لقب « دكتور » مما يضفى عليه سمت العلماء ، ويصبغ بضاعته بصبغة علمية .. ولما راجت تجارته أنشأ جماعة أسماها « الهيئة القبطية فى المهجر » وأعلن أن هدفها « الدفاع عن الشعب والكنيسة القبطية فى مصر » .. ومثل هذه الجمعيات ، حتى لو كان أعضاؤها عشرة أشخاص ، تحظى بمساعدات من هيئات بعضها معروف الهوية ، وبعضها غامض وغير معروف الهوية ، وتتلقى مساعدات مالية سخية من جهات عديدة أيضا ، بعضها معلوم المصدر ، وبعضها غير معلوم المصدر .

والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس ليس وحده فى أمريكا الذى يقوم

بهذا العمل ، ولكن هناك غيره .. عدد من المصريين منتشرين فى الولايات المتحدة ، يثيرون صخبا عنيفا يعطيهم حجما أكبر من حجمهم ، خاصة أن هناك منظمات فى أمريكا كل هدفها هو تشويه صورة مصر لأغراض لا تخفى على أحد .. ومن يلُذْ بهذه المنظمات ويعمل وفق مخططها ، يجد عندها الأموال ، والوظائف ، والمناصب والأمان .. والأمان فى أمريكا بالنسبة للغريب المهاجر عنصر يجعله أحيانا يضحى بكل شىء من أجله ، حتى بالشرف والكرامة .

□□□

الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس جعل نفسه زعيما للمدافعين عن الأقباط فى مصر ، ورافع لواء المعارضة للحكومة المصرية ، ولأنه يحمل لقب « دكتور » فهو يعرف أن اللعب بورقة حقوق الإنسان تربح كثيرا فى أمريكا هذه الأيام .. ولأن الأمريكان لا يجدون وسيلة لإحراج الحكومة المصرية والضغط عليها إلا هذه الورقة ، فهم مستعدون لدفع الكثير وبغير حساب لمن يقدم لهم هذه الخدمة ، وينشر أبحاثا وكتبا ومقالات تضم وقائع بعضها صحيح ، وبعضها كاذب ، وأكثرها فيه الكثير من المبالغة .. والوقائع تبدأ بأحاديث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ، وتتصاعد إلى أن تصل إلى درجة الحديث عن « التطهير العرقى » وهذا شىء لا يعرفه المصريون ولم يسمعوا عنه إلا فى البوسنة !

والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول فى أمريكا ما لم يقله أحد من قبل ، وهذا ما استحق عليه جوائز كثيرة .

يقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس : إنه بعد انتشار الإسلام تأخرت الدول الإسلامية ، ومازالت متأخرة ، لتدخُّل رجال الدين فى السياسة .. تأخرت هذه الدول سياسيا وعلميا واقتصاديا ، فالدول الإسلامية مثل

الباكستان وبنجلاديش وافغانستان والسودان وتركيا تعيش على الإعانات التى تأتيها من الدول الأوربية التى تحررت من سيطرة رجال الدين ، وصارت تنفذ « مالقيصر لقيصر وما لله لله (أى الفصل بين الدين والسياسة) .

أما عن مصر فسوف لا تتقدم إلا بعد فصل الدين عن السياسة . لقد تأخرت مصر علميا وسياسيا واقتصاديا ، بعد أن صار رجال الأزهر هم الحكام الفعليين للبلد ! فمثلا سيطر شيخ الأزهر والشيخ الشعراوى على النواحى السياسية والإعلامية والاقتصادية ، فانتشر الفساد والرشوة ، وانصرف الأساتذة عن البحث والتعليم إلى تفسير السنة والفقه .. فلم تنجب مصر علماء منذ النصف الأخير من هذا القرن ، وانتابت مصر هلوسة دينية لم يسبق لها مثيل ، وتعرض العلماء الحقيقيون والأحرار لحملة إعلامية شرسة واعتداءات ممولة من دول الخليج !

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس فى أمريكا : « نحن ندعو إلى وجود هيئات علمانية للدفاع عن حقوق الأقباط فى مصر ، والوجود السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، كما كان الحال قبل ثورة ١٩٥٢ ، حتى لا تتعرض الكنيسة للهزات مثلما حدث فى سنة ١٩٨١ بواسطة سفاح الزاوية الحمراء الرئيس أنور السادات !! وظهرت الكنيسة بمظهر الضعف بعد اجتماع أنبا رويس الذى وافق على قرارات السادات التى تخالف قوانين الكنيسة » .

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس أيضا : « إنه عند تصحيح الأوضاع صمت رجال الدين عن الدفاع عن اضطهاد الأقباط وقتلهم وتشريدهم ، وعن اشتراك قوات الأمن المركزى فى التعاون مع الجماعات الإرهابية الإسلامية فى هذا الإجرام ، فعهد الرئيس مبارك يعتبر أكثر شراسة

من عهد السادات . ففى عهد الرئيس السادات ارتكبت مذبحة الزاوية الحمراء ، أما فى عهد الرئيس مبارك فقد ارتكبت عدة مذابح وتم تشريد كثير من الأقباط فى قرى محافظة أسيوط . وفى الوقت نفسه يقابل هذا بصمت غريب من رجال الدين ، وحفلات لا يتم فيها إلا بوس الذقون ، هذا مما دعا كثيرين إلى ترك الدين المسيحى . وإذا تدخل رجال الدين فى السياسة فهذا يدعو إلى تدخل رجال الحكم فى الأمور الداخلية للكنيسة .. الشعب القبطى يحتاج إلى أقباط أحرار لهم الشجاعة بالتحدث عن آلامه وآماله بشجاعة مثل : انطون سيدهم ، وميلاد حنا ، وميلاد صاروفيم ، وماجد عطية ، وأنسى نجيب ساويرس .. وغيرهم .

ويقول الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس أيضا : « نحن ندعو لتكوين جبهة علمانية لها فروع فى جميع المحافظات والبلاد تضم الأحرار وما أكثرهم ، فالشعب القبطى مستعد للتضحية لمواجهة المؤامرة الدينية التى تقوم بتصعيدها الحكومة مع الجماعات الإسلامية لتصفية الشعب القبطى ، ولكن يحتاج الشعب القبطى إلى قيادة قوية ، فالمسلمون لا يحترمون هؤلاء الضعفاء ذوى المصالح الشخصية ، بل يحتقرونهم ، أمثال كمال هنرى أبادير ، وجورج روفائيل ، ومنى مكرم عبيد ، وفكرى مكرم عبيد .

هذه عينة من البضاعة التى يبيعها الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس فى أمريكا .

إنه يبيع الأكاذيب بالجملة ، وفى سياق الحديث يبدو دفاعا عن الأقباط وهو فى الحقيقة مادة للمنظمات المعادية والهيئات الممولة ، والجهات المانحة ، لإعلان الحرب على مصر .

وتأملوا السموم الكثيرة التى دسها فى هذه السطور القليلة .

● إنه يردد الأقوال المعادية القديمة والحديثة التى تتلخص فى أن الإسلام هو سبب تأخر الشعوب الإسلامية .. وطبعا لا يجرؤ على القول بأن الاستعمار القديم هو سبب التأخر .. والنظام الاقتصادى العالمى الجديد هو السبب الجديد للتأخر .. وأن سادته فى أمريكا الذين يتولون قيادة النظام العالمى الجديد هم الذين يسعون بكل الوسائل لمنع هذه الدول من التقدم ، ولعله سمع عن الحرب المعلنة على باكستان لمجرد أنها حققت بعض التقدم فى العلوم النووية .

● ثم إنه يلقى اتهاما غريبا للرئيس الراحل أنور السادات لم يقل به أحد من قبل ، وكأنه حقيقة معروفة ومسلم بها ، وهى أن الرئيس السادات هو « سفاح الزاوية الحمراء » وناهيك عن التطاول وبذاءة التعبير ، ويكفى أن نقف عند الاتهام الذى لا يستند إلى أى دليل ولا قال به أحد من قبل ، ولكنه أراد أن يظهر مهارته فى أداء وظيفته فاخترع اتهاما جديدا للدولة ورئيسها .. ولابد أن كل شىء بثمنه !

● ثم إن الدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول للأمريكيين : إن شيوخ الأزهر والشيخ الشعراوى هم الذين يتولون حكم مصر . وهذه سلعة جديدة ، وخدمة إضافية لمن يريد أن يهاجم الدولة فى مصر على أنها قريبة من نظام الحكم الإيرانى حيث يتولى رجال الدين السلطة ، وهو بذكائه وعلمه يعرف جيدا حساسية الرأى العام الأمريكى للوضع فى إيران ، فتطوع بأن يعطى للمنظمات التى يعمل فى خدمتها سلاحا جديدا يربط فيه بين الوضع فى مصر والوضع فى إيران ، وهذا أيضا دس رخيص ، وكذب واضح ، ودعاية سوداء ..

• والدكتور شوقى فلتاؤوس كراس يقول : إن سيطرة الشيوخ أدت إلى انتشار « هلوسة دينية فى مصر لم يسبق لها مثيل » وهو يعلم أن الهلوسة الدينية ليست من صنع رجال الأزهر ولا الشيخ الشعراوى ولكنها أولا محدودة ، وثانيا هى من صنع قوى مريضة نفسيا ومشوشة فكريا ، من أمثال بعض الذين يعرفهم الدكتور فلتاؤوس ويتعامل معهم ، وهؤلاء موجودون فى كل الأديان ، وفى كل الأقطار ، والولايات المتحدة بالذات هى أكبر دولة فى العالم تنتشر فيها الهلوسة الدينية حتى أن فيها كنيسة لعبادة الشيطان ، وجماعات تجمع بين الهلوسة الدينية والجنس والمخدرات فى وقت واحد ، وهؤلاء يعرفهم الدكتور فلتاؤوس جيدا . ولكنه لا يجرؤ على الحديث عنهم !

• وهو يصل إلى عرض أحسن مالديه من بضاعة يستحق عليها ثمنا غاليا هى طرح فكرة أن عهد الرئيس مبارك أكثر شراسة فى اضطهاد الأقباط أكثر من شراسة عهد السادات ، وهذا بالضبط ماتريد أن تروّجه المنظمات التى يتعامل معها الدكتور فلتاؤوس ؛ لأنها تريد فرض حصار سياسى على مصر الآن وليس مصر السادات .. تريد الضغط على حكم مبارك لأنه يقف مدافعا عن حقوق الفلسطينيين .. لأنه يعيد تجميع أشلاء العالم العربى .. لأنه يعمل على تحديث بلده بالتعليم والصناعة واستنزراع الصحراء .. لأنه يقود عملية تحوُّل تاريخية هائلة لنقل بلده إلى التحرر الاقتصادى والتعددية السياسية والديمقراطية .. ثم لأنه نجح فى أن يحتفظ لمصر بدور قيادى رغم المؤامرات الكبرى عليها وعليه .

تشويه صورة مصر أولا .. ثم تشويه عصر مبارك ثانيا .. هذا هو الهدف الذى رُصدت له الأموال لإصدار المطبوعات وإنشاء الجمعيات والمعاهد ومحطات التلفزيون والإذاعة ..

وللدكتور شوقى فلتاؤوس كراس كتاب بالانجليزية عنوانه « الأقباط منذ الفتح العربى غرباء فى أرضهم » ..

والدكتور فلتاؤوس عنصر نشط ، ومجتهد ، كما تقول عنه تقارير الجهات التى يعمل لها .

ولكل مجتهد نصيب !

❑❑❑

والدكتور فلتاؤوس ليس وحده ..

هو فقط مثل .. وهناك أمثاله كثيرون فى أمريكا وأوربا ..

يقدمون الخدمات بالجملة والقطاعى لكل من يريد أن يهاجم مصر سياسيا وإعلاميا .. هم يعرفون شيئا عن مصر .. وهم مصريون .. فالكلام منهم يمكن توظيفه ويمكن تصديقه ..

واحد من أمثال الدكتور فلتاؤوس فى فرنسا كان وراء برنامج للتليفزيون الفرنسى عن مصر ، ظهر فيه قداسة البابا يتحدث عن الحريات التى يعيش فيها الأقباط والمسلمون كشعب واحد فى مصر ، وظهر الدكتور ميلاد حنا يتحدث عن معاناة الأقباط وعددهم فى المناصب القيادية والخط الهمايونى الذى يضع قواعد لبناء الكنائس ، ثم ظهرت أسرة مسلمة تعيش فى مستوى اقتصادى مرتفع ليقول المذيع : هكذا يعيش المسلمون فى مصر ، ثم ظهرت عائلات وأطفال أقباط فى حى الزبالين فى حالة قذرة وصاح المذيع : وهكذا يعيش الأقباط فى مصر ..

ولم يقل معد البرنامج : إن الأغنياء فى مصر فيهم أقباط ومسلمون ، وإن الفقراء فيهم أيضا أقباط ومسلمون .. فالمصريون فى الفقر والغنى

سواء .. ولو أراد مائة ألف مثل لتأكيد هذه الحقيقة لوجدها فى لحظة واحدة ..

● وواحد آخر من أمثال الدكتور فلتاؤوس كان وراء تقرير قدمه عضو بمجلس العموم البريطانى منذ سنوات هو السيد ديفيد الدون عن وضع الأقباط في مصر ، وعقد مؤتمرا صحفيا لعرض هذا التقرير ، وقال العضو في مؤتمره الصحفى : « شكرا للمجهود الذى بذله بعض الأقباط المصريين فى لندن » .

● وواحد آخر من أمثال الدكتور فلتاؤوس شن هجوما ضاريا على قبطى مصرى معروف هو الدكتور أدوارد غالى الدهبى رئيس هيئة قضايا الدولة السابق لأنه الف كتابا عن سماحة الإسلام عبر عصور التاريخ مع غير المسلمين ..

● والدكتور فلتاؤوس أنشأ كيانا جديدا أعطاه صفة دولية ليكتسب هو أيضا مكانة دولية ويرتفع قدره فى بورصة أمريكا .. هو « الاتحاد العالمى للهيئات القبطية » فى عام ١٩٩٤ بين الهيئات القبطية فى أمريكا وكندا واستراليا وأوربا ..

وليس هذا كل شىء ..

ففى الجعبة الكثير .. !

□□□

ظهرت فى مصر مراكز للبحث العلمى ، تدفع للباحثين مكافآت سخية جدا ، وتحدد الموضوعات التى تسعى إلى الحصول على معلومات وبيانات وأرقام عنها ، ويشرف عليها أجانب أو مصريون يحملون جنسية أجنبية ، وتتلقى هذه المراكز أموالا من الخارج ..

ومنذ عامين حاول مركز للبحث العلمى (قطاع خاص !) عقد مؤتمر دولى عن الأقليات فى العالم ، لبحث وضع البربر ، والأكراد والأقباط فى مصر .. وكان أستاذنا محمد حسنين هيكل أول من تنبه إلى هذا الشرك وكتب مقالا دخل التاريخ قال فيه : إن الاقباط ليسوا أقلية فى مصر ، ولكنهم جزء من نسيج هذه الأمة ، وجزء من كيان مصر ، وليست لهم خصوصية تجعلهم ينفصلون عن شعبهم إلا أنهم يعبدون الله فى الكنيسة ، والمسلمون يعبدون الله في المسجد ، وفى غير ذلك فهم من أصل واحد ، وثقافة واحدة ، وحياة اجتماعية واحدة ، وهم يعيشون معا دون تفرقة ، فلا ينطبق عليهم وصف الأقلية ، وبعد هذا المقال المشهور ظهرت مقاومة عنيفة لهذا المؤتمر من اليمين واليسار ، ولكن المركز الذى ينظم المؤتمر كان إصراره على عقد المؤتمر أقوى من كل اعتراض ، فقرر عقد المؤتمر فى قبرص ، ودعا إليه عددا من الباحثين المصريين ليناقشوا أوضاع الأقباط كأقلية ، وكانت الدعوة تشمل الانتقالات بالطائرات والإقامة فى فنادق خمس نجوم وخلافه ، ومع ذلك لم يجد المصريون المشاركون فى هذا المؤتمر فى أنفسهم القدرة على الكذب علنا فى مؤتمر عام ، فتقرر استبعاد مناقشة موضوع الأقباط المصريين فى الاجتماعات العامة للمؤتمر ، والاكتفاء بدراسته على حدة بين المصريين فقط(!) ومع كل هذه المحاولات كان رأى المصريين المشاركين هو أن الأقباط المصريين ليسوا أقلية ، ومع ذلك صدرت توصيته بضرورة اعتبار الأقباط فى مصر ضمن الشعوب التى تحتاج إلى رعاية وحماية الأمم المتحدة (!) .

ولم يدرك أحد أن هذه خطوة متقدمة بعد خطوات وجهود الدكتور فلتاؤوس وأمثاله فى أمريكا وأوربا ، خطوة لتصعيد الموضوع إلى حد استدعاء التدخل الأجنبى ممثلا فى الأمم المتحدة .. والأمم المتحدة يعنى الولايات المتحدة ..

وبعد هذا المؤتمر كتب الدكتور مجدى سامى زكى المصرى المهاجر فى فرنسا والذى أصبح السكرتير العام للاتحاد القبطى الأوربى يقول : إن الاقباط فى مصر أتعس أقلية فى العالم ، والأمم المتحدة ترعى كل أقلية فى العالم ماعدا الأقباط ، وقد فتشنا فى مشارق الأرض ومغاربها لنجد شعبا واحدا يتألم كما يتألم الشعب القبطى فى مصر فلم نجد ، فليس فى إمكان القبطى أن يتزوج مسلمة ، بل إن وضع القبطى فى مصر أتعس من وضع الفلسطينى تحت الاحتلال الإسرائيلى ، فالفلسطينى فى غزة كان فى إمكانه رمى الحجارة على الجيش الإسرائيلى ، ولم نر قبطيا يرمى الحجارة على متأسلم ، وإذا جرح الفلسطينى إسرائيليا قد يحرق الجيش الإسرائيلى بيت هذا الفلسطينى فقط ، أما إذا دافع قبطى عن نفسه أمام اعتداء المتأسلمين فإنه تحرق متاجر ومنازل الأقباط الذين لم يشتركوا فى هذا الدفاع الشرعى عن النفس كما حدث فى طما .. والأقليات فى العالم يتحالفون مع قوى عالمية .. فالمسلمون فى البوسنة متحالفون ليس فقط مع البلاد العربية والإسلامية بل مع منظمات حقوق الإنسان العالمية فى حين أن الأقباط لا يتحالفون مع أحد ، حتى أن أدوارد كين وصف الأقباط بأنهم « أقلية وحيدة » ومن المفارقات الغريبة أن المثقفين فى مصر يدافعون عن كل شعوب الأرض إلا الأقباط كما صرح بذلك الدكتور سعد الدين إبراهيم إذ قال : « إن البعض يتشدق بالدفاع عن حقوق الأقليات فى كشمير وبورما وخمسين دولة أخرى فيها أقليات عربية أو إسلامية ، والأولى بهؤلاء أن يناقشوا حقوق الأقليات فى بلدانهم » (انظر جريدة الحياة اللندنية ١٩٩٤/٤/٢٣)

أكثر من ذلك يقول الدكتور مجدى سامى زكى : إن اضطهاد الأقباط فى مصر صادر من الدولة ، والحكومة المصرية لم تتحرك لحماية الأقباط من الاعتداءات المتكررة الواقعة عليهم ، ولم تتحرك لمقاومة الجماعات

الإرهابية المتأسلمة إلا بعد الاعتداء على السياح ، وضرب الاقتصاد القومى ، والاعتداء على كبار رجال الأمن ، والحكومة المصرية تترك التليفزيون والصحافة الحكومية ودور النشر المحترمة لتنتقد وتأخذ راحتها فى نقد المسيحية والانجيل وأهل الصليب ، فى حين أنه غير مسموح لأى مخلوق أن يبدى بأدنى تحفظ رأيه على الإسلام والقرآن ومحمد وأهل الهلال . والدولة المصرية هى التى تستبعد الأقباط من الوظائف القيادية أو التمثيلية . والدولة المصرية تحرم الأقباط من الالتحاق بكليات الأزهر .. وحماية الأقباط فى مصر أن يظلوا بلا حماية (!) ولا يكفى معالجة القضية القبطية فى جمعية الوحدة الوطنية ، فهذه الجمعية كجمعية الرفق بالحيوان فى حاجة إلى حماية .. وإذا كانت سياسة بعض مثقفى اليوم الإنكار وإخفاء الجراح ، فسياسة الدولة هى : « اللى مش عاجبه يخبط رأسه فى الحيط » .. ! فهل نلوم الأقباط بعد ذلك إذا طالبوا بحماية الأمم المتحدة .. ؟

هذا ما يقوله مصرى مهاجر اسمه الدكتور مجدى سامى زكى يعيش فى فرنسا ..

والحديث ملىء بكل ماهو مطلوب فى الخارج ..

مصر دولة عنصرية .. الأقباط أتعس أقلية .. لماذا لا يدخل الأقباط كليات الأزهر ؟ .. ليس فى مصر حرية دينية .. اعتداء على حقوق الإنسان .. وأخيرا استدعاء للقوى الأجنبية لحماية الأقباط .. وهذا هو المطلوب .. وصلت « البضاعة » كاملة واستحق الثمن .. !

□□□

مهاجر آخر : منير بشاى ..يسخر من الشعار الذى يحلو للقادة الأقباط أن يرددوه وهو : « أنا مسيحى دينا ومسلم وطنا » ..ويتساءل مستنكرا :

هل بهذا الشعار يعلن هؤلاء السادة قبولهم أن يُحكموا على أساس الشريعة الإسلامية بكل أحكامها وحدودها .. ؟ ومعنى ذلك أنهم يوافقون على أن المسيحيين مواطنون من الدرجة الثانية ، وأنهم أهل ذمة تفرض عليهم الجزية .. ثم يطلب منير بشاى من المسيحى المصرى أن تكون المسيحية هى ديانته ، والمسيحية هى وطنه أيضا .. !

وليس هو فى ذلك وحده ..

هناك ما هو أكثر ..

القس اغسطنيوس حنا يقول : إن يهوديا فقيرا ذهب إلى الحاخام يشكو له سوء الحال حتى أنه يسكن غرفة واحدة ضيقة مع زوجته وأولاده الأربعة ولا يكفى دخله الخبز فقط ، وسأل الحاخام النصيحة فقال له : اشتر خنزيرا ودعه يعش معك فى الحجرة مع أولادك وزوجتك .. ونفذ اليهودى نصيحة الحاخام فتطور حاله إلى أسوأ حال .. الخنزير رائحته كريهة .. ويأكل أكل الأولاد ويزحم الحجرة .. ويحدث أصواتا مزعجة .. وكل يوم يحطم شيئا فى الحجرة .. ولم يستطع اليهودى ولا زوجته ولا أولاده أن يذوقوا طعم الراحة لحظة واحدة .. فعاد اليهودى يشكو إلى الحاخام .. عندئذ قال له الحاخام : بع الخنزير .. وباع اليهودى الخنزير ، وبعدها تنفس الجميع الصعداء وشعروا بالراحة ..

وهكذا الحل اليهودى .. تجاهل المشكلة الأصلية ، واختلاق مشكلة جديدة تضاف إلى المشكلة الأولى ، ثم يعود الوضع كما كان ، ويبدو أن الإنسان حل مشاكله ، والحقيقة أنه استسلم للمشكلة الأولى ..

يقول القس أغسطنيوس حنا : إن هذه القصة تنطبق على الأقباط فى مصر تماما ..

حتى القس أغسطنيوس حنا الذى ذهب ليقدم الوعظ قدم حالة مصر للبيع ونتزهه طبعا عن قبض الثمن .. باع بلا ثمن !

الهيئة القبطية فى أمريكا التى يرأسها الدكتور شوقى فلتاؤوس كرئيس هيئة نشطة .. غنية .. وتستطيع أن تنشر الكتب والمطبوعات .. وتدفع تكلفة المؤتمرات والاجتماعات .. وتعرّف نفسها بأنها « هيئة سياسية هدفها الدفاع عن حقوق الإنسان القبطى فى وطنه مصر .. وأنها تملك – والحمد لله – كل وسائل الاتصال بجميع الجهات المسئولة فى العالم كله ! ونشاطها يتركز أساسا فى نشر قضية الأقباط على الرأى العام العالمى ، والاتصال برجال السياسة ومنظماتها فى كل مكان ، وبالحكومات المعنية فى كل العالم ! ، والمطالبة المستمرة الدؤوب على تحقيق العدالة والمساواة للإنسان القبطى على أرضه ، كذلك وفى نفس المسار ، التصدى لأى عمل يمس الكنيسة القبطية فى مصر ، مذبح الرب فى مصر .. وقيادات الكنيسة .. ونحن نحمل فكرا ووسائل اتصال ، ورسائل الهيئة القبطية التى تصدرها لكل أنحاء العالم هى الآن المستند الوحيد أمام القضاء الأمريكى للراغبين فى الحصول على اللجوء للولايات المتحدة ، وجميع المحامين الأمريكان ، وفى كل قضية يطالبوننا بهذه المستندات ، وأعمال الهيئة عديدة بعضها منشور ، والباقى لا يعلن عنه لحساسية الموضوع » !

هذه هى أهداف الهيئة القبطية فى أمريكا كما أعلنتها فى مجلتها « الأقباط » :

● هى هيئة تملك كل وسائل الاتصال بالجهات المسئولة فى العالم كله .. ولم تقل طبعا ما هى هذه الجهات المسئولة !

● وهى على اتصال برجال السياسة والمنظمات والحكومات الأجنبية !

● إنها تعد منشورات ورسائل لتكون المستندات أمام المحاكم الأمريكية للراغبين فى اللجوء للولايات المتحدة !

● جميع المحامين الأمريكيين يحصلون من هذه الهيئة على المستندات عن الاضطهاد والتصفية والتطهير العرقى للأقباط فى مصر .

● القضاء الأمريكى يعتمد على تقارير هذه الهيئة وهى المستندات الوحيدة التى يمكن تقديمها ؛

بعد ذلك كله هناك خطوط كثيرة يجب وضعها تحت الكلمات التى تقول : إن القليل من أعمال هذه الهيئة معلن ، أما الباقى فلا يعلن عنه .. لماذا ؟ .. لحساسية الموضوع .. ما هو الموضوع ؟ .. وما هى الحساسية ؟ .. هل هناك ما هو خفى أكثر مما هو منشور .. وماذا يدور فى الخفاء ؟ ؟

لا أحد يعرف .. ويكفينا أن الهيئة لها أعمال فى الخفاء لا تعلن عنها ..

ويقول بيان الهيئة القبطية فى أمريكا أيضا « إن لها فروعا تغطى ٥٠ ولاية أمريكية وفروعا فى كندا واستراليا وأوروبا ، وليس مقرها فى جيرسى إلا المكتب الرئيسى للهيئة ، وفيه دوران كاملان لإقامة الأقباط القادمين من مصر لأول مرة ، وتستقبلهم الهيئة وتمنحهم إقامة مفروشة مجانية إلى حين الحصول على عمل ، وهذا العمل عمل فرعى من أعمال الهيئة وليس أساس عملها . وتقوم الهيئة بإصدار نشرات دورية وآلاف من أعداد المجلة وتوزعها على جميع أنحاء العالم ، ويتكلف ذلك آلاف الدولارات (الحقيقة أن مثل هذا العمل يتكلف ملايين) وكذلك تعبئة المجلة فى ظروف وإرسالها

إلى مكتب البوستة للتصدير ، لا تتعجب إن قلت لك إنه يكلف الآلاف أيضا (تكاليف العمالة فقط) فلم يحدث أن تبرع أحد هؤلاء الشباب لمساعدتنا مجانا » .

هذه هى حقيقة الهيئة القبطية فى أمريكا كما تكشفها الهيئة نفسها . واقرأوا السطور السابقة مرة أخرى من فضلكم كلمة كلمة .. فإن وراء الكلمات معانى مذهلة !

ونأتى إلى الموضوع الأصلى : أقباط المهجر ..

هل كل الأقباط المصريين فى الخارج يقولون هذا الكلام ؟ ..

هل كلهم يحاربون بلدهم ؟ ويقدمون المستندات التى يؤلفونها إلى المحاكم لإدانة مصر ؟ ويتصلون بجهات وحكومات أجنبية ؟ ويضعون أنفسهم فى خدمة مخطط لحصار سياسى على مصر فى ظرف دقيق لا يجهله أحد فى الداخل أو الخارج ؟

هل كل أقباط المهجر يسعون إلى استعداء الدول والحكومات والشعوب الأجنبية على مصر وحكامها وشعبها ؟

وهل كل أقباط المهجر فى هذه الهيئة التى تملك ٥٠ فرعا فى أمريكا فقط وتستضيف كل من يهجر مصر إلى أمريكا ؟

تتلقفه وتنفق عليه وتوفر له المأوى والطعام مقابل تجنيده والقيام بعملية غسيل مخ .. ليتحول من مجرد مهاجر جاء إلى أمريكا بحثا عن فرصة أفضل للحياة إلى جندى يحارب بلده وضد شعبه ..

أسئلة محيرة لا أستطيع الإجابة عنها ..

وإن كنت – دون تفكير – أقول : إن المصرى مصرى فى الداخل والخارج .. لا يبيع أهله ووطنه حتى بوزن الأرض ذهبا ..

❑❑❑

كان قداسة البابا – كعادته – كريمًا وواسع الصدر وأنا أضع أمامه حيرتى .. وكان أيضا صريحًا جدا فى إجابته .

طالت الجلسة لأكثر من خمس ساعات وبقلب مفتوح أكد على مجموعة محاور فى حديثه :

الأول : أن بعض أقباط المهجر يتناولون شئون الأقباط بالمبالغة الشديدة ويتصورون أن المبالغة تعكس الحماس والمحبة لمصر وأهلها ، وربما يحرك البعض شعور بالذنب ، لأنه ترك أهله وذهب بعيدا حيث الثراء والزوجة الأجنبية والجنسية الأجنبية ، ويسعى باللاشعور إلى تعويض هذا الشعور بالذنب بالمبالغة فى إظهار الولاء والحرص على شئون الأقباط ..

ثانيا : أن بعض أقباط المهجر يحمّلون الحكومة مسئولية الإرهاب ، وهذا ظلم للحكومة ، لأن الحكومة تطارد الإرهاب وتحاكم العناصر الإرهابية ، فنحن جميعا فى مصر – مسلمين وأقباطا نهاجم الإرهاب .. نعم ، أما أن نهاجم الحكومة بسبب الإرهاب فلا .. هذا ظلم للحكومة ! ..

ثالثا : أننى أؤكد ما سبق أن أوضحته لكم فى لقاء سابق أننى أرفض تماما فكرة إدخال الأجانب فى شئوننا الداخلية تحت أى ادعاء وبأى حجة ، وهذا موقف قبطى قديم وقفته الكنيسة ووقفه أقباط مصر حين أرادت بريطانيا التدخل تحت ستار حماية الأقليات فكان الأقباط أول الرافضين للتدخل الأجنبى وقالوا : إنهم فى وطنهم ، ووسط شعبهم ، لا يحتاجون إلى حماية

خارجية .. أكثر من ذلك حين كانت الجمعية التأسيسية لوضع دستور ١٩٢٣ تبحث وضع الأقباط اقترح بعض المسلمين من أعضاء اللجنة النص فى الدستور على نسبة عددية للأقباط فى مجلس النواب والشيوخ ، فجاء الرفض القاطع من الأعضاء الأقباط فى اللجنة وكانوا بذلك يعبرون عن أقباط مصر جميعا ..

رابعا : أن بعض أقباط المهجر ينشرون كلاما لا نوافق عليه ، ونرى أنه يضر ولا ينفع ، وهم يفعلون ذلك دون استشارة الكنيسة أو الرجوع إليها ، وهناك تنظيمات فى أمريكا وأوربا تعمل خارج الكنيسة ولا صلة لها بالكنائس . فالكنائس تصدر مجلات باسمها تتضمن مواعظ وإرشادات وموضوعات روحية وأخبار ونشاط الكنيسة ، ولا يمكن أن ننشر هجوما على مصر بأى حال أو بأى صورة ..

خامسا : أن بعض أقباط المهجر يهاجمون الكنيسة ، وعلى سبيل المثال دخل بعض الأقباط فى منازعات قضائية مع الكنيسة المصرية ، لأن البابا أصدر قرارا بنقل راعى الكنيسة ، ورأوا هم أن تعيين ونقل الكهنة والقسس من اختصاصهم وليس من اختصاص سلطات الكنيسة المصرية ، كما هو متبع فى قانون الكنائس الأمريكية ، حيث يتولى شعب كل كنيسة تعيين وعزل راعى الكنيسة ، ورفعوا قضية ضدنا أمام المحكمة ، ولما خسروها رفعوا الأمر إلى محكمة استئناف فخسروها ، لأن المحكمة الأمريكية تفهمت الوضع فى الكنيسة المصرية على أنه مختلف عن الوضع فى كنائس أمريكا .. الكنيسة عندنا هيراركية ، أى أن السلطات الكنسية متدرجة فى درجات داخل التنظيم الكنسى ..

المهم أن بعض أقباط المهجر لم يجدوا ما يمنعهم من أن يقفوا خصوما فى المحاكم ضد الكنيسة .. ربما لأنهم يرون أن هذه هى الحرية كما يشاهدونها فى أمريكا ويريدون تقليدها بالخروج على كل السلطات ، وربما لأنهم بعيدون ويشعرون بالانفصال والاستقلال .. وربما لأسباب أخرى ! ..

ولذلك أنا أريد فى هذا الحديث أن أوضح عبارة أقباط المهجر التى يطلقها البعض وكأنها تعبر عن كتلة واحدة بينها تجانس واتفاق ..

وقال قداسة البابا :

إنهم يتحدثون عن « تهميش الوضع القبطى » كلما قرأوا فى الصحف حركة ترقيات وتعيينات وعدّوا أسماء الأقباط وأسماء المسلمين . ولكن هذا لا يعكس القضية . الأقباط تاريخيا لا يهاجمون الحكومة .. عقيدة عند الأقباط أنهم لا يقفون ضد الحكومة مادامت الحكومة لا تحاربهم فى ديانتهم . هناك عقد اجتماعى قديم جدا فى مصر .. الأقباط يؤيدون الحكومة ، ولم يحدث أبدا أن وقف الأقباط ضد الدولة الا فى عهد الدولة الرومانية . الآن نجد أقباطاً فى أحزاب المعارضة ، ونجدهم أيضا فى الحزب الوطنى ، والذين يعارضون يعارضون من موقف سياسى كمصريين وليس من موقف قبطى . مكرم عبيد عندما هاجم النحاس لم يكن قبطيا ضد مسلم ، ولكنه كان زعيم الكتلة ضد زعيم الوفد .. اختلاف سياسى لا شأن للدين فيه .. ومعروف أن مكرم عبيد كان له أصدقاء وأتباع وأعضاء فى حزبه من المسلمين أكثر من المسيحيين ! ..

وقال قداسة البابا :

أما من ناحية هجومهم على الدولة وعلى الرئيس مبارك فإن قانون الكنيسة

الذى يعبر عن الكيان القبطى يتضمن أن الكيان القبطى ليس كيانا مستقلا عن كيان مصر ككل ، ولكنه جزء من هذا الكيان ، وموقفنا من الرئيس مبارك معروف ، وقد أعلناه فى كل مناسبة ، وآخرها فى الاستفتاء الأخير على رئاسة الجمهورية ، وأصدرت بيانا بعنوان « بكل الحب » وعن ثقة وخبرة نبايع مبارك رئيسا . وقلت فيه إنه ليس شخصا جديدا علينا ، نتوقع أن يكون موفقا فى هذه المسئولية .. بل هو إنسان اختبرناه على مدى اثنى عشر عاما فى فترتين سابقتين لرئاسته للجمهورية ، ولمسنا فيه الكفاءة والجدارة . بل رأينا مقدار تعبه وجهده لأجل مصر . وكان وجها مشرفا لمصر نفتخر به ، وقد حفر فى ذاكرتنا صورة رائعة للبذل والجهاد فى كل قضايا الشرق الأوسط وأفريقيا وشتى البلاد التى كانت تحتاج إلى تأييده ..

لقد تسلم قيادة بلادنا وهى فى حالة يؤسف لها من الناحيتين : الداخلية والخارجية ، وبدأ فى إعادة رسم صورتها من جديد . ولعل من أهم ما قام به إعادة العلاقات الطبيعية بين مصر وسائر البلاد العربية وكثير من البلاد الغربية . وصارت مصر موضع ثقة من الجميع ، وصار رئيس مصر عاملا فعالا فى قضايا المنطقة ، ووسيطا بين أطرافها فى عديد من المواقف السياسية الحرجة ..

ولا ننسى مطلقا أنه فى أيام رئاسة مبارك لمصر ، عادت الجامعة العربية اليها ، بعد أن تغربت عنها سنوات طويلة ، واختير مصرى ليكون الأمين العام للجامعة العربية . وصارت مصر هى المركز الذى تناقش فيه جميع قضايا الأمة العربية ، العامة والتفصيلية . ولا ننسى أيضا الموقف الريادى لمصر فى مشكلة الخليج . ولا ننسى أيضا زيارات الرئيس مبارك لتلك

المنطقة ، وعلاقات المودة بينه وبين رؤساء دولها ، وتبادل الرأى معهم فى شتى القضايا الدولية ، وزيارات هؤلاء الرؤساء لمصر ، وما تم من اتفاقات وعلاقات عادت بالخير على بلادنا . وقد ظهر فى حادث الزلزال ، كيف وقفت البلاد العربية معنا ، وساهمت فى علاج تلك الكارثة ، وما ساهمت به أيضا فى القيام بمشروعات مهمة فى مصر ..

وكان لنجاح سياسة الرئيس المبارك الخارجية ، أن اختير مرتين ليكون رئيسا لمنظمة الدول الأفريقية . وقد حضرت الحفلة الافتتاحية للدورة التاسعة والعشرين لهذه المنظمة . وكان قلبى يقفز حبا وافتخارا بمصر ، وأنا أسمع كلمات التقدير والاحترام من رؤساء الدول الأفريقية للرئيس حسنى مبارك ، عن جدارة وخبرة .. وحقا كم ساهم الرئيس حسنى مبارك فى حل القضايا الأفريقية ، وكم دافع عنها فى ديونها وفى حرياتها . ومازال حديث الأمس القريب يرن فى آذاننا عن موقفه من تهنئة اريتريا باستقلالها ، والمساهمة فى الدفاع عن الصومال ..

والموقف الهادئ الرصين فى التعامل مع السودان ، وفى إعادة العلاقات الأخوية مع ليبيا .. ومواقف أخرى كثيرة مع دول أفريقيا . ولعلنا نسأل ههنا ونقول : ألا يُختار رئيسا لمصر ، هذا الذى اختارته كل دول أفريقيا وبالإجماع ، ليكون رئيسا لمنظمتها ؟ ! ..

وكان الرئيس مبارك مباركا حكيما أيضا فى علاقاته مع دول الغرب . وظهر هذا واضحا فى تأثيره على مديونيات مصر . حيث تنازلت بعض هذه الدول عن ديونها كاملة ، وتبلغ المليارات من الدولارات . وتنازلت دول أخرى عن نسبة كبيرة من هذه الديون ، وتنازلت دول عن فوائد

الديون ، أو قبلت جدولتها . وهكذا استطاع الرئيس مبارك بسياسته وباتصالاته أن يرفع عن كاهل مصر هذا الثقل الاقتصادى الخطير الذى كنا عاجزين فيه عن دفع مجرد فوائد الديون ، وكان يستهلك رصيدنا من العملة الصعبة ، ويدخلنا فى مشاكل مالية نعجز عن حلها ..

إننا لا يمكن أن ننسى للرئيس علاقاته الدولية الناجحة ، وما كان لها من نتائج عملية لخير مصر . لا يمكن أن ننسى أسفاره الكثيرة الناجحة ، ورحلاته الطويلة فى سبيل مصر ، ومن أجل قضية السلام فى الشرق الأوسط ، واتصالاته بكل الأطراف المعنية ، وكلها تحترم رأيه ، وتقبل وساطته بل تسعى اليها ، واثقة من عمق دراسته للقضايا ، ومن إخلاصه فى حلها ..

نحن لا ننسى مطلقا نجاح الرئيس مبارك فى حل مشكلة طابا ، فى هدوء وثقة ، وبوضع قانونى دولى . وكذلك مساهمته الحربية فى حل مشكلة الكويت ، وإرساله قوات للمساهمة فى تأييد اخوتنا فى البوسنة والهرسك .. إنه فى كل هذا ، لم يكن فقط مهتما بمشاكل مصر ، إنما أيضا بمشاكل غيرها من البلاد ..

أما من جهة مصر ، فقد كان مثيرا لإعجاب الكل حينما قال « اخترت الطريق الصعب » . وهكذا بدأ بالإصلاح السياسى ، والإصلاح الاقتصادى ، وإصلاح البنية الأساسية فى مصر ..

إنه بلا منازع أكثر رؤساء مصر فى عصرنا الحاضر اهتماما بالديمقراطية وحرية الرأى . فمن سياسة الحزب الواحد فى بدء الثورة منذ أربعين عاما ، إلى تعدد الأحزاب حاليا ، وحرية الصحافة التى ما كان يحلم بها أحد من

قبل . حتى أنه قد صار سهلا على أى كاتب أو صحفى أن يهاجم كما يشاء من يشاء ، حتى الرئيس نفسه ، دون أن يصيبه أى ضرر . وبقوة أعصاب عجيبة ، يحتمل الرئيس مبارك كلمات مهاجميه ، دون أن يثور أو ينفعل . وهذه صفة سامية من مميزات الرجل ، لم توجد إطلاقا فى سابقيه . ونحن نطمئن حينما يكون رئيس الدولة هادئا فى أعصابه ، لا يتخذ قرارا فى حالة انفعال ، أو سبب شخصى . إنها نعمة من الله ، وهبها للرئيس مبارك ..

وكما يتصف الرئيس مبارك بالاحتمال وهدوء الأعصاب ، والارتفاع عن مستوى المسائل الشخصية ، كذلك يتميز بالصراحة والمصداقية ، ويتميز أيضا بعفة اللسان ..

لقد صارح شعبه بمشكلة الديون الخطيرة ، وما كنا نعرفها من قبل . وصارح الشعب فى المسار الاقتصادى الجديد وارتفاع الأسعار . وكان يشرح كل شيء .. لم يحدث فى يوم من الأيام أنه وعد الشعب بوعود براقة زائفة ، يمكن أن تكتشف فيما بعد ، ويكون لها ردود فعل سيئة . بل كان كعهده صريحا وصادقا ..

وفى كل ما صادفه من مشاكل معقدة ، نراه باستمرار متفائلا . إنه لا ينكر عمق المشكلة . ولكنه لا يرى أن هناك مشكلة بلا حل . إنها قد تأخذ مدى زمنيا ، ولكن لابد أن تحل . لقد جابه مشكلة البطالة ، التى تشكو منها كثير من بلاد العالم ، وجابه مشكلة التضخم السكانى ، وجابه أيضا مشكلة الإرهاب التى انتشرت فى كثير من البلاد العربية والآسيوية والغربية .. وهو يتعامل مع كل تلك المشاكل فى هدوئه المعروف ، وفى تفاؤل ، ويتخذ الخطوات اللازمة بدراسة وفى تأنٍ . ولا ننسى موقفه الأبوى النبيل فى مشكلة الزلزال وحلها ..

إن الدراسة والتأنى من صفات الرئيس مبارك . فهو لا يلجأ إلى أسرع الحلول ، إنما إلى أكثرها إتقانا وفاعلية ، وأقلها فى ردود الفعل المتعبة . وهذه أيضا صفة جميلة فى الرئيس مبارك ..

ويعوزنا الوقت إن تحدثنا عن الإنجازات العديدة التى تمت فى عهده .. عهد الرئيس مبارك ، فقد تحدث عن هذه الإنجازات كثيرون . ولكننا فى عجالة وفى تلخيص كبير ، نذكر اهتمام الرئيس بعنصر الإنتاج ، سواء فى المجال الصناعى أو الزراعى ، وفى مجال الكهرباء والبترول . فقد اتسعت الرقعة الزراعية جدا بمئات الآلاف من الفدادين ، ودخلت الكهرباء إلى القرى ، واستخدمت فى التكنولوجيا الحديثة . وكثرت المصانع ، وشجع الرئيس النشاط الخاص ، مع بقاء إشراف الدولة على الصناعات الرئيسية فى القطاع العام . وقطعت الدولة شوطا واسعا فى إصلاح المسار الاقتصادى ، الأمر الذى شهد به صندوق النقد ، وصار مثالا يُقتدى به . واهتم الرئيس أيضا بوسائل النقل فى البلاد ، وارتفع مستوى الاتصالات التليفونية والبرقية وغيرها . وكثرت المدارس ، واهتمت الدولة بالتعليم وإعادة النظر فى مناهجه والإشراف عليه لتأدية رسالته التربوية على أكمل وجه ..

إننا نشكر الرئيس على سياسته وإنجازاته وصفاته النبيلة ، وروحه الطيبة فى معاملاته . ومن كل قلوبنا ، وبثقة ضمائرنا ، نؤيد إعادة اختياره رئيسا للجمهورية للمرة الثالثة ، لصالح مصر ، ولاستكمال خطته الحكيمة فى النهوض بها ، واستمرارا للعلاقة الطيبة مع سائر الدول . وليكن الرب مع الرئيس مبارك ، يؤيده ويقويه ..

وقال قداسة البابا وهو يناولنى نسخة من البيان :

هذا هو موقفنا من الرئيس مبارك وسيظل هذا موقفنا ..

ثم قال :

أقباط المهجر مئات الآلاف منتشرون فى كل منطقة ، وكل حى ، وكل ولاية ، وليسوا مركزين فى منطقة واحدة ، وبالتالى فليس لهم وجود جماعى حتى نتحدث عنهم جملة واحدة .. ولا نستطيع أن نقول : إنه يمكن أن يكون لهم رأى واحد ، أو أن هناك فردا واحدا أو أفرادا يمكن أن يعبروا عنهم جميعا .. فهناك فرق بين أن نقول : « بعض أفراد فى المهجر يقولون كذا أو يفعلون كذا وبين أن نقول : إن أقباط المهجر بصفة عامة كما لو كانوا جميعا كتلة واحدة .. وهذا تعبير غير سليم بالنسبة لأى مجموعة من البشر ، فما بالك بمجموعة من الناس مهاجرين فى أزمان مختلفة ، ويعيشون فى أماكن متفرقة ، ولكل واحد ظروفه الخاصة التى هاجر فيها ، بعضهم هاجر راضيا ، وبعضهم هاجر ساخطا .. والسخط نفسه له أسباب كثيرة .. ربما لأنه فشل فى عمل .. أو فى زواج .. أو علاقاته مع المجتمع أو داخل أسرته .

وقال قداسة البابا :

يمثلنا فى المهجر كنائسنا هناك : فى أمريكا وأوربا حوالى ٢٠٠ كنيسة مصرية ، وكل واحدة منها لها راع مصرى ، ويتردد عليها الأقباط الذين يعيشون فى أماكن يمكنهم الوصول منها إلى مقر الكنيسة ، وهناك من يعيشون فى أماكن نائية ، أو فى أماكن ليس لنا فيها كنائس ، أو ليست لهم صلة أصلا بالكنيسة .

وقال البابا شنودة بعد لحظة صمت قصيرة :

لا ننكر أنه توجد بعض مشاكل ، ونريد حل المشاكل على المستوى الداخلى فى بلدنا ، ولا نقبل إطلاقا أن تحل هذه المشاكل عن طريق جهة خارجية ، أو أن تكون موضوعا للنقاش والبحث خارج الإطار الداخلى المصرى ، وفى مصر حرية ونستطيع أن نقول مانريد .. ليس فى مصر من يشعر بالخوف لأن له رأيا يتفق أو يختلف مع الآخرين .

ثم عاد قداسة البابا يكرر :

نحن نرفض أى حل لمشكلة يأتى من الخارج .. من أى جهة .. أو من أى دولة .. أو من أى هيئة .. ونرفض أن تكون المشاكل الداخلية وسيلة للضغط على الحكومة أو إحراجها أو أن يتحدث البعض فى الخارج عن إحراج مصر اقتصاديا من جهة المعونات ..

وساد الصمت لحظة فى القاعة الواسعة ثم علا صوت قداسة البابا كأنه يريد أن يسمع العالم كله صوته :

الذين يتدخلون فى هذه الأمور هم أشخاص حصلوا على هوية أخرى غير الهوية المصرية ، وماعادوا يحرصون على هويتهم الأصلية .. لذلك نعمل جاهدين فى كنائسنا على أن نغرس الانتماء فى الجيلين : الثانى والثالث من المهاجرين .. نحاول أن نجعل الأجيال الجديدة لا تنسى مصر ولا تتحدث عنها بسوء مهما تغربوا ومهما حصلوا على مراكز وفرص وأموال فى الخارج .

وساد الصمت مرة أخرى ..

وقال قداسة البابا بهدوء :

أنا الآن فى تفاهم مع الدولة من جهة حل كثير من المشاكل القائمة .

والدولة تتفهم وبكل محبة .. والدولة تعمل فى طريق إيجاد حلول للأمور التى تراكمت منذ زمن . مالدينا من مشاكل ليس وليد هذا العهد ، ولكنه من عهود قديمة . وما أسهل معالجتها ، وكل شىء قابل للإصلاح بالنية الطيبة . والكنيسة تعرف تماما كيف تشق طريقها فى حكمة وفى غير تهور .. وفى غير خطأ .

وقال قداسة البابا :

للأسف .. بعض هؤلاء الأفراد فى المهجر يهاجمون الكنيسة أيضا .. وبهذا يكون عنصر الانتماء بالنسبة لهم موضع تساؤل سواء الانتماء الكنسى أو الانتماء الوطنى .

وقال :

لا نقبل أن يكون البعض فى الخارج قوامين على الكنيسة ، أو يكون لهم حق الادعاء بأنهم يعرفون صالحها أكثر مما تعرف هى .

وقال :

ليت هؤلاء يأتون إلى مصر ؛ وينشرون أفكارهم هذه علانية ، بدلا من أن يتكلموا فى الخارج من بعيد ، وماذا يمنعهم من أن يأتوا إلينا ويقولوا مالديهم كما يشاءون ؟

وقال قداسته :

المشكلة أن بعضهم يبحث عن بطولة زائفة !

وقال :

يريدون حين ينفعلون هم أن ننفعل نحن أيضا .. يريدون إثارة جو

انفعالى .. أما الكنيسة فيهمها أن تحل جميع الأمور فى جو من الحكمة والهدوء ، لأن الحلول الانفعالية لا تليق بالوضع الكنسى .. ولذلك إذا لم تتمش الكنيسة فى جوهم الانفعالى يهاجمونها كما لو كان الانفعال والهجوم هما هدفهم ، ويريدون جر الكنيسة إلى هذا الجو .. هذا الانفعال منهم يأخذ أيضا أسلوبا من العنف فى التصرف .. وهذا كله خطأ .

وقال :

نحن نهاجم التطرف .. فكيف نسلك سلوكا متطرفا بالقول أو الفعل ؟ ولا تنس أيضا أن كل فعل له رد فعل ، والإنسان الحكيم يجب أن يحسب حساب ردود الفعل .. الحلول الانفعالية فيها نوع من الضغط .. ونحن لا نقبل أن تحل مشاكلنا عن طريق الضغط .. السيد المسيح لم يستخدم أبدا أسلوب العنف أو الانفعال أو الضغط .. وآيات الكتاب المقدس كثيرة فى هذا المجال .. فهل نخالف السيد المسيح والكتاب المقدس ؟

❑❑❑

وقال قداسة البابا :

فى الإنجيل آية تقول : « أمور ذكرها أيضا قبيح » ومعناها أن هناك فعلا قبيحا يجب ألا يفعله الإنسان الصالح ، وهناك أمور لا يتناولها الإنسان المؤدب العاقل بالذكر .. حتى مجرد ذكرها والحديث عنها يتعارض مع سلوك الإنسان العاقل الصالح .. هناك بعض الناس لا يلتزمون بتعاليم الكتاب المقدس ويفعلون أفعالا قبيحة ويذكرون فى أحاديثهم أمورا قبيحة .. وهناك صحافة تفعل ذلك أيضا !!

وقال قداسة البابا :

مصر هى الوطن .. وكل شعبها هم الأهل والأصدقاء .. نعيش معا .. ونأكل معا .. ونشارك بعضنا بعضا فى الأحزان والأفراح ..

وقال :

إن أصدقائى من المسلمين لهم مكانة كبيرة فى قلبى فى كل مراحل عمرى .

❑❑❑

ويستطرد قداسة البابا شنودة فيقول :

عندما كنت طالبا فى كلية الآداب كنت أحمل تقديرا ومحبة للدكتور على إبراهيم حسن أستاذ التاريخ الإسلامى ، وشقيقه الدكتور حسن إبراهيم حسن عميد الكلية ، والدكتور أحمد فخرى ، وعندما تخرجت اشتغلت بالتدريس فى شبين القناطر عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩ .. كنت مدرس تاريخ .. وكان الطلبة المسلمون يشاركوننى فى الأعياد المسيحية ويهدون إلى السعف فى أحد السعف .. وبعد أن دخلت فى السلك الكنسى ظلت صداقاتى مع المسلمين .. عندما كنت أسقف التعليم كان أعز أصدقائى قاسم طعيمة عضو مجلس الشعب واشترك معى فى الرد على الكاثوليك عندما أرادوا تبرئة اليهود من دم المسيح ، وظللت على علاقة بأصدقائى فى جماعة الشعراء العرب ، وكثيرا ما يزوروننى فى البطريركية ونتبادل الحديث عن الشعر والأدب ..

وصداقة عمرى كانت مع الشيخ أحمد حسن الباقورى ، وكان بيننا توافق فى الآراء ، حتى أن أحدنا كان يتكلم فيقول له الآخر : اكتب اسمى معك فى آخر السطر !

ولى صداقة معروفة مع الشيخ محمد خاطر المفتى الأسبق ، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل ، وقبل أن يسافر إلى أمريكا زارنى وسألنى كيف يكون التعامل مع الأمريكيين ؟ وقلت له : سوف يطلبون منك أحاديث للتلفزيون والإذاعات أنصحك بطلب الأسئلة مقدما واحذف منها مالاتريد الإجابة عنه فهذا حقك ، وسوف يطلبون منك إلقاء بعض المحاضرات فليتك تعدها منذ الآن وغالبا ستكون عن الثقافة الإسلامية ، وعن الأزهر ونشاطه ، وعن تأثير الحضارة الإسلامية على النهضة فى الغرب ، وربما يسألونك عن تطبيق الشريعة الإسلامية والحدود .

وعندما وصل إلى أمريكا وجد أننى طلبت من جميع الآباء الكهنة فى نيويورك وما حولها أن يكونوا فى استقباله فى المطار ويصاحبوه فى كل مكان ، ويكون موضع تقدير وإجلال من الجميع .. وعندما عاد شكرنى .. وهذا تقليد فى زيارات كل شيوخ الأزهر فى الخارج أن يجدوا الآباء الكهنة فى استقبالهم .

وقال :

فى زياراتى فى الخارج أحرص على زيارة المساجد والمراكز الإسلامية والالتقاء بالشيوخ ، وفى أستراليا أذكر أنى وجدت الأقباط يريدون تكوين اتحاد لهم فقلت : يجب أن يكون هذا الاتحاد للمصريين المهاجرين جميعا مسلمين وأقباطا ، واتفقنا على أن تكون الاجتماعات فى مقر جمعية ابو بكر الصديق ، وأن يكون المنسق هو باسياميوس ممثل الجمعية القبطية .

وفى سوريا زرت مسجد أبو النور فى دمشق والتقيت فيه بالشيخ أحمد كفتارو مفتى سوريا والقيت محاضرة كان لها طابع الدين والسياسة معا ، وكان المسجد ممتلئا وهو من سبعة طوابق ، كان الحاضرون ٢٠ ألفا من المسلمين ، واستقبلونى مع الآباء البطاركة والمطارنة بترحيب كبير .. وهذا ماحدث أيضا فى لبنان .. حتى أن المفتى قال لى : أنت لست بابا الأقباط .. أنت بابا العرب ..

وذهبت إلى قانا مع مفتى الشيعة الشيخ محمد شمس الدين ، وشاهدنا معا آثار العدوان الإسرائيلى الذى قتل المسلمين والمسيحيين معا .. وقدمنا واجب العزاء للجميع .

وفى كل بلد أزوره أجد السفير المصرى والقنصل فى استقبالى ودعوتى وتنظيم احتفالات للقاء الشخصيات البارزة .. وأجد محبة وترحيبا .. حتى أن هناك صداقات تربطنى بهم .. ولا أنسى سفيرنا محمد شاكر فى بريطانيا .. ولا أنسى أننى مررت وأنا عائد من استراليا بسنغافورة وليس فيها أقباط مصريون ولاكنيسة ولا كاهن مصرى .. لم يكن لى إلا السفير وزوجته وأسرة السفارة .. وكانوا هم أسرتى يوما وليلة .. وكنا فى رمضان .. وتناولنا الإفطار والسحور معا فى جو عائلى وسهرنا سهرة شعرت فيها أننى وسط أهلى .. وسفيرنا سعد الفطاطرى حين كان فى السودان .. والسفيرة سهير زكى القنصل العام فى نيويورك .. والسفيرة مشيرة خطاب سفيرتنا فى جنوب أفريقيا .

□□□

وقال البابا شنودة : إن فى أمريكا أكثر من ٦٠ كنيسة .

تضم الأقباط المصريين .. ولكن أمريكا بلد واسع .. هناك أقباط مصريون يعيشون بعيدا عن أى كنيسة .. وهناك أقباط مصريون خرجوا متمردين على بلدهم وعلى الكنيسة ، وبعضهم يرى الحرية فى أمريكا فينبهر بها ويمارس الحرية بطريقة خاطئة تضر بلده وتضر بالكنيسة دون أن يدرى ، ولذلك جاءتنا بدع كثيرة من أمريكا نتيجة سوء استخدام الحرية ، ونحن لا نؤمن إطلاقا بالحرية المطلقة ، وإنما نؤمن بالحرية المنضبطة ، واستخدام الحرية استخداما خاطئا فى بلاد الغرب يصل بهم أحيانا إلى انحرافات خلقية وفكرية ، بعضهم جرى وراء الكحوليات والمخدرات والشذوذ الجنسى ، وهذه ليست حريات ، ونحن نرفض كل ذلك ، ونحاول الاعتناء بأبنائنا فى المهجر والمحافظة على هويتهم المصرية .

❑❑❑

وقال قداسة البابا :

بعد وقوع حادث « أبو قرقاص » كان الرئيس مبارك فى زيارة إلى الولايات المتحدة ، وحاول بعض الأقباط هناك استغلال هذا الحادث فى إثارة البلبلة ، لكنى أرسلت لهم قائلا : « أرجو أن تفرقوا بين الإرهاب والدولة ، فعندما تقفون ضد الإرهاب فأنا معكم ، أما أن تقفوا ضد الدولة فهذا مالا نقبله ، لما فيه من ظلم لها ، فالدولة تعانى من الإرهاب ، وقد قتل الدكتور رفعت المحجوب وهو رئيس مجلس الشعب ، كما حاول الإرهابيون اغتيال عاطف صدقى وهو رئيس الوزراء ، وحسن الألفى وهو وزير الداخلية ، وصفوت الشريف وهو وزير الإعلام ، وكلهم مسلمون .

وقلت لهم أيضا : إن عدد الذين قتلوا من المسلمين أكبر بكثير من عدد الذين قتلوا من الأقباط ، وحذرتهم من خلط الأمور ، لأن البعض فى الخارج - بسبب تأثير هذه القلة المنحرفة - يعتقد أن مصر بلد متعصب ، وهذا غير صحيح ..

وأقول دائما : إن العمل بالخارج يحتاج إلى حرص شديد ، لأننا لو تحدثنا عن مشاكلنا فى الخارج فهذا الحديث شكوى ضد بلادنا ، ونحن لانريد أبدا أن نأخذ هذا الموقف ، وأنا أعمل على تهدئة الجو فى الخارج حتى لا يأتى بنتائج سيئة على مصر . والحديث فى الخارج عن اعتداء على الأقباط فى مصر يأتى بنتيجة عكسية لا ترضى إخوانى من المسلمين ، لأنه يربط بين الإسلام والإرهاب ، وسيقولون : إن رئيس الكنيسة فى مصر يشكو ، وهذا بالطبع لم ولن يحدث ..

وهناك أقباط كثيرون جدا جدا مخلصون لوطنهم حريصون على سمعته وكرامته ويدافعون عنه ضد الدعايات الصهيونية .. ولكن علينا أن نفكر : الذين باعوا الوطن لماذا لا يبيعون الكنيسة وكل شىء ؟ .. لقد خرجوا على الكنيسة وتمردوا عليها .

وقال البابا :

إن الإسلام معروف بالسماحة ، ولا أنسى أن كل المسلمين أدانوا ماحدث وسخطوا عليه ، ولا أنسى أن جنازة « أبو قرقاص » كان أغلب المشيعين فيها من المسلمين ، وأنا أرى أن موجة الإرهاب تتراجع ، والجماعات صاروا أقل خطورة ، وقد يقومون من حين لآخر بحادث إجرامى ليقولوا « نحن

هنا » ونحن نتحمل لأن الدولة معنا ، وتعمل بكل مالديها للقضاء على الإرهاب والتطرف .

□□□

حادث « أبو قرقاص » يستغله فريق الهوس الدينى المصرى فى أمريكا .. ماذا يقول عنه البابا شنودة ؟

إن شعب مصر كان وسيظل شعبا واحدا . ولن تستطيع قوة أن تفرق بين الأشقاء أبناء الوطن الواحد ، وإذا كان هناك من يسعى إلى إثارة الفتنة الطائفية ، ويجد استجابة من بعض ذوى النفوس الضعيفة ، أو ذوى النيات الخبيثة أو المنشقين على الإجماع ، فإن ما يفعلونه لا يزيد على أن يكون طلقات طائشة ، تحدث صوتا ، ولا تصيب هدفا .

كان قداسة البابا واضحا فى التعبير عن رؤيته لحادث « أبوقرقاص » فقال لى : إن الذين استشهدوا فيه ثمانية من الشباب كانوا يسبحون الإله الواحد الذى نعبده جميعا . وإن كنا نتألم لفراق هؤلاء الأحباء . لكننا نثق أن الرب اختار هذه الأرواح البارة لتنضم إلى زمرة الشهداء .. وفى غمرة هذه الأحداث أسجل أن الرئيس حسنى مبارك سارع بالعزاء ، وكان لكلماته تأثيرها الكبير . كما سارع بإصدار أمره إلى الداخلية بتعقب الجناة والإسراع بالقبض عليهم ، وطلب بنفسه من وزير الصحة العناية بالمصابين بالمستشفى والإشراف عليهم شخصيا .. وكان موقف رئيس الوزراء قويا وسريعا بإدانة هذه الجريمة ، وتعهد الحكومة بضبط المجرمين .. وكانت وقفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى جانبنا لها معناها العميق وتأثيرها فى تخفيف الآلام عن أسر الضحايا .. وكان معه وزير الأوقاف وفضيلة المفتى ورئيس

جامعة الأزهر .. ولم يكتفوا بأن قدموا إلينا مشاعرهم الصادقة بالمحبة ، ولكنهم ذهبوا جميعا إلى الفكرية بأبى قرقاص ، وعقدوا مؤتمرا شعبيا وتلقوا العزاء بأنفسهم ، وهذا موقف وطنى تاريخى سنظل نذكره لهم بالتقدير .

وقال قداسة البابا : لا نستطيع أيضا أن ننسى موكب الجنازة المهيب بعشرات الآلاف من المشيعين مسلمين ومسيحيين . رددوا هتافات أعادت إلى الأجواء وحدة الصليب والهلال فى ثورة ١٩١٩ واختلاط دماء شهداء مصر من المسلمين والمسيحيين على أرض سيناء فى كل الحروب والمعارك . وآخرها حرب أكتوبر ١٩٧٣ المنتصرة .

سخط الجميع كان واضحا جدا على العمل الإرهابى .. ورجال أمن الدولة لم يضيعوا دقيقة واحدة ، وبذلوا كل ما فى وسعهم لمطاردة الجناة ، وتمكنوا من اصطياد واحد منهم فى ظرف أيام من الجريمة ولايزالون يبذلون جهدا قويا ومخلصا فى تعقب الجناة .. ورجال أمن الدولة هم أيضا بينهم وبين الإرهاب ثأر طويل وضحايا كثيرون .

وصحافة مصر الوطنية عكست أحاسيس صادقة بالاستنكار والرفض للجريمة والمجرمين ، وهاجمت كل الأقلام – دون استثناء – الإرهاب واعتداءاته وجريمته فى أبى قرقاص . وأجمع الكل – المؤيد والمعارض – من رجال الأحزاب على الوقوف ضد جرائم الإرهاب .. ورجال الإعلام فى الإذاعة والتليفزيون ، وقيادات الجمعيات والهيئات الإسلامية . هذه مواقف نذكرها ونشكرها ، ونسجل للجميع وقفتهم لحماية وحدة شعب مصر فى وجه المؤامرة الخسيسة .

وقال قداسة البابا : إن العمل الإرهابى يدعونا أن نتعاون معا . لا أن نتفرق أو ننقسم على بعضنا البعض .. نتعاون معا للوصول إلى حل عملى نتخلص به جميعا من عدوان الإرهاب . فهو عدو مشترك يهاجمنا كلنا ، وجرأته فى الاعتداء على أماكن العبادة أمر خطير .

❑❑❑

وقداسة البابا معه حق . ولعلنا نذكر أن الإرهاب هاجم مسجدا فى الصعيد وقتل عددا من المسلمين أثناء الصلاة وهذا دليل على أن الإرهاب لادين له .. الإرهاب مؤامرة موجهة إلى المجتمع كله دون تفرقة .. ولعلنا نذكر أيضا أن عدد ضحايا الإرهاب من رجال الشرطة أكثر من ضحاياه من المواطنين .. وأن ضحاياه من المسلمين أضعاف عدد ضحاياه من الأقباط .. ولذلك ننزه الإسلام من أن ننسب إليه هذه الجرائم التى لاتجد سندا لها فى دين أو أخلاق .

❑❑❑

وفى هذا اللقاء استمعت من قداسة البابا إلى حديث يفيض بالحب لمصر وقائدها .

وقال : إن الإرهابيين يعيشون كالقطعان الشاردة . متنقلين من مكان إلى مكان أحيانا فى المغارات والجبال ، وأحيانا أخرى فى مزارع القصب أو الذرة ، أو فى أوكار غير معروفة ، أو فى بيوت سرعان مايغادرونها إلى غيرها ، وكلنا نرى ونلمس أن الدولة تطارد الإرهابيين وتدخل فى صراع معهم . وقد قلّ خطرهم كثيرا جدا عن ذى قبل . بعد أن تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم إلى الإعدام أو السجن ، وقتل بعضهم فى معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة كان من ضحاياها أيضا ضباط وجنود ، ومنهم من كان برتبة اللواء وهى أعلى رتبة .

قال قداسة البابا أيضا : إن سجل الإرهاب الأسود فيه حوادث بشعة كثيرة .. تؤكد أنهم قتلة ، وليسوا سوى قتلة مأجورين ..

وأضاف قداسته : إننى أقول لأبنائى : يجب أن نفرق بين إدانة الدولة ، وإدانة الإرهاب ، فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة ، والدولة فى صراع معه ، وإن كنتم تدينون الإرهاب فلن يلومكم أحد ، فكل المصريين يدينون الإرهاب ويقفون ضده ، أما من جهة الدولة فمن الظلم أن يقف أحد ضدها فى جريمة أبو قرقاص أو فى غيرها من الأحداث .. فالإرهاب عدو مشترك للدولة والكنيسة معا .. بل ينبغى أن نقف جميعا إلى جانب الدولة فى صراعها ضد الإرهاب الذى لاتنفرد مصر وحدها به ، بل يوجد فى بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع .

وحين سألت قداسة البابا : ماذا تقول للأقباط فى المهجر وخاصة فى أمريكا ؟ .. أجابنى على الفور : أقول لهم .. أحبُّ أن تكون صورة الأقباط باستمرار فى المستوى الروحى الذى كان لنا فى كل العصور .. وأقول لهم .. إننا نقف مع الرئيس حسنى مبارك بكل محبة وإخلاص ونصلى من أجل أن ينصره الله فى معاركه من أجل بناء وتنمية وحماية أمن مصر .. وأقول لهم .. كونوا إلى جانب وطنكم الأم .. قابلوا الرئيس مبارك بكل ما يليق به من توقير كرئيس لدولتنا التى تنتمى إليها الكنيسة الأم وأيضا كقائد يبذل جهدا كبيرا فى قضايا السلام والرخاء ، كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلام بلدنا .. وقد أرسلت إليهم رسالة فى مارس ١٩٩٧ قلت فيها ذلك ، وتليت فى جميع كنائس المهجر فى أوروبا وأمريكا .

قلت فى هذه الرسالة[1] :

« أبنائى الأحباء فى أمريكا : اكليروسًا وشعبًا

سلام لكم من الرب ونعمة ، وبعد :

أحب فى هذا الخطاب أن أعزيكم فى أحبائنا الذين استشهدوا فى أبى قرقاص بأيد أثيمة من الإرهاب ، وصعدوا إلى الرب وهم فى الكنيسة فى جو روحانى ، فنالوا منه أكاليل نغبطهم عليها .

وقد كان جنازهم مهيبًا ، سار فى موكبه المسلمون مع المسيحيين ، والكل ساخط على الإرهاب وعلى الجريمة البشعة التى ارتكبها فى مكان مقدس .

ولا يزال رجال الأمن يبذلون كل جهدهم فى تعقب الجناة ، الذين يختبئون ، منتقلين من مكان إلى آخر : أحيانًا فى المغائر والجبال . وأحيانا أخرى فى مئات الفدادين من مزارع القصب أو الذرة ، أو فى أوكار غير معروفة . أو فى بيوت سرعان مايفارقونها إلى غيرها . والدولة تطارد الإرهابيين وتدخل فى صراع معهم .

وقد قل خطرهم كثيرًا جدًا عن ذى قبل . إذ تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم إلى الإعدام أو السجن . كما قُتل البعض فى معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة ، كان من ضحاياها أيضا ضباط وجنود ، وأحيانا بعض اللواءات ..

حقا إن خطرهم قد قلّ . ولكن حركتهم قد تخمد شهورًا ، ثم

---

(١) صورة ضوئية لرسالة قداسة البابا وبخط يده فى نهاية الكتاب (ملحق رقم ٣) .

يرتكبون حادثًا أو جريمة ، لكى يثبتوا أنهم ما زالوا موجودين ، وأنهم قادرون على العمل . ويدخل أمن الدولة فى حرب جديدة معهم .

إنهم قلة ، ولكنهم مسلحون وخطرون . وقد قتلوا الدكتور رفعت المحجوب رئيس البرلمان (مجلس الشعب) ، كما قتلوا أيضا الدكتور فرج فودة من كبار الكتاب ، وحاولوا اغتيال الدكتور نجيب محفوظ الذى سبق أن حصل على جائزة نوبل . بل أيضا حاولوا اغتيال الدكتور عاطف صدقى حينما كان رئيسا للوزراء ، واللواء حسن الألفى وزير الداخلية ، والأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام . وكل هؤلاء من المسلمين ، مع بعض قيادات الشرطة .

هنا يا أبنائى الأحباء - فى إدانتنا لحوادث الإرهاب - يجب أن نفرق بين إدانة الدولة وإدانة الإرهاب .

فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة . والدولة فى صراع معه . إن كنتم تدينون الإرهاب ، وتقفون ضده بكل الطرق المشروعة ، فلن يلومكم أحد . أما من جهة الدولة ، فمن الظلم أن يقف أحد ضدها ، فى جريمة أبى قرقاص أو فى غيرها من الأحداث ؟

الإرهاب عدو مشترك للدولة وللكنيسة معًا ولكثير من الأبرياء . بل ينبغى أن نقف جميعا إلى جوار الدولة فى صراعها ضد الإرهاب ، الذى لا يوجد فى مصر وحدها ، بل يوجد فى بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع .. وإن حزنكم على شهداء لنا ، لا يعنى أن يهاجم البعض الدولة ، كما وصل إلينا من أخبار ..

أحب أن تكون صورة الأقباط باستمرار فى المستوى الروحى الذى كان لنا فى كل العصور .

لذلك أود فى زيارة الرئيس مبارك إلى أمريكا ، أن تقابلوه بكل مايليق به من توقير : كرئيس لدولتنا مصر ، التى تنتمى إليها الكنيسة الأم ، وأيضا كرجل يبذل جهدًا كبيرًا فى قضايا الشرق الأوسط . كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلامة بلدنا .

تصرفوا إذن بحكمة وروحانية ، وليس بمجرد الانفعال .

وكونوا جميعكم بخير ، وليكن الرب معكم » .

❑❑❑

كل كلمة فى حديث قداسة البابا كانت مليئة بالصدق والمحبة .

وهو - كما كان دائما - قيادة روحية ووطنية فيها جذوة الوطنية المصرية مشتعلة ، كما كانت منذ ستين عاما ويزيد ، حين كان يقود المظاهرات ويهتف بحياة مصر ، ووحدة الصليب والهلال ، وحين كان يشارك فى شبابه فى أعمال الفدائيين لتحرير مصر من الاحتلال البريطانى .

قداسة البابا شنودة .. صاحب الرؤية الحكيمة .. يشع دائما على كل من حوله الحكمة والمحبة .. ولذلك أصبح رجل مصر بمسلميها وأقباطها .

❑❑❑

قداسة البابا : البعض يتساءل أين صوت الكنيسة بالنسبة للحملة المنظمة فى الخارج على مصر بحجة أن الأقباط فيها يعيشون تحت الحصار ، وأن الفتنة الطائفية تشتعل فيها .. ماذا تقول للمصريين فى الخارج مسلمين وأقباطا ؟

قال :

أولا : ما أحب أن يعرفه أبناؤنا فى الخارج أن ما يسمعونه عن التطرف

فى مصر مبالغ فيه ، والواقع مختلف ، التطرف ليس هو الطابع الغالب ، ولكنه محصور فى أقلية .. ثم إن هذا التطرف المحدود لا يجد تعاطفا كبيرًا كما يردد البعض ، بل يقاومه رجال الفكر ، وتقاومه الدولة ، وهو لا يمثل مصر جملة .. فمصر ليس فيها مشكلة طائفية ولن تكون فيها بإذن الله .. واجب أن يعرف الجميع فى كل مكان من المهجر أن التطرف ينحسر فى مصر ولا يشكل خطورة ، وأننا نعيش كما عشنا مئات السنين تربطنا روابط أخوة ومحبة .. أبناء وطن واحد .. هذا الوطن ارتوى بدماء المسلمين والأقباط معا .. وشيدنا كل مافيه بأيدينا معا ، مسلمين وأقباطا ، وهكذا سنبقى دائما .

بعد هذه الكلمات سادت لحظة صمت ، ونظر قداسة البابا فى عينى كأنه يضع خطوطا تحت كلماته لإبرازها ، أو كأنه يعطينى فرصة لأستوعب ما فى الكلمات من وضوح وحسم بحيث لا تدع فرصة لأصحاب الأهواء .

وساد الصمت والطمأنينة فى المكان لحظة وكأننا كنا فى صلاة قصيرة اتصلت فيها الروح بالله الخالق الواحد .. الذى خلق كل البشر ، وخلق كل الأنبياء ، وبعث كل الرسالات ، ولوشاء لجعل الله الناس أمة واحدة .

قلت : وأسمع أسئلة ممن لا يعرفون .. لماذا يسافر البابا كثيرا إلى الخارج ؟

قال : المسألة بسيطة ، لقد أصبح لنا كنائس كثيرة فى المهجر كما سبق أن ذكرت لكم ، وهى تحتاج إلى متابعة ، وأكثر هذه الكنائس قمت بتأسيسها ولابد أن أرعاها وأرعى أبناءنا هناك ، ولنا أديرة .. فى كاليفورنيا لنا دير مساحته ٤٠ فدانا ولنا دير آخر فى ألمانيا قريب من فرانكفورت ، ولنا دير فى ملبورن باستراليا . ولذلك أسمى هذه الرحلات « رحلات رعوية » أى للرعاية ، وعلى سبيل المثال لنا فى أمريكا ٤٠ كنيسة ، ولنا كليتان للاهوت

فى جرسى سيتى ولوس أنجلوس ، وكانت لنا فى كندا كنيسة واحدة ، والآن لنا هناك ٩ كنائس ، وفى استراليا كانت لنا كنيستان فقط . الآن لنا ١٢ .. فى انجلترا كانت لنا واحدة الآن لنا عدد من الكنائس .. ولنا فى بلاد المهجر كهنة وأديرة .. وأهم من ذلك أصبح المصريون المهاجرون كثيرين ولابد أن تكون الجسور بيننا وبينهم مفتوحة ألا يستحق ذلك أن انتقل إلى كل منها ؟ أليس من واجبى أن أطمئن على أولادنا هناك ؟ إن الهدف من تأسيس هذه الكنائس هو الحرص على أولادنا فى المهجر لكيلا يذوبوا فى المجتمعات الغربية ويفقدوا بعد ذلك شخصيتهم وهويتهم نتيجة الانقطاع عن العوامل الروحية والثقافية التى نشأوا فيها كما حدث بالنسبة لقوميات عديدة هاجرت إلى أمريكا ثم تلاشت ، أنا أخشى بعد جيل أو اثنين أن يذوب المصريون أيضا فى المجتمعات التى هاجروا إليها وينسوا أصلهم القديم ويصبح بالنسبة لهم مجرد ذكرى .. أريد أن نظل على صلة بكل مصرى وبزوجته وبكل أبنائه ليبقوا دائما مصريين .. إن خوفى الحقيقى على الجيل الثانى والثالث للمهاجرين، وأفكر فيهم كثيرا، وأرى أنهم يحتاجون منا إلى جهد كبير ، وأشعر بألم كلما رأيت أطفالا وشبابا لأبناء مصريين يعيشون هناك ولا يعرفون شيئا عن لغة بلدهم الأصلى وثقافته وتراثه ويعبرون عن أنفسهم بطلاقة بلغة المهجر بينما يتجمد لسانهم إذا حاولوا التعبير باللغة العربية .. وأشعر أن علينا واجبا كبيرا تجاههم يتحتم أن نقوم به .

❑❑❑

قلت : هى مشكلة فعلا .. هل يمكن أن نجد لها حلولا ممكنة ؟

قال :

أقول لك .. قبل تأسيس كل الكنائس لم نكن نعرف أين يوجد

الأقباط المصريون . الآن عرفناهم وعرفنا اسم وعنوان ووظيفة كل واحد منهم ، ووجود مكان العبادة يجذب المتفرقين منهم ، بل يجذب المسافرين إلى بلاد المهجر للزيارة أو العلاج فيجدون الرعاية من اخوة لهم بينهم رابطة الوطن الواحد .

وقال البابا :

فى كل رحلة تكون السفارة المصرية هى بيتى فى الغربة ، ولا تعرف كم أشعر بالراحة عندما أدخل سفارة أو قنصلية مصر ، أشعر أننى فى أرض مصرية .. فى بيتى ..

قلت : ما هى الأسئلة التى تتحاشى الإجابة عنها فى الخارج

وأجابنى بدهشة :

أتحاشى الإجابة ! ولماذا ؟ ! .. ليست هناك أسئلة لا أجيب عنها .. أنا أعرف أن هناك من ينتظرون رئيس الكنيسة فى مصر ليسألوه عن أحوال مصر ويتعرفوا على الحجم الحقيقى للمشاكل والأحداث التى تصل إلى أسماعهم بغير حجمها الطبيعى ، وستكون فرصة لتوضيح حقائق وصلت إليهم بطريقة غير واقعية وغير صحيحة ، وأعتبر ذلك شيئا مهما بالنسبة لرحلتى ، كما أعتبر لقاءاتى هناك مهمة لأنها تساهم فى تقوية الروابط الشعبية التى يكون لها تأثيرها فيما بعد ، ولابد أن ننتبه لأهمية الزيارات الشعبية فى مختلف المجالات والمستويات ، وكل زيارة لها عائد لمصر بدون شك .

قلت : ومع ذلك فهناك من يصرون على التساؤل عن أهداف سياسية ..

قال :

وابتسامته تتسع : أنا لست رجل سياسة فكيف تكون رحلاتى لها أهداف

سياسية ؟ ومع ذلك يمكن أن تكون لها نتائج سياسية لم تكن هدفا .. مثلا عندما قابلت الرئيس كارتر سنة ١٩٧٧ تطرق الحديث إلى القضية الفلسطينية . وقلت له : ليس من الإنسانية أن يوجد فى العالم شعب بلا وطن وإنكار الحقوق الفلسطينية هو سبب مشاكل الشرق الأوسط ، وسألنى كارتر يومها عما قلته فى أحد كتبى من أن اليهود ليسوا شعب الله المختار فشرحت له هذه النقطة شرحا وافيا وختمتها بقولى : إذا كانوا هم شعب الله المختار فماذا نكون نحن وشعوب العالم الأخرى ؟

طبعا هناك نتائج سياسية ليست ضمن أهدافى .. مثلا عقب المحاضرات يسألنى كثيرون من المصريين وغيرهم عن مجريات الأمور فى الشرق الأوسط والعالم العربى ومصر ، وبعضهم لا يعرف شيئا عن حقيقة الأحداث التى تقع فى لبنان والضفة الغربية ، وبعضهم الآخر ليست لديه فكرة عن حجم الجهود التى تبذل فى مصر للتنمية أو تشجيع الاستثمار أو الإصلاح الاجتماعى .. الخ . وكمصرى أشرح لهم الحقائق .. ليس هناك سؤال اتحاشى الإجابة عنه ..

قلت : وإذن فما هى القضية التى ستركز عليها هذه المرة ؟

وأشار قداسة البابا إلى ملفات أمامه وقال :

إننى أركز على مشاكل أولادنا .. لديهم مشاكل ويريدون لها حلا .. لابد أن نساعدهم .. البعض يفكر أن واجبهم هم أن يساعدونا .. أنا أرى العكس .. أرى أن نساعدهم .. ونساعدهم .. ونربطهم بنا .. بعد ذلك سوف يساعدوننا تلقائيا وعن طيب خاطر وبدون أن نطلب منهم شيئا .. أقول لك الحق : أنا قلق على الأولاد الذين ينشأون فى المهجر ويتجنسون بجنسية أجنبية ويعتادون الكلام بلغتها .. هذه مشكلة كبيرة بالنسبة لنا

جميعا مسلمين ومسيحيين وعلينا – كل واحد فى حدود إمكاناته أن يساعدهم فى رعاية الجيل الجديد فى المهجر قبل أن تستفحل المشكلة ويصبح علاجها ليس فى أيدينا .

قلت : كيف .. ؟

قال بسرعة وهو يعد على أصابعه :

أشياء كثيرة .. أولا أن نعرفهم ونعرف قيمة النابغين منهم ليظلوا على صلة بنا ، فى المؤتمرات التى ندعوهم إليها كل سنتين فى مصر يندر أن نعرف مكانة الشخصيات التى ندعوها ، ومنها شخصيات لها قيمة عالمية ، عندما يلمسون أننا لانعرف قدرهم يدركون أنهم منسيون فى بلدهم .. هل عندنا حصر للمصريين النابغين فى كل مجال وفى كل مكان ؟

ثانيا : لماذا لاندعو البارزين فى كل مجال ليشاركونا أبحاثنا ومناقشاتنا .. الاقتصاديون فى المهجر مع الاقتصاديين المصريين لدراسة مشاكل الاقتصاد المصرى .. ألا يعطينا هذا أفكارا جديدة .. ومناهج جديدة .. وهكذا مع الأطباء وعلماء الفضاء والصناعة .. وكل مجال ..

ثالثا : لماذا لا نعد سجلا عن كبار المصريين المهاجرين فتكون المعلومات عنهم ميسرة ويشعرون أننا نذكرهم .

رابعا : ماذا فعلنا لننقل الإرث الحضارى المصرى إلى أبنائنا فى الخارج كتيبات عن تاريخ مصر ونهضتها المعاصرة .. نماذج من الفن المصرى القديم والحديث ليتبادلوه كهدايا مع أصدقائهم إلخ .

خامسا : لماذا لا نعمل بجدية على تعليم اللغة العربية لأبناء المهاجرين .

سادسا : أمام الأمر الواقع بأن الجيل الثانى من أبنائنا فى المهجر انقطعت صلته باللغة العربية لماذا لا نبدأ حركة ترجمة واسعة لأهم تراثنا الفكرى وأدبنا إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ليتعرفوا علينا ونوجد معهم جسورا من الفهم والتفاهم ؟

سابعا : لماذا لا ننظم رحلات إلى مصر بتسهيلات خاصة لأبناء المصريين ليروا وطن آبائهم ويحبوه كما أحبه آباؤهم . ونعد لهم برنامج زيارات ولقاءات مدروسا لتعريفهم بكل جوانب حياتنا ونجيب عن كل أسئلتهم .. باختصار أنا أرى أن الواقع تطور ، ولابد أن نطور جهودنا وتطوراتنا .. كنا نتكلم عن المهاجرين .. الآن وقد مرت سنوات طويلة على بدء هجرة المصريين وازداد عددهم أصبح هناك أولاد المهاجرين وأحفادهم .. هذا واقع جديد ..

□□□

قلت : فى رحلاتك ما هى الأسئلة التى توجه إليك ؟

قال :

أسئلة كثيرة جدا .. بعضها عام يتعلق بمصر وأحوالها ، وبعضها فى الأمور الدينية ، وبعضها أسئلة شخصية تخص أصحابها وينتظرون منى النصيحة والإرشاد .

وفى بريطانيا دعيت إلى إحدى الجامعات لإلقاء محاضرة عن مصر فى العصر الحديث ، بدأتها من عام ١٩٥٢ مع ثورة يوليو ، وقلت : إن هذه الثورة حققت إنجازات كثيرة لم تكن سهلة ، لم يكن سهلا طرد الاحتلال الانجليزى ، أو تأميم قناة السويس ، أو تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع الظلم عن الطبقات المظلومة ، ولم يكن سهلا أن يصبح التعليم الجامعى مجانا ، وأن تنشأ فى مصر ١٣ جامعة ، ولاكان سهلا إنشاء السد العالى ،

والنهضة البترولية ، وقام أحد الشبان يقول لى : أنت تقول : إن فى مصر ١٣ جامعة ، ولكنها تخرج شبانا عاطلين ، والبطالة منتشرة .. فما فائدة الجامعات ؟

وقلت له : أولا البطالة فى بريطانيا وأمريكا وفرنسا وفى كل دول العالم .. وثانيا أن فكرة الشباب المصرى عن التعليم الجامعى تغيرت ، كانت الفكرة السائدة أن الجامعات لتخريج موظفين ، ومكتب العمل يوظف كل الخريجين سواء كان لهم عمل أو كانوا بلا عمل ، الآن بدأ الخريجون يفكرون فى مشروعات فردية صغيرة وبعضهم حقق نجاحا كبيرا .

وفى سان فرانسسكو كنت مدعوا لإلقاء محاضرة فى الجامعة هناك ، وسألنى صحفى أمريكى : هل عندكم فى مصر حرية دينية ؟ .. وقلت له أمام كل الحاضرين وكان عددهم ٤ آلاف من الأساتذة والطلبة : نعم عندنا حرية دينية .. نحن نعبد الله بحرية ، وكنائسنا مزدحمة لدرجة أن هناك كنائس نقيم فيها الصلاة (القداس) مرتين فى اليوم الواحد .

وسألنى صحفى آخر : هل تستطيعون تحويل مسلم إلى المسيحية ؟

قلت له : وأنت أمريكى تعيش فى أمريكا التى تقولون : إنها بلاد الحرية ، كم مسلم حولتموه إلى المسيحية ؟ فلم يستطع أن يرد .. فقلت له : بدلا من أن تفكر فى أن تحول شخصا من دين إلى دين ليتكم تفكرون فى إنقاذ شبابكم الضائع ، وتقودون شبابكم إلى الحياة الطاهرة أمام ربنا ، أما نحن فى بلادنا فإن ما نفعله هو ما نشعر أنه واجبنا ، وهو أن نعمق فى أبنائنا الإيمان بالله ، ونعلمهم الحياة الروحية الطاهرة .

❑❑❑

قلت : وآخر جولة زرتم فيها سوريا ولبنان وجنوب أفريقيا كيف كانت الرحلة ؟

قال :

كانت هذه هى زيارتى الثانية لسوريا ، فقد زرتها لأول مرة منذ ٢٥ عاما ، وفى زيارتى الأولى دعيت لإلقاء كلمة على منبر مسجد أبو النور حيث تجمع ٢٠ ألفا من المصلين المسلمين ، ودخل معى المسجد ٦ من الآباء البطاركة وعدد من المطارنة فكان موكبا عجيبا .. يدخل أحد المساجد وألقى خطيب المسجد كلمة طيبة تحية لنا ، وكان الخطيب هو الشيخ أحمد كفتارو مفتى سوريا يرحمه الله ، وبدأت حديثى عن وحدانية الله ، واتفاق الأديان فى عبادة إله واحد ، ثم انتقلت إلى علاقتنا ومحبتنا لسوريا ، ثم إلى القضية الفلسطينية وأهمية اتحاد العرب بكل دياناتهم للحصول على حقوقهم كاملة ، وعدم إعطاء الفرصة لأعدائهم لإيجاد ثغرة فى صفوفهم وإيجاد تفرقة بينهم لأى سبب ، وفى هذه المرة قابلت الرئيس حافظ الأسد ، ومعى مجلس كنائس الشرق الأوسط ، وكان حديث الرئيس الأسد صريحا بيّن فيه موقف سوريا الراغب فى السلام والذى لا يقبل إلا السلام العادل الذى يعطى لسوريا حقوقها ، ودعيت إلى معسكر اليرموك للفلسطينيين . وكان اجتماعا عجيبا ، نزلت من السيارة وسط آلاف الفلسطينيين وهتافاتهم . واكتشفت أنهم ضد القيادة الفلسطينية الحالية ، فحرصت على أن تكون كلمتى حول وحدة العرب ووحدة الفلسطينيين وخطورة الانقسام ، والتقيت فى سوريا بكل القيادات الإسلامية والمسيحية .. وكان وزير الأوقاف السورى كريما معى فصحبنى فى معظم جولاتى كما كان فى استقبالى

ووداعى ، وكانت زيارة أحاطنى فيها السوريون مسلمين وأقباطا بمحبة صادقة تأثرت لها جدا .

وفى لبنان التقيت بالرئيس الهراوى وبرئيس الوزراء السيد رفيق الحريرى ورئيس مجلس النواب السيد نبيه برى ، ولقيت ترحيبا كبيرا من الطوائف اللبنانية . وأدليت بتصريحات للصحف والتلفزيون ركزت فيها على وحدة الشعب العربى ، وأن اختلاف الأديان توحد ولا تفرق ، لأن الاختلاف الظاهر بين الأديان يتضمن وحدة أقوى هى الإيمان بإله واحد .. والمؤمنون بالله اخوة .. وركزت أيضا على أهمية أن تقبل إسرائيل العيش فى سلام مع العرب وتتخلى عن أطماعها .

وزرت أيضا بريطانيا ثم أمريكا ، وبعدها زرت جنوب أفريقيا ، ولنا فيها ٧ كنائس ومركز قبطى ، ومطرانية ، وزرت مناطق الزولو ، واستقبلنى ملك الزولو ، وحضر احتفالاتنا بالطبل والرقص والأغانى .. وقالت رئيسة البرلمان : نحن شعب عاطفى ، عندما نتكلم أو نصلى يتحرك كل جسمنا تعبيرا عما فى روحنا .

وزرت زيمبابوى والتقيت بالرئيس روبرت موجابى .

وهكذا ترى أن هذه الزيارات مهمة فى تعميق العلاقات مع مختلف الدول وعلى كل المستويات .

□□□

قلت : هل يرضيك ما يفعله بعض الأقباط المهاجرين من إثارة الرأى العام فى أمريكا وأوربا وتشويه صورة مصر ؟ ..

قال بسرعة وبوضوح :

لا .. لا يرضينى هذا أبدا .. وكل من يسىء إلى مصر ليس منا .. وأنت تعرف : بعض الأقباط المهاجرين خرجوا بمشاكل شخصية .. بعضهم لم يجد عملا كغيرهم ، ولكنهم لم يحتملوا وهربوا .. وبعضهم وجد مضايقات في العمل أو الأسرة مما يلاقيه غيرهم ، ولكنهم لم يحتملوا .. فعامل عدم الرضا معهم منذ غادروا مصر .. وبعضهم الآخر قضى فى الغربة سنوات طويلة ولم يعد يعرف حقائق\ما يجرى فى مصر .. ولذلك يصدّق أى شائعات تصل إليه .. ويقرأ عن حادثة وقعت فتؤثر فيه بأكبر من حجمها الحقيقى .. وبعضهم أيضا خارج على سلطة الكنيسة ومتمرد .. يفهم الحرية في الغرب على أنها تحرر من كل شىء ؛ لذلك يجب الا نعطى لهذه القلة حجما أكبر من حجمها ..

قلت : ولكن الإعلام الأمريكى يأخذ كلام هؤلاء المرضى والموتورين والمخدوعين على أنه حقيقة ، ويتحدث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ؟ ..

وأجاب :

هذا هو الخطأ .. الإعلام الغربى « يريد جنازة ويشبع فيها لطما » ولا أعرف لماذا ينشرون الأقوال التى تسىء ، ولا ينشرون الحقيقة حين نقولها .. فأنا أقول دائما إن الأقباط والمسلمين فى مصر شعب واحد .. إننى أرفض القول الذى يردده البعض عن الأقلية القبطية .. الأقباط فى مصر ليسوا أقلية ولا ينطبق عليهم تعريف الأقليات .. ليسوا مثل الزنوج فى أمريكا .. أو مثل المسلمين فى ألمانيا .. ولكنهم جزء من نسيج المجتمع .. جزء من تاريخ مصر كله .. وهم يعيشون مع المسلمين فى محبة .. البيت الواحد فيه مسلمون وأقباط .. وكل شارع فيه مسلمون وأقباط .. وكثيرا ما تجد المحل التجارى شركة يمتلكها واحد مسلم وواحد قبطى .. ولكن

الدعايات المسمومة تسعى إلى تشويه الحقيقة وتستغل استغلالا سيئا بعض أحداث العنف التى تقع ويكون ضحيتها أقباطا ومسلمين من المدنيين ورجال الشرطة .. جرائم الإرهاب موجهة إلى الجميع .. أقول ذلك بوضوح .. ومع ذلك أجد التعتيم الإعلامى الغربى على هذه الحقيقة .. ومن حقنا أن نشكو الإعلام الغربى ونطالبه بالحياد .. وبالموضوعية .. وبالإنصاف ..

قلت : لقد سألنى أستاذ بريطانى : إن الحوار بين الأديان هو القضية الأولى فى العالم .. فالعالم يبحث عن نقط التقاء مشتركة بين الأديان ليتفادى الصراع بينها .. فلماذا لا يبدأ الحوار بين الإسلام والمسيحية فى مصر كما هو قائم خارجها ؟ ..

قال :

هذا السؤال أسمعه كثيرا .. وأقول دائما : إننا يجب أن نبدأ بتحديد موضوع الحوار وأهدافه .. هل سيكون الحوار فى العقائد واللاهوت ؟ .. هذا لن يفيد .. هل سيكون بهدف تنازل كل دين عن بعض معتقداته والوصول إلى دين واحد فى الوسط يجمع بين الأديان ؟ .. هذا أيضا غير ممكن .. إذن يبقى أن يكون الحوار مقصورا على موضوع اتفاق الأديان على مبادئ واحدة فى الأخلاق ، وفى تنظيم الحياة الاجتماعية .. هذا هو الممكن والمفيد .. الحوار حول كيفية تعاون الناس من كافة الأديان دون أن يدخلوا فى المسائل العقائدية واللاهوتية ..

وأقول أيضا لكل من يسألنى : إن حوار الأديان فى أمريكا وأوربا يبحث كيف يتعاون المختلفون فى الأديان ، وهذا الهدف متحقق عندنا

فى مصر .. فنحن شعب واحد .. نعيش فى تعاون .. والتفاهم بيننا كامل فى كافة المجالات .. ولا نحتاج إلى هذا الحوار ..

❑❑❑

وأسأل البابا شنودة :

وماذا تقول لأبنائك فى الخارج :

قال :

أقول لهم أنتم مصريون لحما ودما ومصيرا .. ولمصر فضل عليكم .. مصر هى أمكم ..لا تسيئوا إلى مصر .. لا تخطئوا فى حقها .. عبروا عن حبكم لها بخدمتها ..قدموا لها يدا .. كونوا معها ولا تكونوا عليها ..إن كان فى قلوب بعضكم ذكريات ألم قديم انسوا هذه المشاعر ..وتذكروا شيئا واحدا .. أن مصر أمكم وأم آبائكم وأجدادكم ..وأم أبنائكم وأحفادكم ..وذراعيها مفتوحة لكم دائما .. افتحوا قلوبكم لها .. وأعطوها قلوبكم وفكركم وكل ما تملكون .. وهذا قليل .. !

❑❑❑

الفصل الرابع

الأقباط وإسرائيل

الأقبـــاط وإسرائيل

فرضت الأحداث نفسها على اللقاء مع قداسة البابا شنودة ..

حكومة إسرائيل تقتل وتشرد وتسجن الفلسطينيين .. وتحرمهم من الوطن .. ولقمة العيش ..والكرامة .. ثم يدَّعون فى إسرائيل أن هذه الحكومة تحقيق لنبوءة التوراة .. هل يأمرهم الرب بكل هذه الوحشية ؟ ..

وقداسة البابا شنودة الذى خرج فى شبابه المبكر فى المظاهرات المطالبة بالحرية ومحاربة الاستعمار ، والذى عاش فى مدرسة الوطنية المصرية تلميذا مخلصا ، ثم معلما كبيرا .. ما زال على موقفه منذ ربع قرن .. يرفض زيارة القدس .. يرفض دخول المدينة المقدسة وهى تعيش تحت الحصار .. مدينة الله أسيرة العدوان .. فلا يدخلها المؤمنون إلا رافعي الرؤوس .. ولن يدخلها الأقباط إلا مع المسلمين .. كنيسة القدس والمسجد القدسى تحيط بهما الدبابات الإسرائيلية معا .. والجرحُ ينزف من المسلمين والمسيحيين معا ..

وبعد حوار طويل مع قداسة البابا ، كان – كعادته – مثل القاضى ، يقدم الحيثيات فى تسلسل واقعى منطقى ، ثم يصدر الحكم .

والحكم عند قداسة الباب يلخصه بنفسه فى نقاط محددة :

- لا أثق فى حكومة إسرائيل ..
- ولا أثق فى نوايا إسرائيل ..

- ولا أثق فى صدق رغبتها فى السلام ..
- ولا أثق فى أمانتها على المقدسات المسيحية والإسلامية .

وحيثيات حكم قداسته المتقدم جاءت من خلال الحوار الذى جمع بين بعض الأمور العقائدية والأمور السياسية .

□□□

قلت : قداسة البابا .. فى أوربا وأمريكا يطلبون منا أن نفتح صفحة جديدة مع إسرائيل ونتبادل معها العلاقات الطبيعية .. هل مازلت عند موقفك من رفض زيارة الأقباط لإسرائيل حتى لزيارة القدس .. ؟

ونظر إلىَّ البابا شنودة لحظة ، ثم قال مستغربا :

ولماذا أغيّر موقفى .. هل غيرت إسرائيل موقفها .. ؟

موقفى لم يتغير ، ولن يتغير ، لأنه مبنى على أساس عقيدى .. تغير مواقف العرب هو الذى أضعف القضية .. أيام عبد الناصر كان يقول : إسرائيل المزعومة .. ولا يعترف بإسرائيل كدولة .. تغير الموقف أيام السادات وأبرمت معاهدة .. فى أيامنا الحالية تعترف كل الدول العربية بدولة إسرائيل .. وانتقلت إسرائيل من « التطبيع » إلى « الهيمنة » .. وأصبحت تهيمن على الموقف .. تمنح ماتشاء .. وتمنع ماتشاء .. وكأنها هى وحدها سيدة الموقف عامة مع العرب .. وبخاصة مع الفلسطينيين .. وحتى أصبح ماتعطيه لهم مجرد منحة وتفضل ، وليس حقا من الحقوق المشروعة تعيده إليهم بعد أن سلبته غصبا لسنوات طويلة .. ولا ندرى بماذا ينتهى الموقف الحالى ؟ ، إنها أيام عصيبة جدا ، بل لعلها أصعب الأيام التى مرت على الشعب الفلسطينى منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ حتى الآن ١٩٩٧ .. !

قلت : وزيارة القدس يا قداسة البابا ؟

قال :

ما زال موقفنا كما هو ، فنحن لا نغير موقفنا ، وموقفنا مبنى على قواعد سليمة ، وأنا أقول لأبنائى : إن الله لا يدخل المسيحيين إلى ملكوته لأنهم زاروا الأماكن المقدسة ، وإنما يدخلهم ملكوته بنقاوة القلب ، وقداسة السلوك ، والعلاقة الطيبة مع الله ..

ثم ابتسم البابا شنودة وهو يقول :

إننى أقول لأبنائى : هل تريدون زيارة الأماكن المقدسة .. زوروها فى مصر .. فنحن فى مصر لدينا أراض مقدسة .. فالعائلة المقدسة زارت مصر ، ولها مواضع كثيرة فى الطريق الذى سلكته ، والأديرة الموجودة عندنا هى أقدم أديرة فى العالم كله .. والكنيسة القبطية هى أم نظام الرهبنة فى العالم .. أول راهب فى التاريخ هو القديس انطونيوس ، وهو قبطى من صعيد مصر ..

قلت : ولكنى أسمع بعض أصدقائى الأقباط يقولون : إنهم يريدون تحقيق أمنية لهم بزيارة القدس .. وهذا اعتقاد شعبى مسيحى مصرى وليس من فروض العقيدة المسيحية .. ؟

قال :

أعرف أن كل مسيحى فى مصر يريد أن يقدِّس ، أى أن يزور القدس .. وأقول لهم : أولا ليس فى المسيحية فريضة الحج .. زيارة القدس ليست من أركان الدين المسيحى .. وأقول لهم ثانيا أنا أعرف هذه الرغبة ولكن إذا كان هذا يضر بقضية عامة .. قضية الوطن والشعب كله مسلميه وأقباطه

فماذا نفعل .. ؟ أليس الأفضل ألا نفعل .. ؟ وأقول لهم ثالثا : أنا شخصيا لم أزر القدس والأماكن المقدسة بها ، وأذكر أن عجوزا مسيحيا قال لى : أريد قبل أن أموت أن أرى الأرض التى عاش عليها المسيح فقلت له : مت وأنت مطمئن وسوف ترى المسيح نفسه وتعيش معه أيضا .. وأقول لأبنائى أيضا : إن السماح بزيارة المسيحيين للقدس فى ظل الأوضاع الحالية يعنى ضمنا الرضا والقبول بما تفعله إسرائيل ، وهذا مستحيل ، ويعنى تطبيع العلاقات معها فى ظل الاحتلال والدبابات واغتصاب الأرض العربية وهذا لن يحدث ، لأن وضع الاحتلال الإسرائيلى غير طبيعى ، وغطرسة الإسرائيليين أيضا غير طبيعية ..

وأقول لأبنائى أخيرًا إن زيارتكم لإسرائيل تنشط السياحة الإسرائيلية وتقوى اقتصاد إسرائيل ، فكيف تذهبون وتنفقون أموالكم هناك وتكونون مصدر دخل للإسرائيليين ليكون هذا الدخل وهذا الاقتصاد ضد العرب ؟ .. كما أننى أخشى على من يذهبون أن يتعرضوا لعمليات « غسيل مخ » بطرق مختلفة ، ويمكن أن يجندوا بعض شبابنا السذج لمصلحتهم .. وكل هذا له تأثير معنوى سيئ علينا وتأثير إيجابى يفيد إسرائيل .. زياراتكم مهما تكن أسبابها تحمل معنى الرضا بالأمر الواقع ..

وأخيرا أقول : إن قرارى بمنع أبنائى الأقباط من زيارة إسرائيل أنا مقتنع به بناء على مبادئ معينة فى داخلنا ، وهذا القرار ليس نابعا من سياسات ..

ثم ابتسم البابا بمرارة وقال :

لقد قاسيت كثيرا بسبب هذا القرار .. وهاجمنى بسببه بعض الأقباط ..

وبعض الصحف جعلت هذا الهجوم قضيتها الأساسية .. ولكنى سأظل على موقفى والرب معى ..

❑❑❑

قلت : أعود إلى فكرة أن أرض مصر أرض مقدسة وأن حج المسيحيين إليها أولى .. على أى أساس يا قداسة البابا ؟

قال :

على أساس أن أرض مصر أرض مقدسة .. ورد اسمها كثيرا فى الكتاب المقدس .. هذه الأرض التى شرفها بالزيارة عدد كبير من الأنبياء .. فى مقدمتهم أبو الانبياء إبراهيم .. وأيضا يوسف الصديق .. وأرميا النبى .. وقدسها أخيرا السيد المسيح حينما أتاها طفلا هاربا من اليهود تحمله على كتفها العذراء مريم الطاهرة ..

قلت : مادمنا نتحدث عن مقدسات وأساطير اليهود فهم يقولون : إن سيناء ضمن أرض الموعد .. ؟ !

قال :

لا .. ليست من أرض الموعد .. كل دارس للكتاب المقدس يفهم أنها كانت أرض المتاهة أو أرض العقوبة أو أرض الإفناء .. كان يمكن لله عز وجل حين أخرج اليهود من أرض مصر أن ينقلهم إلى فلسطين فى أيام قليلة فى طريق مباشر ، ولكنه فرض عليهم التيه أربعين سنة فى هذا القفر .. فى أرض سيناء لكى يفنى هذه المجموعة المتمردة التى حاولت أن ترجم موسى وتختار رئيسا آخر بدلا منه ، وفى سيناء مات كل الذين جاءوا من

أرض مصر ، ولم يدخل منهم إلى فلسطين إلا يشوع بن نون وكالب بن يفنه فقط لاغير .. ! هذا مايقوله الكتاب المقدس .

وأرض سيناء – كما سبق أن قلت كثيرا – تحمل الكثير من الذكريات المريرة والمخجلة والمؤلمة لليهود .. هى التى شهدت تذمر اليهود من الله .. وشهدت كيف أنهم تركوا عبادة الله وعبدوا العجل الذهبى ؟ .. وشهدت كيف غضب منهم موسى النبى وكسر لوحى الشريعة فى غضبه ؟ .. وهى الأرض التى شهدت عقاب الله لهم ، حين اشتهى اليهود أن يأكلوا لحما وبكوا طالبين اللحم ، فأعطاهم الرب لحما وضربهم ضربة شديدة أهلكت الآلاف منهم فى ذلك اليوم .. وهى أرض ابتلعت قورح وداثان وابيرام كعقوبة من الله لهم .. هى الأرض التى لا يشرفهم أن يسترجعوا ذكريات تاريخهم فيها .. لم تكن أرض بركة لهم .. ولكنها كانت أرض متاهة وعقاب من الله ..

❑❑❑

قلت : قداسة البابا .. إسرائيل كما نعرف دولة لا شرعية لها إلا مايقولون إنه فى الكتاب المقدس .. فأين الحقيقة .. ؟

قال :

الحقيقة .. الوضع الحالى لايسنده شىء فى الكتاب المقدس ، لا فى المرحلة الأولى التى كان الله يحكم فيها مباشرة عن طريق أنبيائه ، ولا فى المرحلة الثانية التى كان يحكم الملوك فيها تحت إرشاد الله وتوجيهات الأنبياء .. تلك المرحلة التى كان الله هو الذى يعين الملك .. والله يعين السبط الذى يختار منه الملك ، وكان سبط يهوذا ، والله كان يعين الشخص بالذات ..

وكان الله يرسل أحد أنبيائه لكى يمسح رأس هذا الملك بالدهن المقدس .. وكان الملك لذلك يسمى « مسيح الرب » لأنه مُسح من الرب بالدهن المقدس .. ويتسلم نسخة من الشريعة الإلهية ليحكم بها .. هذه هى عقيدتهم .. ولا تنس مرحلة كانوا يقتلون فيها الأنبياء ويلقون بهم فى السجون ، ولذلك قال لهم المسيح : « يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها .. كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » . وقال لهم الله : « وإن أكثرتم الصلاة لا أسمع .. أيديكم ملآنة دما » .

الدين يقول : إن اليهود انتهى أمرهم كشعب يحفظ وديعة ويسلمها للمسيحية ، وانتهت رسالتهم .. ولم يعد ممكنا أن يتجمع أصحاب دين فى أرض واحدة .. كما أن الرجوع لا يجوز فى الديانة اليهودية اعتمادا على مساعدة بشرية .. أو اعتمادا على دولة معينة ، وإلا فسيقال : إن أمريكا هى التى أرجعت اليهود وليس الله هو الذى أرجعهم .. ولا توجد حكمة لهذه العودة .. وهل يريد الله أن يظلم شعبا ليعيد شعبا آخر ..

قلت : تقولون فى العقيدة المسيحية انتهى دور اليهود .. ؟

قال :

نعم .. انتهى دور اليهود كمجموعة تحمل الإيمان ..

قلت : وما الموقف الآن .. ؟

قال :

الآن أصبح الايمان بوجود الله فى كل ركن من أركان الأرض .. ولم

يعد من المعقول ولا من الممكن أن نجمع المؤمنين بالله من أرجاء العالم كله ومن كل القارات لكى نضعهم فى قطعة أرض معينة .. فكرة « المعزل الدينى » استوفت وقتها وانتهت .. معقول أن نفهم عزل مجموعة مؤمنة فى عالم أغلبيته وثنية .. ولكن لا نستطيع أن نعزل العالم كله بعيدا عن قلة من اليهود .. العالم غالبيته مؤمنة الآن ، ولذلك انتهت فكرة « المعزل الدينى » ولم تعد هناك حكمة من وجود أرض يقبع فيها اليهود أو غير اليهود .

❑❑❑

قلت : وماذا عن فلسطين أرض الميعاد .. ؟

قال :

أريد أن يفهم الذين لا يعرفون الكتاب المقدس جيدا أن اليهود مروا على ثلاث مناطق : مصر ، وسيناء ، وفلسطين .. مصر بالنسبة لهم كانت أرض عبودية .. ذلوا فيها بسبب خطاياهم .. وسيناء بالنسبة إليهم كانت أرض متاهة ، وأرض عبور ، وأرض فناء ، وأرض عقوبة .. أما فلسطين بالنسبة إليهم فكانت مسكنا مؤقتا كمعزل دينى ، وأحب أن يفهم الجميع هذه الفكرة كما سبق أن شرحتها عدة مرات ..

فى الوقت الذى جمع فيه الله اليهود فى أرض فلسطين ، كان العالم كله مليئا بالوثنية ، وكان الناس يعبدون الأصنام .. الفئة الوحيدة التى كانت تعبد الله هى هذه الفئة .. أبناء إبراهيم .. ونحن لا ننكر إطلاقا أن منهم خرج الأنبياء .. كانت مجموعة مؤمنة فى ذلك الحين ، أراد الله أن يجمع هذه الفئة المؤمنة فى أرض تكون بالنسبة لهم بمثابة « المعزل » .. حرم عليهم التزاوج من غير اليهود .. وحكمة « المعزل » هى أن يبقوا محتفظين بالعقيدة

حتى تنتقل إلى جيل آخر يؤمن بالله .. والذى حدث أنهم استطاعوا أن يحتفظوا بالإيمان بصعوبة كبيرة ، بعد فترات عبدوا فيها الأصنام ، وتركوا الله فى أوقات كثيرة ، وعندما جاءت المسيحية تسلمت ما عند اليهود من وديعة .. الكتب المقدسة ، والعقائد ، والرموز ، والطقوس الدينية ، والإيمان ذاته ..

وبعد ذلك انتهى دور اليهود .. !

□□□

قلت : إذا كانت هذه هى عقيدة المسيحية بالنسبة لأرض الميعاد فكيف تنظرون إلى فكرة « شعب الله المختار » .. ؟

قال :

هذه الفكرة أيضا انتهت .. الله اختار اليهود فى الزمن القديم ليحملوا الإيمان .. ليس بسبب أنهم يهود .. إنما بسبب أنهم كانوا المجموعة الوحيدة التى تعرف الله ماعدا قلة متفرقة فى جهات أخرى .. أما الآن فقد أصبح الشعب المختار هو كل من يؤمن بالله .. فى رسائل بولس الرسول وفى الكتاب المقدس عموما نرى أن كلمة « المختارين » معناها « المؤمنون » لأنه من غير المعقول أن يرفض الله كل من يؤمن به ، ويقول لكل المؤمنين فى الأرض : لا أعرفكم .. أنا لا أعرف ولا اعترف إلا باليهود .. هذا كلام غير منطقى ..

وأذكر أننى عندما التقيت بالرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى البيت الأبيض سألنى كارتر فى بداية اللقاء وهو يضحك :

هل صحيح أنك تقول : إن اليهود ليسوا شعب الله المختار .. ؟

فأجبته باختصار شديد :

ياسيادة الرئيس .. إذا كانوا هم شعب الله المختار فماذا أكون أنا وأنت .. ؟

وضحك الرئيس كارتر أكثر ..

فالله ليست عنده محاباة .. الله ليس عنصريا .. الله لا ينحاز لشعب معين وهو خالق كل الشعوب .. سبحان الله جل اسمه عن الانحياز .. الله هو إله الكل .. كل البشر خليقته .. ورعيته .. وصنعة يديه .. وهو إله لجميع الشعوب على الأرض .. وكل المؤمنين رعية الله وشعبه المختار ..

لذلك أقول دائما ومنذ عشرات السنين :انتهت فكرة شعب الله المختار .. وانتهت فكرة تخصيص أرض يجلس فيها مثل هذا الشعب .

❑❑❑

ثم قال البابا شنودة :

هل تعرف بقية عقيدة اليهود ؟ .. هم يقولون : إن الله عزل مجموعة من المؤمنين به فى أرض معينة .. هذه المجموعة أراد الله أن يقودها بنفسه .. يقولون : إن المرحلة الأولى من مراحل المملكة اليهودية كان فيها الله هو الملك ، واليهود هم الشعب ، أى أنهم كانوا تحت حكم الله نفسه ، كان الله هو الحاكم وهو المشرع وهو الذى يضع الوصايا والنظم ويرشدهم فى الحروب .. لا يستطيعون أن يحاربوا إلا بإذنه وتوجيهه المباشر ، وهو الذى يحدد الزمان والمكان والقادة .. الله هو الحاكم عن طريق أنبيائه وعن طريق كهنته ..

هذا أمر غير موجود حاليا .. فكرة أن الله هو الذى يحكم بنفسه ،

ويكون هو الملك فكرة غير موجودة .. الله لا يحكم بنفسه .. وليس لديهم نبى يقودهم فى الحروب ..

قلت : وماذا عن الآيات التى تشير إلى عودة اليهود .. ؟

قال :

لابد من فهم هذه الآيات فى السياق التاريخى .. ولأن أكثر العرب لم يدرسوا التاريخ جيدا فإنهم يقتطعون هذه الآيات من سياقها ..

فى القرن الثامن قبل الميلاد حدث أن سُبى اليهود إلى أرض آشور ، وفى القرن السادس قبل الميلاد سُبى اليهود إلى بابل ، وعندما وقعوا فى السبى وأُخذوا من أرضهم أسرى حرب إلى تلك البلاد ، وعدهم الله فى ذلك الحين أنهم سيرجعون إلى أرضهم مرة أخرى .

وذكرت تلك الآيات فى حينها أنهم أُعادوا بناء سور أورشليم ، وبناء الهيكل على يد زربابل ، وأُصبح اسمه هيكل زربابل وليس هيكل سليمان .. وتحققت تلك النبوءات التى تتكلم عن رجوع اليهود إلى أراضيهم فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وأصبحت هذه الآيات إشارات إلى الماضى السحيق ، قبل ميلاد المسيح بخمسة قرون ، وليس لهذه الآيات علاقة بوضعنا الحاضر وبأيامنا الحاضرة .

فى الكتاب المقدس أن اليهود عادوا فى عهد قورش الفارسى ..أمور تمت وانتهت .. ونبوءات قديمة انتهت .. ولا علاقة لها إطلاقا بالوضع الحالى ..

ولذلك فإن وعد الله لبنى إسرائيل الذى جاء فى الكتاب المقدس يتعلق بالماضى .. وهو ليس وعدا يتصل بالمستقبل وليس وعدا دائما ..

والوعد موجه إلى يهود الماضى وليس إلى يهود الحاضر ..

□□□

قلت : وماذا عن مملكة اليهود .. ؟

قال :

هذا موضوع طويل ملخصه أن فكرة المملكة بدأت كفكرة خاطئة .. وتمرد على حكم الله .. وكانت مجرد تقليد للأمم .. على أن الله نفذ لهم فكرتهم ، وأقامَ لهم مملكة ، واحتفظ الله بإجراءين لحفظ المملكة من الانحراف : أولهما أن يكون الملوك باختيار من الله ، وثانيهما أن يحكموا طبقا لشريعته ووصاياه ، وخالفوا الله فى القاعدتين وأقاموا الملوك بغير اختيار الله ، وتجاهل الملوك الشريعة وساروا فى الفساد حتى عبدوا الأصنام وجرُّوا الشعب معهم ، وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى اثنتين : مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل . مملكة إسرائيل عبدت الأصنام منذ يومها الأول حتى السبى . ومملكة يهوذا تمسكت قليلا بالرب ثم انحرفت هى الأخرى إلى عبادة الأصنام فأسلمها الرب كذلك إلى السبى ..

المهم أن نعرف أن موضوع المملكة كان فى الماضى وليس فى الحاضر أو المستقبل ..

□□□

قلت : ويقولون : إنهم « أولاد ابراهيم » .. ؟

قال :

أقول لك ما قاله لهم يوحنا المعمدان : « يا أولاد الأفاعى ، أراكم تهربون من الغضب الآتى ، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولاتفتكروا أن تقولوا فى

أنفسكم لنا ابراهيم أبا .. لأني أقول لكم إن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم » . والنبوة لإبراهيم كانت موضوع نقاش بينهم وبين السيد المسيح كما يروى يوحنا الرسول .. « قالوا له : أبونا إبراهيم .

قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تريدون أن تقتلوني ، أنتم من أب هو ابليس .. » ومعنى ذلك أن المسيحية ترى أن هناك نوعين من النبوة لإبراهيم : نبوة جسدية ، ونبوة روحية ، والنبوة الجسدية لاتفيد شيئا ..

وفى الكتاب المقدس أن الله رفضهم بآيات صريحة فى العهد القديم والعهد الحديث فى سفر أرميا النبى : « كلهم عصاة متمردون .. كلهم مفسدون .. الرب قد رفضهم » ويقول الرب : « نزعت سلامى من هذا الشعب » ويقول : « إنى أرفضكم » .

وفى سفر هوشع النبى يقول لهم الله : « لستم شعبى ، وأنا لا أكون لكم » .. وعشرات الآيات تتحدث كيف يرفضهم الله ؟ .. ويرفض شفاعة الأنبياء فيهم .

❑❑❑

قلت : إن كل هذا جديد بالنسبة لى .. فلم يسبق أن شرحتم للناس حقيقة الأفكار التى تروّجها الصهيونية على أنها من الكتاب المقدس ، وهم الآن يقولون : إن القدس هى أورشليم مدينتهم المقدسة هم وحدهم دون بقية الأديان .. ؟

قال :

كلمة « أورشليم » هى « مدينة الملك العظيم » ويمكن أن ترمز إلى

الكنيسة ، كما يمكن أن ترمز إلى النفس البشرية ، ونحن نعتبر أن كل واحد من المؤمنين هو هيكل لله ، وروح الله ساكن فيه كما قال الكتاب المقدس . لذلك عندما أرتل بالمزامير فى صلاتى وأقول : « سبحى الرب يا أورشليم ، سبحى إلهك ياصهيون » إنما أوجه الكلام إلى قلبى ، وإلى نفسى ، أدعو القلب أن يسبح لله ، والنفس أن تسبح لله .. لذلك إذا وجدت فى صلواتنا أو فى تراتيلنا هذه العبارات فإنها تعنى المعنى الرمزى ليس غير ، لهذه الكلمات فى قاموسنا الروحى معنى ، ولها فى لغة أولئك الناس معنى آخر .

الله سمح بأن تخرب أورشليم وأن يهدم سورها ، وسمح بأن يجلس اليهود أسرى يبكون على أنهار بابل ، وسمح الله أيضا بأن يهدم الهيكل ، وكما قال السيد المسيح : « لا يترك حجر على حجر فيه إلا وينقض » .. وكما سمح الله بأن تخرب أورشليم سمح أيضا أن يتشتت اليهود فى أرجاء الأرض .. ويقولون : إن عودتهم تحقيق لنبوءة وإرادة الرب .. أين هى ؟ وأين الإعلان الإلهى بذلك ؟ وأين القائد الإلهى الذى يقود الرجوع .. أم هو مجرد عمل بشرى وأطماع سياسية لا علاقة لها بالدين ؟ هذا هو الأساس الذى تقوم عليه إسرائيل : أهداف وأطماع سياسية لاعلاقة لها بالدين ؛ لأنها ليس لها أساس فى الدين .. من الممكن أن يقول الله : إن بريطانيا هى التى أرادت لهم العودة وساعدتهم .. وإنهم عادوا بإرادة بريطانيا .. وبإرادة الولايات المتحدة الآن .. ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا بحق إنهم هنا تحقيقا لإرادة الله وتحقيقا لوعد منه .

وما هى الحكمة فى أن يتدخل الله مباشرة ليعيد اليهود إلى هذه الأرض ؟ .. قديما كانت الحكمة أن يعزلهم الله عن الكفار والوثنيين .. لأنهم كانوا هم

وحدهم المؤمنين بالله على الأرض .. هل يمكن أن يقبل عقل سليم أو قلب مؤمن أن يأمر الله العادل بالظلم .. بأن يعيد اليهود .. بأن يظلم أناسا آخرين من خلقه يؤمنون به ويعبدونه .. ويطردهم من أرضهم وديارهم ؟

❑❑❑

ويقولون إنهم يريدون إعادة بناء هيكل سليمان .. ؟ هل هذا ممكن ؟

الهيكل مكان لتقديم الذبائح والمحرقات وللعبادات القديمة ، وفى الطقس اليهودى القديم كان اليهود يقدمون محرقة فى الصباح ومحرقة فى المساء . والمحرقة عبارة عن ذبيحة تذبح وتوقد فيها النار ، وتظل النار مشتعلة فيها لاتطفأ وتغذى باستمرار .. وكانت النار موجودة باستمرار لاتنتهى .. وكانت هذه الذبائح جميعا رمزا لذبيحة السيد المسيح .. وكل يهودى كان يأتى بذبيحة ويقدمها فى الهيكل تكفيرا عن خطاياه .. فهل يمكن حاليا أن نرى هيكلا ملطخا بالدماء ليل نهار فى كل يوم تذبح فيه مئات الذبائح ، وتحرق بالنار ، وتظل النار فيه مشتعلة ليل نهار ..

هل يمكن أن تكون هذه هى عبادة الله ؟ .. وهل يمكن أن يقبل العقل فى القرن العشرين هذه الصورة للعبادة ؟ .

كان ذلك تاريخا قديما ..

كانت هذه هى العبادة فى العهد القديم كناحية رمزية يريهم الله أنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة .

أما الآن فإن طلب المغفرة يتفق مع درجة نمو العقل والروح التى وصل إليها البشر .. وكثيرا ما يسألنى الناس : ما رأيكم فى تبرئة اليهود من دم المسيح .. ؟

وأجيب دائما بأن الذين يبرئون اليهود من دم المسيح يعطونهم شيئا لا يجرؤ اليهود أنفسهم على طلبه .. لا يستطيع اليهود إطلاقا أن يطلبوا تبرئتهم من دم المسيح .. السبب بسيط .. اليهود لا يعتقدون أن المسيح قد جاء فكيف يطلبون تبرئتهم من دم شخص يرفضون الاعتراف بمجيئه ولا يؤمنون بأنه جاء أصلا .. ؟

كان يجب على الكنيسة أولا أن تسأل اليهود : هل تريدون إعلانا بتبرئة اليهود من دم المسيح ؟ .. أى مسيح تقصدون .. ؟ من هو المسيح الذى تتحدثون عنه .. ؟ وهل جاء .. ؟ ومتى جاء .. ؟ وكيف .. ؟ ومن ولدته .. ؟ ولماذا جاء .. ؟ هل جاء بكتاب مقدس أو لا .. ؟ فإذا أجابوا عن هذه الأسئلة يمكن أن نبحث إن كانت براءتهم ممكنة أو غير ممكنة .. ؟

اليهود ينتظرون حاليا مسيحا يولد ليكون قائدا حربيا من نوع شمشون الجبار أو من نوع جدعون أو باراق أو يفتاح .. !

وهم يرفضون المسيح الوديع وينتظرون المسيح الحربى العنيف الذى يقود جيوشهم فى القتال .

والذين يريدون إعادة الهيكل ويتصورون إمكان إشعال النار الدائمة فيه وتقديم الذبائح فيه باستمرار نقول لهم من الذى يقدم الذبائح .. ؟

الكهنوت فى الشريعة اليهودية هو الذى يقوم بتقديم الذبائح .. والكهنوت فى الشريعة اليهودية لابد أن يكون من نسل هارون من سبط لاوى .. وفى العصور القديمة كان اليهود يدققون تدقيقا كبيرا جدا فى الأنساب ويعرفون شجرة النسب لكل شخص .. وبعد أن سُبوا إلى بابل بدأوا يتزاوجون

مع الشعوب الغريبة .. وحدث أن عزرا النبى بكى أمام الله ، وناح ، ونتف شعر رأسه ، ومزق ثيابه ، لأن الدم المقدس قد تلوث بالغرباء ..

الآن وقد خربت أورشليم سنة ٧٠ ميلادية ومر على خرابها ١٩ قرنا .. خراب الأوضاع الخاطئة التى فيها لبناء أوضاع سليمة .. وبعد أن عاش اليهود ١٩ قرنا مع كل الشعوب فى العالم فأين يجدون الكهنوت من نسل هارون من سبط لاوى .. هل سيجدونهم قادمين من أمريكا .. أو من روسيا .. أو من الحبشة .. أو من بولندا ؟ .. هل سيصبح الكهنوت اليهودى أمريكيا .. من نسل أبناء تكساس مثلا .. ؟

❑❑❑

قلت : يا قداسة البابا .. يبدو أن لديكم رؤية واضحة لما تريده إسرائيل .. ما هى .. ؟

قال :

فى رأيى أن نوايا إسرائيل تهدف إلى السيطرة على كل القدس .. الغربية والشرقية .. وتهدف أيضا إلى إعادة بناء هيكل سليمان .. وربما تكون إعادة بناء الهيكل على حساب ضياع المسجد الأقصى وقبة الصخرة .. وقد قامت إسرائيل مرات عديدة بجس نبض العرب فوجدت أنهم يجنحون إلى السلم دون أن تجنح هى له .. ويحتجون على المواقف ويشجبونها ثم ما تلبث ثورتهم أن تهدأ .. وتصبح هذه المواقف واقعا عمليا ..

وكثيرا ما قلت : إن الاكتفاء بسياسة الشجب يذكرنى بقول ذلك الأعرابى الذى قال عبارته المشهورة : أشبعونى ضربا وأشبعتهم سبا .. وإسرائيل لا تبالى بالسب أو الشجب .. لأنه ليس موقفا عمليا ولا اتجاها مضادا

قويا يمكن أن يعوق مسيرتها أو يهدد خططها .. بل وصل الأمر بإسرائيل إلى حد أنها لم تعد تبالى حتى باحتجاج رئيس أمريكا .. فهو يعلن رفض أمريكا لسياسة الاستيطان وهى مستمرة فى بناء المستوطنات ليس فى القدس فقط ، بل فى كل أنحاء الضفة .. وإسرائيل لا تبالى بمواقف أوربا .. ولا بمواقف الأمم المتحدة ولا مجلس الأمن ولا بالقانون الدولى ..

قلت : وكيف ترى القضية .. ؟

قال :

أراها صعبة .. وليس من مصلحة العرب أن يسهِّلوا الأمر على أنفسهم ويجعلوا المسألة بسيطة .. وأقول لك شيئا آخر .. من الناحية الدينية العبادة عندهم مجمدة .. لأن غفران الخطيئة فى العقيدة اليهودية يتوقف على ثلاثة أمور لابد من توافرها : الأمر الأول : هو تقديم الذبائح كفارة عن الخطايا ، ونحن فى المسيحية نرى أن ذلك كان رمزا فى العهد القديم وليس شرطا فى العبادة والغفران ، والأمر الثانى : هو وجود الهيكل لكى تقدم فيه الذبائح ، وليس مسموحا لهم عقيديا أن يقدموا الذبائح إلا فى الهيكل ولا يقدمونها فى أى مكان آخر ، ويرون أن الهيكل هو المكان المقدس الوحيد الذى اختاره الرب لهم ..والأمر الثالث : هو وجود النار المقدسة ، وكانوا يحتفظون بها فى تجوالهم أثناء خيمة الاجتماع التى سبقت الهيكل ، أو تنزل إليهم نار من السماء كدليل إلهى على قبول الذبيحة ..

إذن عقيدة اليهود لغفران خطاياهم يحتاجون إلى المكان المقدس الذى هو الهيكل ، ويحتاجون إلى الكهنوت اليهودى ، أى وجود كهنة من نسل هارون شقيق النبى موسى ولا يصلح كهنة آخرون غيرهم ، ويحتاجون إلى النار المقدسة ..

من هنا يبدو أن « الهيكل » ليس هدفا سياسيا .. ولكنه أمر عقيدى أساسى في ديانتهم .

وهذا هو الذى يمثل الخطورة .

أما أن يقدموا ذبيحة ولا تنزل نار من السماء لقبولها ، فيدل ذلك على رفض الرب لهم رفضا إن كانوا حكماء يستفيدون منه ..

أما من جهة تسلسل كهنة من نسل هارون فهم يقولون إن عندهم هذه السلسلة من الأنساب ..

أما عن بناء الهيكل الجديد فهذا هو بيت القصيد .. وهو هدفهم الحقيقى .. هدم المسجد الأقصى لإقامة الهيكل مكانه لكى تقام الشعائر اليهودية المعطلة .. وهذا فى كتاباتهم وعقائدهم لمن يجيد القراءة ..

ومشكلة العرب أنهم لا يقرأون .. ولو قرأوا لعرفوا أن هناك عشرات الكتب تحوى كل الأجزاء ، والصور ، والتفاصيل التى كانوا يدبرون لها منذ زمن ، ويعدُّون كل شيء للأيام المقبلة .. !

❑❑❑

قلت : يا قداسة البابا .. أشعر أن التفاؤل بعيد عن فكرك .. ؟

قال :

بصراحة .. فى داخلى لا أجد ما يريح بالنسبة لسنة ٩٧ بالذات .. رقم ٧ له دلالة ورموز عندهم .. فقد قامت الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ لذلك فإن عام ١٩٩٧ هو ذكرى مرور مائة عام على مؤتمر بازل بسويسرا الذى أعلنت فيه النوايا بوضوح ورسمت الخطط وقدم هرتزل التصور الكامل لكيفية إقامة دولة من العدم .. إذن عام ٩٧ له معناه ..

وقد حصلوا على وعد بلفور عام ١٩١٧ .. لاحظ رقم ٧ ولاحظ أن عام ٩٧ هو ذكرى مرور ٨٠ عاما على هذا الوعد .

وقد بدأ تقسيم القدس إلى شرقية وغربية عام ١٩٤٧ .. وبعدها قامت الحرب بيننا وبينهم عام ١٩٤٨ .

وكان دخولهم القدس واحتلالهم القدس الشرقية وأراضى العرب عام ٦٧ .

وانظر ما جرى فى عام ٩٧ .

ولا ندرى ماذا يدبرون ؟ .. وماذا سيفعلون مع وجود هذه السياسة التى لا تخفى نواياها المتشددة والعدوانية على لسان الحكومة الحالية ورئيس الوزراء نيتانياهو .. ؟ !

❑❑❑

قلت : زياراتكم المتكررة لأمريكا جعلتك قريبا من فهم ما يجرى هناك .. كيف ترى موقف أمريكا .. ؟

قال :

معروف صداقة أمريكا لإسرائيل وانحيازها لها .. ومعروف تأثير اللوبى الصهيونى هناك ومازلنا نذكر خطاب نائب الرئيس الأمريكى آل جور فى تجمع اللوبى الصهيونى فى نيويورك الذى أظهر فيه الانحياز الأمريكى .. ومعروف أن أمريكا هى الدولة الوحيدة التى تستعمل الفيتو لمنع إدانة كل عدوان إسرائيلى على العرب .. ولعل هذا له صلة بالانتخابات وتأثير اليهود فيها وسيطرتهم على الإعلام الأمريكى وعلى الشركات والبنوك الكبرى وهى التى تساهم فى تمويل الحملات الانتخابية .. وبخاصة أنهم دائما رأى

واحد وموقف واحد .. من الناحية الأخرى كان يمكن استخدام أصوات العرب فى أمريكا للضغط ، وهم الآن حاصلون على الجنسية الأمريكية ولهم أصوات فى الانتخابات هم وأولادهم .. ولكن ما مدى توحد كلمة العرب ؟ .. وما مدى استعدادهم لعمل إيجابى ؟ .. وما مدى استخدامهم لسلاح التصويت ؟ .. هذه مسألة مهمة ..

ومسألة أخرى مهمة أيضا ، هى أن اللوبى اليهودى فى أمريكا يتحرك بنشاط كبير فى دوائر التأثير على القرار ..فهم وسط أعضاء الكونجرس ، وهم فى موقع القيادة والتأثير فى الإعلام والاقتصاد الأمريكى ..

وأخيرا أقول لك .. هل ما تفعله الحركة الصهيونية خاف أو مستتر ؟ .. إنهم يعملون علنا .. يجتمعون علنا .. يتحدثون علنا .. ينشرون آراءهم فى الصحف والإذاعات وشبكات التليفزيون .. فماذا قال العرب وماذا فعلوا ؟ ..

وهل كان مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ سريا .. وقد أعلن النوايا والخفايا .. ؟

وهل خطة الاستيلاء على القدس سرية .. ؟

وهل مشروع الحكومة الحالية للاستيلاء على نصف الضفة وإقامة مستوطنات جديدة فى قلب الأراضى العربية ووسط تجمعات الفلسطينيين .. هل هذا سر .. ؟

وهل كان صعبا على العرب أن ينشئوا محطات تليفزيون وصحفا ويكوّنوا « لوبى » فى أمريكا .. هل كان صعبا أن يكون هناك تنسيق بين السفارات العربية فى أمريكا .. وبين تجمعات ومجتمعات العرب هناك .. العرب

فى أمريكا كثيرون .. والأموال العربية فى أمريكا كثيرة .. تصور ماذا كان يمكن أن يحدث لو كان هناك نشاط عربى يماثل النشاط الصهيونى .. ؟

ثم هناك نقطة أخرى ..

لا شك أن أمريكا تبحث عن مصالحها .. فهل استطعنا أن نقنع أمريكا بأن مصالحها ستكون فى تأييد العرب مثلما يقنعها اليهود بأن مصالحها فى تأييدهم هم ..

هذه مسائل لابد أن نتحدث فيها ونبحث لأنفسنا عن وسائل للعمل ..

أنا أتكلم بصراحة ..

أنا مصرى .. عربى .. وموقفى الوطنى والعقيدى لا يتغير إطلاقا .. !

وأرجو أن تكون إسرائيل جادة فى طلب السلام .. أرجو أن تكون إسرائيل مخلصة فى السلام .. لأن العرب جادون ومخلصون فى طلب السلام .. وأنا أطالب إسرائيل بأن تقدم الدليل وتبرهن على نواياها .. أطالبها بأن توقف إنشاء المستوطنات .. أطالبها بوقف الاعتداء على أرواح وحريات وكرامة الفلسطينيين .. أطالبها بأن تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ، وتعيد دير السلطان المملوك للكنيسة المصرية بعد أن استولت عليه القوات الإسرائيلية وطردت منه الرهبانَ المصريين وأعطته لبعض الرهبان من الأحباش ، وحكمت المحكمة الإسرائيلية العليا بتسليم هذا الدير للكنيسة المصرية ، والحكومة الإسرائيلية ترفض تنفيذ الحكم ..

ويقول البابا شنودة :

لقد عانت المنطقة كثيرا من إسرائيل .. وآن الوقت لكى تثبت أنها جار طيب يعرف الله ويحترم القانون .

ويقول البابا شنودة :

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة أصدرت قرارا فى عام ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية حركة عنصرية ، ثم عدلت عن هذا القرار مؤخرا تحت الضغط الأمريكى ، وأصدرت قرارا بإلغاء هذا القرار ، ولكن ذلك لا يغير شيئا من الحقيقة ، فالصهيونية عنصرية ، وليس صحيحا أن الصهيونية شىء واليهودية شىء آخر ، لأن الصهيونية تجرى فى دم كل يهودى ، وإذا لم تكن اليهودية عنصرية فما معنى أنها تعتبر اليهود وحدهم دون خلق الله جميعا « شعب الله المختار » .. أليس فى ذلك شعور بالتفوق .. والتميز .. والاستعلاء . ؟ وما معنى أن اليهودية تسمى باقى الشعوب « الأمم » وتعنى بهذه التسمية أن كل البشر غير اليهود هم مجرد ناس بلا قيمة ولا مكانة .. الصهيونية عنصرية .. حقيقة لا تؤكدها ولا تنفيها قرارات الأمم المتحدة ، فهى عقيدة فى عقولهم ونفوسهم يؤمنون بها سواء صدرت قرارات بالنفى أو الإثبات ..

ويقول البابا شنودة :

إن اليهود ينكرون أن المسيح جاء ، ومازالوا حتى الآن ينتظرون قدوم المسيح ليكون زعيما سياسيا وعسكريا يعيد إليهم ملك داود وسليمان .. أما الإسلام فإنه يقر بوضوح أن المسيح جاء ، وأنه ولد من العذراء مريم ، والإسلام يؤمن بمعجزات السيد المسيح ويذكرها القرآن ، والإسلام يسمى المسيحيين « أهل الكتاب » وفى ذلك اعتراف واحترام لهم ، أما اليهود فينكرون الأديان الأخرى .. والإسلام يضع السيدة العذراء فى مكانة عالية : ﴿يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ .. ولذلك فإن التقارب بين الإسلام والمسيحية شديد ..

❑❑❑

قلت : لقد شاركت فى مناسبات كثيرة من أجل الفلسطينيين ..

قال :

أولا تربطنى علاقة محبة خاصة مع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات .. وثانيا سبق أن ألقيت محاضرات عديدة فى هذا الموضوع .. فى نقابة الصحفيين ألقيت محاضرة عن إسرائيل فى نظر المسيحية عام ١٩٦٦ ، ومحاضرة أخرى عن المسيحية وإسرائيل عام ١٩٧١ ، ومحاضرة فى اللقاء الإسلامى المسيحى من أجل القدس فى مقر الجامعة العربية فى مارس ١٩٩٥ ، ومحاضرة فى مهرجان « من أجلك ياقدس » فى أبو ظبى فى ابريل ١٩٩٥ ، ومحاضرة فى مؤتمر « مسلمون ومسيحيون معا من أجل القدس » فى بيروت فى يونيو ١٩٩٤ بدعوة من مجلس الكنائس العالمى ، ومحاضرة فى نقابة الصحفيين فى أكتوبر ١٩٩٦ ضمن أسبوع القدس ، وفى نقابة الأطباء فى سبتمبر ١٩٩٦ موضوعها « القدس الجريح » ..

فى هذه المحاضرات حددت موقف الكنيسة كما يلى :

- إن اليهود جاءوا إلى فلسطين بوعد من بلفور وليس بوعد من الله ! ..
- إن اعتداء إسرائيل على الأرض الفلسطينية وعلى الدول العربية الأخرى أمر ترفضه الأديان ، والقوانين ، والعقول ..
- إن الكنيسة لا تقبل لفلسطين إلاّ أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة تحكم نفسها بنفسها ..
- إن اتفاقية غزة – أريحا التى تم توقيعها عام ١٩٩٣ بين الفلسطينيين والإسرائيليين ليست إلا خطوة يجب أن تعقبها خطوات .

● إن الكنيسة ترفض مبدأ تدويل القدس ، لأن تدويلها معناه التنازل عن عروبتها .

● إن التطبيع أن نجعل علاقاتنا بإسرائيل طبيعية ، فهل احتلال أرض عربية أمر طبيعى ، وإذا أردنا المنطق السليم لابد أن يرجع جنوب لبنان إلى لبنان ، ويرجع الجولان إلى سوريا ، وترجع الأراضى الفلسطينية إلى الفلسطينيين ، حينئذ يكون الأمر طبيعيا .

قلت : لهذا إذن أطلقت عليك بعض الصحف العربية ألقابا مثل : بابا العرب ، وبابا المقاومة ، وبابا القدس ..

وابتسم البابا شنودة وهو يقول :

– هذه الألقاب من عندهم ولكنها الحقيقة ..

❑❑❑

يقول البابا شنودة : وفى العصر الحديث للأقباط المصريين قضية لايمكن أن يتنازلوا عنها .. وهى فى ذاتها تصلح مثالا لمن يريد أن يعرف حقيقة إسرائيل .. هل تحترم الحقوق ؟ .. وهل تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ذاته ؟ .. وهل تعرف العدل أو تقوم على القوة .. ؟ أسئلة كثيرة سأترك لكم الإجابة عنها بعد أن تعرفوا القصة كاملة .

المصريون الأقباط لهم وجود فى القدس قديم جدا ، يرجع إلى القرون الأولى وحتى أوائل القرن السابع عندما احتل الفرس القدس وقاموا بذبح الآلاف من سكانها ، ودمروا كنيسة القيامة عام ٦١٤ . ولما قام العرب بفتح بيت المقدس عام ٦٣٧ سلم الخليفة عمر بن الخطاب كتاب الأمان

« العهد العمرى » إلى الأنبا صفرونيوس البطريرك فى ذلك الوقت ، وذكر فيه أن الأقباط ضمن الطوائف الممثلة فى كنيسة القيامة ..

وللأقباط المصريين فى القدس أيضا كنيسة المجدلانية .

ولما أعيد فتح مدينة القدس على يد صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧ ميلادية وهزم صلاح الدين الصليبيين فى موقعة حطين تم الاتفاق فى صلح الرملة عام ١١٩٢ على ترك القدس تحت حكم المسلمين بشرط أن يسمح للمسيحيين بالزيارة والحج واستعادة الروم لبعض أملاكهم التى اغتصبها اللاتين .. واستأنف الأقباط المصريون زياراتهم للأماكن المقدسة فى القدس ..

وكانت مكافأة صلاح الدين للأقباط المصريين على إخلاصهم لوطنهم ووقوفهم معه ضد الغزاة الصليبيين هى رد الأماكن التى سلبت منهم ، كما أهداهم دير السلطان . وكان دير السلطان مبنى أقامه أحد السلاطين السابقين على صلاح الدين ليكون نزلا للمصريين وهم فى طريقهم من وإلى الشام وغيرها ..

وللأقباط المصريين فى كنيسة القيامة مقدسات ظلوا محافظين عليها إلى اليوم هى : كنيسة السيدة العذراء ، ومبنى فى مواجهة هذه الكنيسة مخصص لسكنى الرهبان الأقباط المصريين من دورين ، وباب وعمودان فى مواجهة الكنيسة عليهما قناديل وأيقونات الأقباط ، وثلاثة أبواب مقابلة للكنيسة ، ومبنى من طابقين ، وستة قناديل داخل بناء القبر المقدس ، هذا علاوة على أن للأقباط المصريين الحق فى فتح كنيسة القيامة يوم الجمعة الحزينة فيما بين الساعة الخامسة والساعة السابعة مساء وتكرس لهم وحدهم ليطوفوا

بموكبهم فى جميع أرجائها ، ويشتركوا أيضا رسميا فى احتفالات الشعانين والنور المقدس وغيرها ..

أقول هذا لكى يكون واضحا أن حيازة الأقباط المصريين حاليا فى كنيسة القيامة لا تقل فى أهميتها عما فى حيازة طوائف اللاتين والروم والأرمن ، وهذا الأمر اعترفت به الحكومة العثمانية فى وثائق عديدة ، ومن هذه الوثائق كتاب جواد بك متصرف لواء القدس إلى نظارة العدلية فى عام ١٣١٧ هجرية يذكر فيه « إن مطران أفندى طائفة القبط (المصريين) من الرؤساء الروحانيين الذين هم هنا من أول درجة ، وللته موضع مهم فى أماكن الزيارات » .

أكثر من ذلك ..كان مطران الأقباط (المصريين) يعين بفرمان من الباب العالى ..

إذن فنحن لنا مقدسات فى كنيسة القيامة وملكيتنا وحقوقنا ثابتة بلا منازع ..

❑❑❑

ليس هذا فقط .. فللأقباط (المصريين) خارج كنيسة القيامة بالقدس الشريف ممتلكات أخرى مثل : دير مار انطونيوس ونسميه الدير الكبير .. وفى عام ١٩١٢ أصبح هذا الدير هو المقر الرسمى للمطران القبطى المصرى الذى يعينه بابا الأقباط فى مصر .. وفى هذا الدير مدرسة للبنين .

ولنا أيضا دير مار جرجس أنشئ فى القرن السابع عشر .. وفيه مدرسة للبنات ..

ولنا كنيسة قبر العذراء مريم ، وكنيسة المهد فى بيت لحم ، وكنيسة

الصعود فوق جبل الزيتون .. واستراحة الأقباط التى يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٨٣٧ ميلادية ، ودير السلطان ..

ويقول البابا شنودة : إن دير السلطان له أهمية كبيرة عندنا .. وله قصة طويلة يجب أن يعرفها كل مصرى بالتفصيل سواء كان مسلما أو مسيحيا لأنها تبين ما هى حقيقة إسرائيل ..

□□□

دير السلطان بجوار كنيسة القيامة وهو من الأماكن المسيحية المقدسة ، ولهذا الدير أهمية خاصة عند الأقباط (المصريين) وقد عنى الأقباط بهذا الدير طوال تاريخهم فلم ينتزع منهم إلا مرة واحدة حين نهبت مدينة القدس عام ١٢٤٥ ميلادية ، وبعد أن عادت القدس إلى حكم الملك الصالح نجم الدين أمر بإعادة بناء سور المدينة وإعادة دير السلطان إلى أصحابه الأقباط .

وكان للأحباش حتى منتصف القرن السابع عشر مزارات وأماكن مقدسة فى القدس ، ومع الوقت احتل الأرمن أملاك الأحباش ومازالت فى أيديهم حتى الآن .

أما دير السلطان فإن ملكية الأقباط المصريين له لم تكن فى يوم من الأيام موضع نزاع .. وكان الكهنة المصريون يقيمون فيه .. واستضاف الأقباط المصريون الرهبان الأحباش فى الدير كرما منهم .. ولكن الرهبان الأحباش نازعوا المصريين فى الدير ، فصدرت وثيقة رسمية من قاضى القدس تتضمن حجة شرعية بأن دير السلطان حق ثابت لأقباط مصر .. وامتثالا للتعاليم السامية ، وبدافع المحبة الأخوية ، أشفق الأقباط على إخوانهم الأحباش واستضافوهم فى دير السلطان ، وكل المراجع وكتب الرحالة تتحدث عن دير السلطان على أنه دير الأقباط المصريين .

ولكن دير السلطان تعرض أكثر من مرة للاغتصاب من اخوتنا الأحباش على مر العصور ، وفى كل مرة كانت الكنيسة المصرية تقدم الوثائق الرسمية والمستندات وتستعيد ملكية الدير ..

هناك أمر مهم يحتاج إلى شرح ..

فى سنة ١٨٧٨ عقدت معاهدة فى برلين اسمها معاهدة ستاتيكو ومعناها « إبقاء الوضع على ما هو عليه » أى عدم المساس بالوضع الراهن فى الأماكن المقدسة ، ونصت هذه المعاهدة على التزام السلطات المسئولة عن القدس الشريف بالمحافظة على الأوضاع الراهنة للأماكن المقدسة . ومن هذه الأماكن المقدسة دير السلطان للأقباط المصريين ، وحائط المبكى لليهود ، والمسجد الأقصى للمسلمين ..

هذه المعاهدة الدولية لم تحترمها إسرائيل بعد ذلك وانتهكت بنودها ..

❑❑❑

التاريخ طويل .. ملىء بمحاولات الأحباش الاستيلاء على دير السلطان ، وفشل هذه المحاولات لأن الحق ثابت فى ملكية هذا الدير للأقباط المصريين ..

وعندما كانت مدينة القدس تحت حكم الأردن صدر قرار من مجلس الوزراء الأردنى بأحقية الأقباط المصريين فى دير السلطان والتقيد بنصوص المعاهدة الدولية ببرلين (ستاتيكو) واستمر الدير للأقباط المصريين حتى عام ١٩٦٧ .

بعد احتلال إسرائيل للقدس استغل الأحباش فرصة الاحتلال الإسرائيلى وعدوان إسرائيل على كل ما هو عربى ، ففوجئ الرهبان المصريون بقوات

إسرائيلية قامت بإخراج أقباط مصر من الدير بالقوة عشية ليلة عيد الفصح فى يوم ٢٤ أبريل ١٩٧٠ وظل هذا العدوان على الدير حتى يومنا هذا ..

❑❑❑

طبعا اسم الدير « دير السلطان » يشير إلى أن رسل السلطان بمصر كانوا يقيمون فيه حين يمرون بالقدس ، كما يشير إلى إعادة هذا الدير إلى الأقباط على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى ..

وسنظل نذكر واقعة احتلال القوات الإسرائيلية للدير فى ليلة عيد القيامة وطردها للرهبان المصريين بالقوة ، واعتداء القوات الإسرائيلية على الرهبان المصريين حتى أصيب منهم ثلاثة ، وعطلت إقامة الشعائر الدينية فى ليلة العيد ..

حدث هذا فى ليلة عيد القيامة عام ١٩٦٩ . ثم تكرر مرة أخرى قبل عيد القيامة عام ١٩٧٠ ..احتل مئات من القوات الإسرائيلية المدججين بالسلاح البطريركية المصرية والدير ، وانتهزوا فرصة ذهاب الأقباط جميعا إلى كنيسة القيامة لتأدية صلاة العيد ، وقاموا بكسر الأقفال على أبواب الكنيستين ، وسلموهما إلى الرهبان الأحباش ، ومنعوا الرهبان المصريين من الدخول عند عودتهم ، وصوبوا البنادق والمدافع الرشاشة إلى صدر المطران المصرى ، وإلى صدور الكهنة ، واقتادوهم واضعين الأسلحة فى ظهورهم فى شوارع المدينة ، واعتدوا على بعضهم بالضرب إلى أن أوصلوهم إلى البطريركية القبطية ..

هذه الإهانة لن ننساها .. ! ..

❑❑❑

بعد ذلك رفع مطران القدس دعوى أمام المحكمة العليا الإسرائيلية بالقدس فأصدرت حكمها فى يوم ١٦ مارس ١٩٧١ بإدانة القوات الإسرائيلية ، وسجل الحكم القضائى الإسرائيلى أن ما حدث هو اعتداء على الأمن والنظام العام ، وطلبت المحكمة من قائد الشرطة فى القدس إعادة الأملاك القبطية المغتصبة قبل يوم ٦ ابريل ١٩٧١ ..

هذا حكم قضائى .. والمفروض أن حكم القضاء فى دولة يجب أن تحترمه الدولة وتلتزم به وتنفذه .. هل فعلت حكومة إسرائيل ذلك ؟ .. لا ..

وبدلا من أن تستجيب الحكومة الإسرائيلية لقرار محكمتها العليا أصدرت قرارا ضد الأقباط ، وكان قرار الحكومة الإسرائيلية هو إبقاء الاعتداء على دير السلطان إلى أن تقوم لجنة شكلتها من وزراء العدل والخارجية والشرطة والأديان لإعادة النظر فى الأمر وتقديم توصياتها لمجلس الوزراء ، وعقدت هذه اللجنة عدة جلسات دون أن تتخذ قرارا أو إجراء .. كان الهدف منها هو التسويف على الطريقة الإسرائيلية ..

واضطر المطران المصرى إلى العودة مرة أخرى إلى المحكمة الإسرائيلية العليا بالقدس عام ١٩٧٧ ، وأعلن المدعى العام الإسرائيلى الذى يترافع عن حكومته أن الحكومة الإسرائيلية تعمل ضد الأقباط المصريين سياسيا ، وطلب من المحكمة عدم الضغط على الحكومة لإنهاء هذه الأزمة فى فترة زمنية محددة لأنها قضية ذات أبعاد سياسية ..

وفى المحكمة العليا الإسرائيلية اختلف القضاة الخمسة ، وأخيرا وصلوا إلى قرار بالإجماع فى ٩ يناير ١٩٧٩ – أى بعد ٨ سنوات من الاغتصاب – وجاء قرارهم الإجماعى انتقادا للحكومة الإسرائيلية ، وتضمن القرار توجيه

اللوم لهذه الحكومة على تصرفاتها التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الأماكن المقدسة ..

وأصبح فى أيدينا حكم ثان من المحكمة الدستورية العليا ..

وحاول المطران المصرى أن يتخذ إجراء لتنفيذ الحكم .. وضاعت كل محاولاته هباء نتيجة التعنت الإسرائيلى .. قدم المطران مئات المذكرات وأرسل برقيات إلى السلطات الإسرائيلية يطالبها باحترام أحكام المحكمة الإسرائيلية العليا ، وهى أحكام نهائية غير قابلة للطعن ، ومع ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية مستمرة فى تجاهل حكم القضاء الإسرائيلى وعدم احترامه ..

وفى كل مناسبة دولية تصدر قرارات إدانة .. وقرارات تؤكد أن الإجراءات التى اتخذتها الحكومة الإسرائيلية باغتصاب دير السلطان إجراءات باطلة ..

دى كويلار السكرتير العام للأمم المتحدة – حينئذ – أبدى اهتماما بالموضوع وبدأ يتحرك وأجرى اتصالات مع الحكومة الإسرائيلية .. دون جدوى ..

حكومة إسرائيل لا تعرف ولا تعترف بالحق أو العدل .. ولا تعرف ولا تعترف ولا تحترم أحكام القضاء حتى القضاء الإسرائيلى ..

وحتى الآن مازال العدوان الإسرائيلى قائما ..

ونتيجة لذلك تعطلت العبادات والصلوات .. واضطرت بطريركية الأقباط المصريين إلى إلغاء الاحتفالات الدينية ..

وحتى بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل قام المطران المصرى بكتابة مذكرات يطلب فيها من سلطات الاحتلال الإسرائيلى تنفيذ قرارى المحكمة العليا الإسرائيلية وإعادة المقدسات القبطية المصرية المغتصبة ..

وما زال الاعتداء مستمرا ..

حقوق المصريين فى دير السلطان مؤكدة بالوثائق ..

ومعنا قراران من المحكمة العليا فى إسرائيل ..

وحكومة إسرائيل تقف موقف التحدى .. لا تضع للعدل والحق اعتبارا .. لاتحترم الوثائق .. ولا تحترم أحكام القضاء الإسرائيلى ..

ووزارة الخارجية المصرية تسعى إلى تنفيذ الأحكام ..

هذا فصل من تاريخ أسود طويل .. لا ينفع فيه التزييف ولا التزوير ..

حكومة لا تحترم أحكام القضاء ..

دولة ليس لأحكام قضائها قيمة .. ولا تحترم الشرعية القانونية داخلها ..

كيف تحترم الشرعية الدولية ؟ ..

وكيف تعرف الحق والعدل ؟ ..

كل هذا يحدث لنا ويسألنا البعض : لماذا لا تزورون القدس وهى تحت الاحتلال الإسرائيلى .. ؟ ..

بماذا نجيب .. وماذا ينتظرون منا أن نقول .. استنادا إلى العقيدة .. أو استنادا إلى التاريخ والواقع الحالى ؟ ..

ماذا ينتظرون منا أن نقول .. ؟ ..

وقال البابا شنودة :

إن للأقباط المصريين فى القدس تاريخا طويلا ..

ويذكر التاريخ أن الصليبيين عندما احتلوا القدس اغتصبوا أملاك وأديرة وكنائس الأقباط ..

ومنذ عام ١٢٣٥ ميلادية أصبح الأقباط المصريون فى القدس لهم كيان

دينى مستقل ، وصار لهم مطران يدير شئونهم ، ويتولى ابرشية القدس مطران يعينه بابا الاسكندرية ، وكان أول مطران قبطى رسمى على القدس هو الأنبا باسيليوس فى سنة ١٢٣٦ وجاء بعده مطارنة كثيرون وحتى الآن فإن مطران القدس المصرى هو المسئول عن رعاية الأقباط وأملاك الكنيسة فى المدينة المقدسة ..

والتاريخ يذكر أن الأقباط فى القدس وجدوا الحماية والأمان فى ظل الحكم الإسلامى ، الخليفة عمر بن الخطاب احترم العقائد والكنائس والأديرة المسيحية ، والسلطان صلاح الدين أعاد الأملاك القبطية المغتصبة وحظى الأقباط بالتكريم وظلت حقوقهم محفوظة وكاملة . أما بعد احتلال إسرائيل للقدس فى ١٩٦٧ فقد تغير الحال ، وأصبح الحكم بالقوة وليس بالقانون ، ولم يعد هناك احترام للحقوق ..

وقال البابا شنودة :

إن عدوان إسرائيل ليس على دير السلطان فقط ولكنه ممتد على مقدسات مسيحية أخرى كثيرة ، واعتداءاتها على المسجد الأقصى معروفة ، مما يجعل المسلمين والمسيحيين لا يشعرون بالثقة فى الحكم الإسرائيلى ويطالبون بعمل دولى يوقف محاولات إسرائيل لتغيير طبيعة المدينة ..

وأخيرا قال البابا :

إن دير السلطان ليس فقط مكانا للعبادة يخص الأقباط ، ولكنه من الممتلكات المصرية ، ولذلك فنحن نترك القضية فى أيدى الحكومة المصرية لتتعامل معها بما تراه ، ومعها الوثائق والمستندات وأحكام القضاء الإسرائيلى ذاته .. وكل ما أقوله أن الأقباط فى مصر لا يمكن أن ينسوا الاعتداء .. ولا الإهانة التى تعرض لها الكهنة على أيدى القوات الإسرائيلية .. ولكننا

لا ننظر إلى الموضوع على أنه من شئون الأقباط ولكن ننظر إليه على أنه من الشئون المصرية أولا .. وقضية دير السلطان سبب إضافى لامتناعنا عن زيارة القدس فى ظل الاحتلال الإسرائيلى مع الأسباب العقائدية والوطنية ..

❑❑❑

وبعد ..

فإن إسرائيل التى اغتصبت ممتلكات الأقباط فى القدس .. والتى سلبت حقوق الشعب الفلسطينى .. والتى انتهكت المقدسات الإسلامية والمسيحية – ولا تزال – تزعم مع ذلك أنها دولة دينية .. وإذا كانوا قادرين على خداع العالم فإن قداسة البابا من دون العالم لا ينطلى عليه خداعهم ..

وإذا كان هو الذى يقول : ماذا بقى لهم من الناحية الدينية ؟ .. فكيف يقولون : إنهم أقاموا دولة على أساس دينى .. وكيف تنطلى الحيلة على بعض كتابنا حتى تصوروا أن إسرائيل دولة دينية ..

الآن نعرف الحقيقة على لسان من يعرفها حق المعرفة ..

إسرائيل ليست دولة دينية .

وليس لها أساس دينى حقيقى

هى فى حقيقتها كيان سياسى . أقيمت لأهداف سياسية . والدعم والمساندة والمساعدة تأتى إليها لمصالح وأطماع سياسية . وحين تتغير المصالح سوف تظهر الحقيقة ..

المهم الآن ألا نبتلع الطعم ونظن أنها دولة دينية .

مهما قالوا ..

❑❑❑

الفصل الخامس

الكنيسة القبطية والغرب

الكنيسة القبطية والغرب

فى كتابى « الغرب والإسلام » قدمت جانبا من الحوارات التى شاركت فيها مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى رحلاته إلى بعض دول أوربا وآسيا عن تخوف الغرب من الإسلام والمسلمين ، وقلت : إننى لم أكن أتصور أن صورة الإسلام والمسلمين قد شوّهت إلى هذا الحد .. ولم أكن أتصور أن كبار المفكرين ورجال السياسة فى أوربا يأخذون مأخذ الجد النظرية التى تقول : إن الإسلام هو العدو القادم للحضارة الغربية .. وإنه دين يحمل فى داخله عوامل التخلف .. والعنف .. والجهل .

وعندما حضرت اللقاءات التى تحدث فيها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى وهو يشارك فى حوارات طويلة ومتشعبة مع أكبرالعقول الألمانية ..كنت أشعر أن كثيرًا مما يقوله المفكرون الألمان ليس إلا نوعا من الوهم .. أو الخيال .. أو هو – فى أحسن الأحوال – جهل شديد بالإسلام .. ولا شك أن حكمة الإمام الأكبر .. وصبره .. وبمنطقه الهادئ الذى يخاطب العقول .. استطاع أن يقدم صورة حقيقية عن الإسلام ومبادئه وشريعته فى سماحتها .. وإنسانيتها .. واتفاقها مع حقائق العلم والعقل .. ومسايرتها لتطور الحضارة الإنسانية فى كل عصورها .. ولكن الإمام الأكبر لم يزر إلاّ عددا محدودا من بلاد الغرب .. ولم تصل كلمته إلى بقية دول القارة .. وما زالت الأفكار السامة المسمومة منتشرة وتلقى من يروِّج لها كل يوم إلى أن يأتى يوم وتصبح حقيقة من حقائق الحياة المعاصرة لا تقبل الجدل ولا النقاش ..

والانطباع الشخصي الذى خرجت به من هذه اللقاءات أن النظرية الجديدة التى تنتشر فى الغرب هى نظرية غاية فى الخطورة .. وأنها مقدمة لما هو أشد خطرا مما سيجئ به المستقبل ..

والحكاية بدأت بمقال نشر فى أمريكا ..

مجرد مقال كتبه أستاذ مجهول اسمه فرانسيس فوكوياما ، كان يعمل نائبا لمدير مجموعة السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية ، أى أنه أحد المسئولين عن التخطيط السياسى للولايات المتحدة .. وإن كان مستواه أقل كثيرا من أن يكون قادرا على إدارة دفة السياسة الأمريكية إلا أنه – بالتأكيد – على علم ببعض أسرار وخفايا ونوايا السياسة الأمريكية .. وترك منصبه فى وزارة الخارجية ليصبح مستشارًا لمؤسسة راند كوربوريشن فى واشنطن ..

المقال الغريب ظهر فى عام ١٩٨٩ بعنوان « هل هى نهاية التاريخ » نشره فى مجلة « ناشونال انترست » .. قال فيه : إن الحضارة الإنسانية ظلّ تاريخها كله فى صراع مستمر .. وكل حلقة من حلقات الصراع تنتهى بهزيمة نظام وانتصار نظام .. لحقت الهزيمة بالنظام الملكى الوراثى .. وبالفاشية .. وأخيرا بالشيوعية .. وانتصر أخيرًا النظام الليبرالى الغربى .. وكانت نظرية ماركس ولينين ترى أن الصراع الأخير بين الرأسمالية والشيوعية سينتهى بانتصار الشيوعية فتسود العالم كله ، وتختفى الرأسمالية من الوجود ، فينتهى الصراع ، وتصل البشرية إلى مرحلة أسماها ماركس ولينين « نهاية التاريخ » أى نهاية الصراع بين النظم السياسية والاقتصادية وسيطرة نظام واحد على العالم كله هو الشيوعية .. ثم ثبت خطأ ماركس ولينين لأن العكس هو الذى حدث .. انهزمت الشيوعية وانتصرت الرأسمالية وحسم

الصراع بينهما .. وقد تكون هذه هى نقطة النهاية فى التطور الايديولوجى للإنسانية .. والصورة النهائية لنظام الحكم البشرى وبالتالى فهى تمثل « نهاية التاريخ » .. فالنظم السابقة كانت فيها عيوب خطيرة أدت إلى سقوطها ، أما الليبرالية الغربية فهى خالية من العيوب والتناقضات . وبعد ذلك قال : إن هناك عدوا قادما للحضارة الغربية هو الإسلام .. لأنه نظام قائم على عقيدة .. فهو أيديولوجية ستصبح هى النقيض للأيديولوجية الغربية .. وبالتالى لابد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر ؛ لأن العالم لن يستمر فى حالة صراع بين العقيدتين : الغربية والإسلام .. ثم أضاف – ربما على سبيل التمويه – إن حضارة الغرب سيكون عليها كذلك أن تخوض صراعا مع الحضارة الآسيوية عموما ومع اليابان على وجه الخصوص .. !

إلى هنا والمسألة أصبحت تخصنا ..

أصبحنا طرفا فى الموضوع دون أن ندرى ..

والغريب أن هذه النظرية الضعيفة فى بنائها الفكرى وفى مقدماتها ونتائجها وجدت من ينشرها .. ومن يشرحها .. ومن يروِّج لها .. ومن ينفخ فيها .. وصدّق كثير من المفكرين فى الغرب هذه النظرية واستقر فى أذهانهم أن « الإسلام » هو العدو القادم الذى يهدد حضارة الغرب وثروته وعلومه وتقدمه .. !

□□□

وبعد سنوات ظهر مفكر آخر .. فى أمريكا أيضا .. ونشر أيضا مقالا صغيرا فى مجلة « فورن افيرز » بعنوان : « صراع الحضارات » .. الرجل اسمه صمويل هنتنجتون .. وملخص نظريته أن تاريخ الحياة على الكرة الأرضية

هو تاريخ الصراع بين حضارات .. وكان الصراع الأخير بين الحضارة الغربية التى تمثلها أمريكا وأوربا بنظامها الليبرالى .. وبين الحضارة الشيوعية التى كانت تقودها روسيا ودول « الاتحاد السوفيتى » السابق وأوربا الشرقية .. وانتهى هذا الصراع بهزيمة الشيوعية وانتصار الحضارة الغربية .. ولم يعد للحضارة الغربية إلاّ عدو واحد فى العالم هو : « الإسلام » . فهو دين وحضارة وثقافة .. وهناك حوالى ألف مليون مسلم يعتنقون هذا الدين .. لهم أفكار ومعتقدات وميراث ثقافى وحضارى مختلف تماما عن الغرب .. وهم يريدون أن يفرضوا عقيدتهم بالقوة .. بالعنف .. بالإرهاب .. بتدمير الحضارة الغربية .. المسلمون هم التهديد الأخير .. وهم الخطر الماثل أمام الغرب كله .. وإما أن يقضى الإسلام على الغرب .. وإما أن يقضى الغرب على الإسلام .

نظرية غريبة جدا ..

لم تخطر على بال أحد فى العالم الإسلامى ..

ولكن هنتنجتون .. وقبله فوكوياما .. كان هدفهما استغلال ظاهرة العنف والإرهاب فى إيران مثلا أو فى أفغانستان أو الجزائر ليقول : إن هذا هو الإسلام .. والمسلمون متشددون .. عصبيون .. لديهم هوس دينى .. عقولهم مغلقة .. يريدون العودة إلى عصر السلف الصالح بأن يعيشوا فى الخيام ويأكلوا من لبن الأغنام ويهدموا كل إنجازات العلم والحضارة فى الغرب .. ووسيلتهم التفجير .. والقتل غدرًا .. وتكفير الناس .. وإهدار دم من يخالفهم فى الرأى أو العقيدة ..

ثم حدث شىء غريب ..

المقال الصغير الذى نشر فى مجلة أمريكية متخصصة فى السياسة الخارجية أصبح مشهورًا ومنتشرًا فى كل المؤسسات العلمية فى كل دول الغرب ..

وأصبحت أفكار هنتنجتون تتردد على أنها حقيقة ثابتة غير قابلة للجدل ..

الإسلام هو العدو الجديد للغرب ..

والصراع بين الإسلام والغرب صراع حتمى لا مهرب ولا مفر منه ..

ولابد أن يستعد الغرب لهذا الصراع ..

ولابد أن يعدّ الغرب نفسه لكى ينتصر على الإسلام أو ينهزم الغرب إلى الأبد ، ويعود إلى القرون الوسطى المظلمة .. !

والقضية إذا ظهرت أمامنا وكأنها هزل .. أو من قبيل التخاريف .. فإن المفكرين فى الغرب يأخذونها مأخذ الجد .. وهناك أساتذة .. ومعاهد .. ومؤسسات .. وجهات ظاهرة وخفية تخطط على أساسها .. !

الفكرة ليست وليدة اليوم .. ولكنها قديمة ..

الفكرة أن الغرب له مصالح فى العالم الإسلامى .. العالم الإسلامى هو أرض البترول الذى تعتمد عليه الحضارة الغربية .. والسوق الواسعة للمنتجات الغربية التى تنقل ثروات العالم الإسلامى إلى الغرب ..والتاريخ القديم والحديث هو حلقات من تاريخ الصراع بين الغرب والعالم الإسلامى ..ليس صراع عقائد .. وليس صراع ديانات .. وليس ضراع حضارات ولا ثقافات .. ولكنه صراع مصالح .. مصالح الغرب مرتبطة ببقاء العالم الإسلامى منقسما وجاهلا ومتخلفا ومنشغلا بصراعاته الداخلية ..صراعات

بين بلاد إسلامية وبلاد إسلامية أخرى تنهزم فيها دولة إسلامية وتنتصر فيها دولة إسلامية أخرى لتنهزم فى صراع آخر .. ! صراعات داخل كل بلد مسلم .. مجموعة تحكم على مجموعة أخرى بأنها كافرة وتتربص بها لتقتلها .. والمجموعة الأخرى تحشد قوتها وتبدد ثروتها فى أسلحة للدفاع عن نفسها .. صراعات بين مسلمين وأقباط .. وبين المسلمين والهندوس .. وبين السنة والشيعة .. ليس مهمًا موضوع الصراع .. المهم أن يظل العالم الإسلامى .. وتظل الشعوب الإسلامية مشغولة وخائفة ومتربصة .. وبذلك تبقى سوقا مفتوحة للغرب ..

تاريخ طويل .. منذ الحروب الصليبية حتى اليوم ..

وفى كل مرحلة تظهر أساليب جديدة وشعارات جديدة لتحقيق نفس الهدف .. انتهت الشعارات القديمة مثل نشر المسيحية ، وحرية التجارة ، والقضاء على نظام الرق والعبيد ، وحماية الأقليات الدينية والقومية ، وانتهى عصر تجمع جيوش فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا لغزو العالم الإسلامى تحت شعار « تحرير أورشليم » و « قبر المسيح » من السيادة الإسلامية منذ أكثر من ٩٠٠ سنة .. وانتهى عصر الاحتلال العسكرى بجيوش بريطانيا وفرنسا ..

فكرة العداء المحتوم بين الإسلام والغرب – كما قلنا – قديمة .. بُعثت الآن من جديد وأصبح يتردد صداها فى مواقف القادة وأصحاب القرار فى الغرب ..

مثلا .. ريتشارد نيكسون .. أهم الرؤساء الأمريكيين الذين تميزوا برؤية سياسية واضحة وعقلية مبدعة .. له كتاب مشهور عنوانه « الفرصة السانحة »

فيه فصل كامل عن « العالم الإسلامى » يقول فيه : إن كثيرًا من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة .. وأن المسلمين دمويون ، وغير منطقيين ، ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة ، وأنه مع التزايد السكانى ، والإمكانات المادية الكبيرة ، سوف يشكل المسلمون خطرًا كبيرًا سوف يضطر الغرب إلى مواجهة هذا الخطر العدوانى للعالم الإسلامى ، ويزيد هذا الرأى بأن الإسلام والغرب متضادان ، وأن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية ، وأن المسلمين يوحِّدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب ، وعلى الغرب أن يواجه هذا الخطر الداهم .. !

وبعد أن يسرد نيكسون هذه المخاوف الغربية وأسبابها يطمئن الغرب إلى أن هذا « الكابوس » لن يتحقق ، لأن المسلمين كثرة ولكنهم مختلفون ، ولن يصبحوا كتلة واحدة .. فالمسلمون سدس سكان العالم .. يعيشون فى ٣٧ دولة وينتمون إلى ١٩٠ جنسية .. ويتكلمون مئات اللغات واللهجات .. وهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف : السنة .. والشيعة .. والصوفية .. ويتفرع من هذه الطوائف جماعات وعشرات الطوائف ..

ولكى يطمئن الغرب من هذا « الخطر الداهم » يقول نيكسون أيضا : إن هناك صفتين أساسيتين يشترك فيهما جميع المسلمين فى العالم الإسلامى : إيمانهم بالدين الإسلامى .. وعدم الاستقرار السياسى .. والإسلام ليس مجرد دين ولكنه أساس لحضارة كبرى .. والتنافس بين دول العالم الإسلامى جعله بؤرة للصراعات .. فعلى سبيل المثال - كما يقول نيكسون - فإن المغرب ضد الجزائر .. وليبيا ضد الجزائر .. وليبيا ضد تشاد .. والعالم

العربى ضد إسرائيل .. وسوريا ضد الأردن .. وسوريا ضد لبنان .. والعراق ضد سوريا .. والعراق ضد الكويت والسعودية .. والعراق ضد إيران .. وإيران ضد دول الخليج .. وباكستان ضد أفغانستان .. والهند ضد باكستان وبنجلاديش .. وأندونيسيا ضد ماليزيا وغينيا .. وربما يحدث فى كثير من الدول الإسلامية مستقبلا ما حدث فى لبنان .. ! ومع تزايد السكان سوف يهبط مستوى المعيشة ولا تقدر سلطة الدولة على السيطرة على الأمن والاستقرار . وتمثل الموارد الرئيسية – مثل المياه – نقصًا شديدا يهدد بمشاكل وربما حروب .. وأغلب خطوط الحدود بين الدول الإسلامية رسمتها قوى الاستعمار الأوربية فى الماضى ، وهى تمثل نقطة رئيسية أخرى للنزاع بين الدول الإسلامية .. أو بين الدولة والأقليات التى تعيش فيها ..كل هذه الصراعات والمشاكل ظهرت فى المنطقة التى يتجمع بها أكبر كم من السلاح فى دول متخلفة .. لقد أنفقت الدول الإسلامية ٨٪ من دخلها القومى على التسلح فى حين كان إنفاق الدول الغربية أقل من ٥٪ ..

هذا ما يقوله نيكسون .. ويقول أيضا : إن الأمريكيين أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء .. وإن العالم الإسلامى عالم ثورى بطبيعته ، فهو يضم ٦٠٪ من سكان عمرهم أقل من ٢٥ عاما .. وهم فقراء .. فدخلهم القومى – بما فيهم دول البترول يبلغ متوسط دخل الفرد فيه ١٦٠٠ دولار فى السنة بينما متوسط دخل الفرد فى أمريكا ٢١ الف دولار فى السنة .. وزعماء الأصوليين ليس لديهم إلاّ الرفض ، وليس لديهم تصور للمستقبل ..

ويقول ما هو أكثر .. يقول : إن العالم الإسلامى يشكل أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الخارجية فى القرن الحادى والعشرين ، ومع انتهاء الحرب الباردة بدأت النزاعات التقليدية ، التى كانت نائمة طوال خمسة

وأربعين عاما ، تستيقظ .. ولما كانت منطقة الخليج فيها ٦٥٪ من احتياطى البترول العالمى ، وسوف تظل قابلة للاستغلال ربع قرن قادم فلا مناص من أن نظل مرتبطين بالبترول وبهذه المنطقة ..

ويقول نيكسون : إن أكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل ..

هل ترون كيف تفكر أمريكا وكيف يفكر الغرب .. ؟

مصالح ..والغطاء الظاهر هو المبادئ ..

المسألة إذن ليست الدين الإسلامى ..

❑❑❑

حتى نيكسون يتحدث أيضا فى كتاب آخر عنوانه « ما بعد السلام » ترجمة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة عن نظرية هنتنجتون .. ويقول : إنه إذا أساء الغرب معالجة علاقاته مع العالم الإسلامى فإن الصدام بين الحضارات قد يضع الغرب فى مواجهة ضد الإسلام .. ويجب على الولايات المتحدة ألا تسمح لصدام الحضارات بأن يتحول إلى الخاصية السائدة لعصر ما بعد الحرب الباردة .. وكما لاحظ هنتنجتون أن الخطر الحقيقى ليس فى حتمية هذا الصدام ، ولكن فى عدم القيام بأى عمل من جانبنا وهو الذى سيحقق هذه النبوءة ، إذا ما استمر سلوك أمريكا إهمال الصدامات التى يكون المسلمون فيها هم الضحية .. فإننا ندعو بذلك إلى صدام بين العالم الغربى والعالم الإسلامى .. وصدام واحد من هذا النوع يمثل فشلاً للسياسة الخارجية الأمريكية هو المذبحة فى يوغسلافيا سابقًا .. إن الولايات المتحدة والأمم المتحدة والمجتمع الأوربى ترددت .. وراوغت .. ولم تفعل شيئا

لمواجهة المذبحة التى تعرض لها المسلمون من الصرب .. ولو كان غالبية سكان سرايفو من اليهود أو المسيحيين لما سمح العالم بحصار المدينة ..

ويقول نيكسون ليطمئن الغرب : إن السيناريو المزعج الذى يراه البعض أن الإسلام المتطرف فى طريقه للصدام مع الغرب سيتحقق فقط إذا وصلت القوى المتطرفة إلى السلطة فى العالم الإسلامى ، ولكن معظم مسلمى العالم لا يرقصون على طبول المتطرفين ، والنظم المتطرفة مازالت أقلية وتمثل ١٠٪ فقط من إجمالى سكان العالم الإسلامى .

ويقول أيضا : فى صدام الحضارات توجد حقيقة واضحة .. هى أننا (أى الغرب) الأمة الأقوى والأغنى فى التاريخ ، وهذا ليس كافيًا ، والعامل الذى سيكون حاسمًا هو قوة المبادئ العظيمة ، الدينية والعلمانية ، التى تجعل أمتنا أمة عظيمة ، وعلى الرغم من أن الغرب والمسلمين بينهم خلافات حقيقية فى الثقافة والتطور التاريخى فمن الممكن أن يتعلم كل جانب من الآخر ، وأن ندرس أسباب نجاحنا وفشلنا السابقة .

ثم يقول نيكسون : لقد كان القرن العشرون فترة صدام بين الغرب والعالم الإسلامى ، وإذا ما عملنا معا ، يمكننا أن نجعل القرن الحادى والعشرين ليس فقط قرن سلام فى الشرق الأوسط والخليج ، وإنما أيضا قرنا فيه ما وراء السلام : حضارتان عظيمتان تثريان بعضهما البعض وتثريان العالم .. ليس بالأسلحة والثروات ولكن بالقيم والمثل العليا ..

مثل هذه الأفكار مهمة جدا ..

لأن نيكسون رجل دولة .. عاش فى البيت الأبيض ..صانع سياسات .. وصاحب قرار .. ويمسك بيده مقاليد العالم ..

ولأنه – فوق ذلك – مثقف .. يعرف كثيرا عن النظريات والفلسفات .. فهو ليس مجرد حاكم سياسى .. ولكنه أحد حكماء الغرب ..

فإذا كان يتحدث عن صراع الحضارات وعن هنتنجتون وعن حتمية الصراع بين الغرب والإسلام وأسبابه وكيفية تفاديه .. فالمسألة إذن فى منتهى الجدية ..

وفكرتى الشخصية أن الغرب ينسج نظرية جديدة لكى يحدد العدو الجديد .. بعد انتهاء الاتحاد السوفيتى كعدو .. لابد من وجود عدو لكى يحتفظ الغرب بتماسكه .. وبإرادة القتال والنصر .. ليس أمام الغرب الا الإسلام .. ولحسن حظ الغرب أن الإسلام فى بلاد فيها البترول وإسرائيل .. ولكى يمهد لاستمرار بقائه لا يستطيع أن يقول الحقيقة .. ولكنه يؤلف نظرية تعطيه الفرصة للتدخل فى شئون الدول الإسلامية ، وفى اللعب المكشوف والخفى لإشعال نار الخلافات بين الدول الإسلامية وإشعال الخلافات أيضا داخل كل بلد إسلامى ، والغطاء الفكرى الجاهز الآن لكل ذلك هو نظرية صراع الحضارات وأن الإسلام هو العدو القادم ..

❑❑❑

ولأن علاقتى بقداسة البابا شنودة ليست علاقة الصحفى بمصدره ، ولكنها علاقة عميقة وممتدة منذ مايقرب من عشرين عامًا ، فلا أستطيع أن أكون معه صحفيًا ، أعد له أسئلة مسبقة ، أو أجرى حديثا للنشر فهو بالنسبة لى صديق .. وأستاذ .. وأعترف أنى تعلمت منه الكثير .. لذلك عرضت على قداسته هذه الأفكار التى ذكرتها وطلبت رأيه فيها .

قال :

هذا الكلام غريب علىّ .. وأنا مندهش مما أقرؤه عن نظريات فى الغرب

تروّج لهذه الفكرة .. ولا أعتقد بصحة هذا الكلام .. وإنما أرى أن المشكلة الأساسية التى ستقابل العالم فى المستقبل هى سوء استخدام التكنولوجيا وردود فعلها .. وأول مظهر رأيناه لذلك هو استخدامات الهندسة الوراثية ومحاولة تدخلها فى الخلق ، ثم ما يتوقعه البعض من نمو الكمبيوتر وشبكات الانترنيت وشيوع المعرفة فيما يفيد وفيما يضر ، وكشف سرية كثير من الأمور .. وفضح الخصوصيات .. وتأثير الانترنيت على الأخلاق بما ينقله عن الأمور الجنسية بأساليب لا أريد التحدث عنها ..

وأرى أن نمو المعرفة والتكنولوجيا سيؤدى إلى اتساع الفجوة بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتخلفة .. وبين الآباء والأبناء ..

والتكنولوجيا ستؤدى إلى زيادة البطالة ، التكنولوجيا غيرت أساليب العمل ، وأساليب التفكير ، وأساليب تحصيل المعرفة .. فقد رأيت فى الخارج أنه يمكن جمع مواد ١٣٠ كتابا كاملة على « دسك » واحد ، يوضع فى الكمبيوتر فتستطيع استدعاء أى معلومات منها فى لحظات .. مكتبة متنقلة .. تعيد ترتيب وتنظيم المعلومات كما تريد دون مجهود منك .. بل يمكنك إصدار أمر للكمبيوتر أن يستخرج من كل هذه الكتب ما يتعلق بموضوع معين فيفعل ذلك .. وهذا يعنى أن المجهود الطويل الذى كان يبذله الباحثون فى سنوات سيتم فى لحظات ..

الخطر الجديد على الغرب والعالم هو طغيان الآلة .. قيام الآلة مقام العقل البشرى .. الذكاء الاصطناعى .. الروبوت .. الإنسان سيصبح مهددا فى كل المجالات .. حتى فى الطب ..

وبقيام الآلة مقام الإنسان والعقل البشرى سيؤثر حتما فى العلاقات الإنسانية .. وفى تفكير البشر .. وفى العلاقات الدولية ..

هذا هو الخطر الذى يجب أن يفكر فيه الغرب .. أما القول بأن الإسلام هو العدو للغرب فهذا كلام فارغ ..

هذا كلام فارغ لأن الغرب لا يعنيه الدين كثيرا بقدر ما تعنيه المصالح .. الإنسان فى الغرب لا يخضع فى سلوكه لأوامر الدين .. ولكنه يخضع لاعتبارات المصلحة .. المادية .. والفردية أصبحت طاغية .. والدين تراجع كثيرا فى الغرب .. والمصالح الاقتصادية هى الدافع للسلوك .. أما مبادئ وعقائد الدين فقد تراجعت .. فكيف يقولون : إن هناك صراعا سينشأ بين ديانات وعقائد .. إذا كانت الديانات والعقائد لاتهمهم ؟ ..

❑❑❑

قلت : هم يقولون : إن الإسلام عقيدة وأيديولوجية يمكن أن تكون فلسفة الحكم والحياة فى الدول الإسلامية فتتعارض مع قيم وفلسفات دول الغرب المسيحية ويحدث تصادم بين الثقافات والحضارات والأديان ؟ ..

قال :

هذا كلام غير قائم على أساس واقعى .. من جهة السياسة نرى أن الدول الكبرى مهتمة بما يسمونه « توازن القوى » سواء كانت هذه القوى إسلامية أو مسيحية أو قوى من ديانات أخرى مثل الكنفوشية والبوذية .. فى اليابان والصين .. ودورهما كبير فى المستقبل ويهدد الغرب .. وصراع القوى والمصالح الاقتصادية بين الغرب واليابان والصين يهم الغرب أكثر من موقف الدول الإسلامية .. الصناعات الآسيوية تؤثر على اقتصاد أمريكا وأوربا ..

لذلك أنا أقول : إن الكلام عن صراع بين الأديان والحضارات والعقائد

هو فى حقيقته كلام عن صراع اقتصادى .. الغرب يسعى إلى السيطرة الاقتصادية .. هذه هى حقيقة المسألة ! ..

قلت :

هل ترى يا قداسة البابا أن كل مشكلة الغرب مشكلة اقتصادية ؟ ..

قال :

لا .. هناك مشكلة أخرى تنتظر العالم الغربى ، هى الانحلال الخلقى .. ستكون نتائج هذا الانحلال وخيمة على الشعوب والأسر والعلاقات الاجتماعية .. لذلك لا أرى أبدا أن مشكلة الغرب ستكون هى الإسلام .. مشكلة الغرب ستكون ناتجة من طبيعة تطوره .. فهو يتقدم ماديا ويتخلف أخلاقيا .. وهذه مشكلة عظمى ..

وقد قلت فى مؤتمر الغرب والإسلام الذى عقد أخيرا فى القاهرة : إن مصلحة البشرية أن يوجد تعايش سلمى بين الأديان بدل الصراع .. لأن التعايش السلمى يحقق التفاهم بين أتباع الأديان .. ودعوت إلى أن تتسع دائرة الحوار بين الأديان والا تقتصر على أفراد معدودين يكون الحوار بينهم ..

وقلت فى هذا المؤتمر : إن بين الإسلام والمسيحية مساحة واسعة للتفاهم والتعاون ، ويستطيع المسلمون والمسيحيون فى العالم أن يتعاونوا لنشر الإيمان بالإله الواحد والوقوف ضد الإلحاد والوجودية وكل من لا يؤمن بوجود الله ، كما يمكن التعاون أيضا فى نشر الفضيلة والبر والقيم والمبادئ السليمة ، والتعريف بالقضايا الإنسانية خاصة قضية الفلسطينيين ..

وقلت أيضا : إن التواصل بين العالمين : الإسلامى والغربى يمكن أن

يحقق خيرا ، حيث يمكننا أن نأخذ العلم والتكنولوجيا من الغرب وكل ما يحقق لنا الخير ، وما يتفق مع روح الأديان ، وأن ننكر ما يتعارض معها مثل استخدام الهندسة الوراثية فى عمليات الخلق ..

وقلت : إن الحوار الذى أطالب به يجب أن يدور بالمصارحة ، وأن يرد الإسلام على كل ما فى أذهان الغرب ليعرف الغربيون أنه لا إكراه فى الدين ، وأن التطرف خارج عن الدين ، وتنشره جماعة لا يوافق الإسلام عليها ، وأن العنف لا يتفق مع المحبة ، ولا السلام ، ولا التعاون ، وهى من مبادئ الإسلام ..

وسألت البابا شنودة : ما رأيك فى رواية سلمان رشدى « آيات شيطانية وما فيها من اتهامات بذيئة تمس مشاعر المسلمين .. وحكيت له كيف واجه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى ألمانيا وبريطانيا أسئلة تريد إحراجه ملخصها : هل الإسلام ضد حرية الرأى وحرية العقيدة .. وهل الإسلام يأمر أتباعه بأن يقتلوا كل من له رأى مخالف لرأيهم أو دين مخالف لدينهم .. فقال لهم شيخ الأزهر : إن الإسلام يؤيد حرية الرأى ، ويحترم حرية العقيدة ، بل إن الإسلام يأمر المسلمين بأن يحترموا ديانة غيرهم ويحفظوا لهم كرامتهم ويساعدوهم على أداء شعائرهم (والإسلام يلزم المسلمين أيضا بحماية أماكن العبادة التى تخص غير المسلمين) ولكن سلمان رشدى لم يقدم رأيا أو يعرض عقيدة تخالف عقيدة الإسلام .. ولكنه وجه اتهامات محددة إلى الرسول ﷺ وزوجاته .. وملأ روايته بالأكاذيب .. ومن حق المسلمين أن يشعروا أن هذه الرواية ليست نقدًا ولا وجهة نظر ولكنها افتراءات وأكاذيب وقذف وتشهير بالإسلام كعقيدة وبمحمد ﷺ كنبى كريم .

وقال لهم شيخ الأزهر أيضا : إنه لا يقر الفتوى التى صدرت بإهدار دم سلمان رشدى ، ولكنه كمسلم من حقه أن يطلب تشكيل لجنة عليا من أكبر العلماء ولتكن من ثلاثة أحدهم مسلم ، والثانى مسيحى ، والثالث يهودى ، وتسأل هذه اللجنة سلمان رشدى من أين جاء بالأكاذيب والافتراءات التى ذكرها فى روايته .. وهل لديه أدلة تاريخية أو مصادر أو مراجع يستند إليها أو أنه يكيل الاتهامات للدين الإسلامى ورسوله دون دليل .

وقال شيخ الأزهر أيضا : إن المسألة ليست مجرد رواية ، ولكن الضجة الإعلامية التى صاحبت صدور هذه الرواية كانت تدل على وجود جهات وراء الكاتب والكتاب تسعى إلى الترويج للكتاب ، وتعمل على استفزاز مشاعر المسلمين .. ومن الواجب على العقلاء ألا يشعلوا النيران بين أصحاب العقائد ، وأن يتعاهدوا على أن يحترم بعضهم بعضا .. والمبدأ فى الإسلام : « لكم دينكم ولى دين » وإن كان هناك من يريد الجدل فى العقائد فنحن على استعداد على أن يكون الجدل قائمًا على المنطق ومتبعًا للمنهج العلمى وبعيدا عن التأثير الإعلامى ومحاولات الاستفزاز .

واستمع قداسة البابا إلىّ ثم قال :

من جانبى لم أقرأ هذه الرواية .. ولا أرى أنها تستحق القراءة .. وقد تابعت جانبًا مما نشرته الصحف عنها فعرفت أنها قصة رخيصة ، وأن صاحبها مؤلف كان مغمورًا ويبحث عن الشهرة والمال ، وأثبت أنه مغمور ومغامر ، ومع أنه مسلم إلا أنه باع نفسه من أجل بضعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية .

ومثل هذه الأعمال يمكن أن تثير زوبعة إعلامية فى الصحف والإذاعات والتلفزيونات ، وتشغل الناس ، ولكن ذلك لا يستمر طويلاً .. لأنها ليست دراسة علمية موثقة ، ولاتستند إلى حقائق أو معلومات أو وقائع تاريخية .

والدليل على ضعف مستوى سلمان رشدى وروايته أنها تسير إلى النسيان وسوف ينتهى الحديث عنها ولا يصح إلا الصحيح ..

وأكثر من ذلك ماذا تستفيد الإنسانية من نشر مثل هذه الروايات القائمة على اختلاق وقائع مزورة لمجرد التشهير بشخصيات لها قدرها واحترامها وقداستها .

وهل يمكن أن يكون هذا هو أسلوب كل أصحاب الديانات فى تجريح الديانات الأخرى التى تخالفهم .. هل المقصود أن نشعل الحرب بين أصحاب الديانات .

وقال قداسة البابا :

– أنا أسأل سؤالا بسيطًا .. لماذا جاءت الأديان للبشر .. اعتقد أن أحدًا لن يختلف معى فى أن كل الديانات تقوم على جوهر واحد هو الإيمان بالله .. هذه نقطة .. وكل الأديان تدعو البشر إلى محبة بعضهم بعضا .. وإلى أن يرحم بعضهم بعضًا .. ويساعد بعضهم بعضًا .. بغض النظر عن لونهم أو جنسهم .. أو جنسيتهم .. أو لغاتهم .. أو دياناتهم .. الإنسان هو الإنسان .. والقرآن يقول : « ولقد كرمنا بنى آدم .. » فكل إنسان له كرامة وتكريم عند الله مهما كانت عقيدته الدينية . هذه نقطة ثانية .. أما النقطة الثالثة فهى أن الأديان كلها مهما تكن الخلافات بينها تتفق فى مبادئ وقيم أخلاقية تجدها هى هى فى كل الديانات .. وإذن هناك اختلاف

فى الأديان وهناك وحدة فى المصدر وهو الله .. وفى الهدف وهو تقويم البشر وإسعادهم وهدايتهم إلى طريق الله .. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يناصب بعض أصحاب الأديان العداء من يخالفونهم فى العقيدة ؟ أنا أقول : إن ذلك يتعارض مع إرادة الله .

لذلك أقول : إننى أشعر بالضيق كلما رأيت واحدًا من الناس يسىء إلى عقيدة غيره .. وقد شعرت بالضيق من سلمان رشدى وروايته ومن الدعايات التى ملأت الصحف وشغلت الناس فى كل أنحاء العالم .

ثم قال قداسة البابا :

صدقنى .. لن يبق من سلمان رشدى شىء .. لأن الحديث عن الأديان والرسل يجب ان يكون فى إطار محترم ولائق .. هذا إذا كان من يتحدث محترمًا ويعرف اللياقة .

ثم قال :

لذلك لا أرى أن سلمان رشدى يستحق الغضب الشديد الذى شعر به بعض المسلمين .. وأنا احترم رأى فضيلة شيخ الأزهر ، وقد أصاب بعلمه وخلقه وقوة إيمانه .. واحترم فيه أنه لم يهتز لمثل هذه الفقاعات .. وما أكثر الذين تهجموا على المسيحية والمسيح .. أين هم الآن فى التاريخ ؟

❑❑❑

قلت لقداسة البابا :

خلال السنوات الست والعشرين فى مسئولية بابا الأقباط الأرثوذكس كان واضحًا اهتمامكم الكبير بامتداد عمل الكنيسة ونشاط البابا إلى الخارج ، وتحقق الكثير فى ذلك بانتشار الكنائس التابعة لكم فى أفريقيا وآسيا وأوربا

والولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية .. أعتقد أن الهدف لم يكن مجرد التوسع فى إنشاء كنائس ، ولكن كانت هناك فلسفة وأهداف لنشاطكم فى الخارج .. ما هى .. ؟

قال :

طبعا .. تستطيع أن تلاحظ أن هناك ملامح عامة للعمل الكنسى منذ ١٩٧١ حتى الآن .. وبعض هذه الملامح جديدة لم يسبق أن أعطاها البابوات السابقون الاهتمام الكبير الذى أعطيته لها .. مثل انفتاح الكنيسة القبطية على العالم بعد أن عاشت قرونا طويلة فى دائرة مغلقة ، ومثل العمل على إقامة حوار مع جميع الطوائف المسيحية ، ودراسة القضايا والتصرفات التى تسىء إلى العلاقات بين الكنائس ، والتوصل إلى حلول لتغيير الأوضاع وتحسين العلاقات ، ومثل وصول الكنيسة إلى مكان القيادة فى كثير من الهيئات والمؤسسات المسيحية الدولية على المستويين الإقليمى والعالمى ، واشتراكها فى عضوية المجالس القومية للكنائس .

وقال البابا :

– لقد بذلت وقتًا طويلاً فى لقاءات وزيارات مع بطاركة ، وقيادات الطوائف المسيحية الأخرى لبناء جسور المحبة وإذابة آثار سنوات من عدم الفهم المشترك ، وركزت على تنظيم برامج عديدة للحوار اللاهوتى فتحنا فيه وبصراحة نقاط الاتفاق والاختلاف بين الكنيسة الأرثوذكسية والطوائف الأخرى سواء الكاثوليكية ، أو البروتستانتية ، أو الأسقفية ، وسادت جلسات الحوار روح المحبة والصراحة وتقديم الحلول العملية . وأعطيت اهتمامًا كبيرًا لتوسيع نشاط الكنيسة فامتد عملها إلى مجالات كثيرة مثل

التنمية ، وأنشطة الشباب والمرأة ، وتقديم الخدمات الاجتماعية ، وشاركنا الطوائف الأخرى فى المناسبات والاحتفالات والأعياد الخاصة بكل منها . فأصبحت تشاركنا احتفالاتنا وأعيادنا ، وحقق ذلك تقاربا كبيرا بيننا .. وعقدنا عشرات المؤتمرات واللقاءات الدينية فى دير الأنبا بشوى بوادى النطرون ، وفى زياراتى للخارج أسعى إلى تدعيم علاقة الكنيسة المصرية بالكنائس الأخرى فى كل الدول .

❑❑❑

قلت : إلى أى مدى وصلت هذه الجسور إلى بابا روما وأقيمت الجسور مع الكنيسة الكاثوليكية بعد مئات السنين من الجفوة .. ؟

قال البابا :

كانت البداية زيارة قمت بها إلى الفاتيكان والتقيت بالبابا بولس السادس .. وكان هذا أول لقاء بين بابا الاسكندرية وبابا روما منذ أكثر من ١٥ قرنا . كانت الزيارة بدعوة رسمية من البابا بولس السادس وتمت فى مايو ١٩٧٣ ، وكان معى فى هذه الزيارة أحد عشر مطرانًا وأسقفًا منهم اثنان من الأثيوبيين ، وتحقق بذلك التقاء الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية وإزالة ما بينهما من فجوة أو جفوة ، ووضعنا فى هذه الزيارة التى استمرت سبعة أيام ميثاقًا للصداقة والتعاون ، وكان من نتائج هذه الرحلة تنمية العلاقات بين كنيستى روما والإسكندرية ، وتمت مناقشة كثير من القضايا ، وصدر بيان مشترك اشتمل على شقين أساسيين : الشق الأول هو الشق اللاهوتى وفيه المسلمات الأساسية التى لا خلاف عليها ، والشق الثانى تضمن الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة بين الكنيسة المصرية وكنيسة روما للقيام بدراسة مشتركة فى ميادين متخصصة مثل التقاليد الكنسية ، والطقوس ، واللاهوت ،

والتاريخ ، وغيرها . واشتمل هذا الشق على خطوات للتعاون المشترك وحل الخلافات القائمة بين الكنيستين ، ورفض كل صور « الخطف » من كنيسة إلى أخرى ، ورفض سعى أشخاص من إحدى الكنيستين لإزعاج طائفة من الكنيسة الأخرى ، وعلى الصعيد السياسى اشتمل هذا البيان على فقرات مهمة تؤكد حقوق شعب فلسطين ، ورفض المغالطات التى تهدف إليها إسرائيل بهدف استمالة العالم المسيحى لادعاءاتها ..فى البيان تأكيد على الوقوف إلى جانب آلاف المتألمين والمشردين من شعب فلسطين ..والتعبير عن رفض استخدام الحجج الدينية لأغراض سياسية فى الشرق الأوسط ، والدعوة إلى حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً ليسود سلام حقيقى .. مع إعلان اتفاق كنيسة روما معنا على أن السلام الحقيقى هو السلام الذى يقوم على العدل .

وبعد هذه الزيارة أرسل البابا بولس السادس خطابًا إلى البطريرك اسطفانوس الأول بطريرك الأقباط الكاثوليك فى مصر فى ذلك الوقت ، يؤكد فيه على احترام الاتفاقية التى أبرمت بيننا كبداية لعهد جديد فى العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية المصرية .. وبعد ذلك بدأ الحوار اللاهوتى الرسمى بين الكنيستين بتشكيل اللجنة الدولية المشتركة للحوار ، وعقدت اجتماعها الأول فى القاهرة فى مارس ١٩٧٤ ، واتفقت على نقاط دينية كما اتفقت على التعاون لمواجهة انتشار المادية والإلحاد وصراعات الأيديولوجيات ، وحذرت اللجنة من استغلال البعض هذا التعاون لضم أعضاء من كنيسة إلى أخرى ، وتوصلت اللجنة المحلية بعد ذلك إلى اتفاق على توجيه أنشطة الإرساليات الكاثوليكية بمصر لخدمة الاحتياجات الدينية للكنيسة المصرية ، وأن تسمح السلطات الكاثوليكية لنا بفحص المشروعات الاجتماعية التى تقوم بها الإرساليات فى المناطق التى يعيش فيها الأرثوذكس

لتحديد المشروعات التى يمكن أن نقوم نحن بها أو نشترك فيها مع الكاثوليك .

عقدنا اجتماعات أيضا مع هيئة برو – أورينتا وهى هيئة كاثوليكية فى النمسا ومعنى اسمها « مع الشرق » وهدفها تنمية العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية فى المشرق ..

وهكذا امتد نشاطنا ..

❑❑❑

قلت : ومع الطوائف المسيحية فى داخل مصر .. هل كان هناك جهد مماثل .. ؟

قال :

نعم .. منذ سنة ١٩٧٦ ونحن نعمل على تحقيق التعاون مع الكنيسة الإنجيلية ، واتفقنا على كيفية تفادى الأمور التى تثير الشكوك ولا تؤدى إلا إلى إيذاء الصالح العام ، وتفادى استخدام وسائل الإغراء لاقتناص الأقباط خارج كنيستهم ، وتفهم العقيدة الأرثوذكسية من ناحية ، والإنجيلية من ناحية أخرى لتفادى التصادم الانفعالى ، وعقد حلقة دراسية عن الاتجاهات الفكرية الحديثة التى تمثل خطرا على العقائد وكيفية مواجهة الكنيسة لها .. واستمر الحوار عام ١٩٨٨ وتوصلنا إلى نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بيننا وهى كثيرة .. وظل الحوار عام ١٩٨٩ ، و١٩٩٠ ، وهكذا ..

والحوار قائم بيننا وبين الكنيسة الإنجليكانية والاتحاد العالمى لكنائس المصلحة ، مع الكنيسة اللوثرية فى المانيا ، وكنيسة السويد ، وعقدنا مؤتمرًا عن الرهبنة ، ومؤتمرًا لكل رؤساء الطوائف المسيحية فى مصر ، ومؤتمرًا

آخر من أجل التنمية شاركت فيه جميع الكنائس ، ومؤتمرات كثيرة جدا لأساتذة وطلبة كليات اللاهوت ، ومع مجلس كنائس الشرق الأوسط ..

ثم قال البابا شنودة :

العمل كبير .. لا نستطيع حصره .. نحتاج إلى مجلدات .. فقد قمنا بأعمال ونظمنا لقاءات .. ومؤتمرات وزيارات مع مجلس الكنائس العالمى ، ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، ومجلس كنائس أفريقيا ، ومجلس الكنائس المحلية والإقليمية .. وكل واحدة من هذه المجالات فيها أعمال تملأ صفحات وصفحات ..

قلت :

لم أكن أحسب أن كل هذا النشاط يمكن أن يتم فى فترة قصيرة كهذه .. المسألة تحتاج إلى وقفة لنعرف ونتابع .. ودعنا نتوقف عند مجلس الكنائس العالمى لنعرف ماذا يفعل معنا ومع غيرنا ..

❑❑❑

فى فبراير ۱۹۹۱ قررت الجمعية العمومية السابقة لمجلس الكنائس العالمى فى اجتماعها فى استراليا اختيار البابا شنودة رئيسا لمجلس الكنائس العالمى عن الارثوذكس الشرقيين والشرق الأوسط . تم هذا الاختيار بحضور ٨٤٢ مندوبا يمثلون ٣١٧ كنيسة . وجاء فى حيثيات القرار أن اختيار البابا شنودة جاء تقديرًا لجهوده فى العمل المسكونى ، وتقديرا لمكانته فى العالم المسيحى . وألقى قداسة البابا كلمة أمام الجمعية العمومية عن الروح القدس بدأها وختمها بقوله : « لنعمل معا فى بناء ملكوت الله » .

ولكن هذا الاختيار أثار اعتراضات وانتقادات من داخل وخارج الكنيسة ،

وترددت أقوال عن صلة مجلس الكنائس العالمى بالمخابرات الأمريكية ، وعن الأهداف الحقيقية لهذا المجلس وأسباب تقديمه الأموال الكثيرة ..ومن أين هذه الأموال ؟ ولماذا يقدمها للكنيسة المصرية ؟ وأين تذهب ؟ وتصدى قداسة البابا للمتشككين والمعترضين وأجاب عن تساؤلات المتسائلين . ولكن بقيت حتى الآن أصوات تثير الشكوك وما هو أكثر من الشكوك .. !

بدأت الاعتراضات عندما قام البابا شنودة بأول زيارة لمقر مجلس الكنائس العالمى فى جنيف ، وكان ذلك فى فبراير ١٩٧٩ ، وحضر اجتماعًا عامًا فى مقر المجلس حضره أكثر من ٣٠٠٠ مدعو ، وتحدث فى هذا الاجتماع السكرتير العام للمجلس عن الكنيسة المصرية ودورها فى التاريخ وفى مجال الدراسات اللاهوتية ،ثم تحدث البابا شنودة فأشاد بمجلس الكنائس العالمى ودوره فى العمل المسكونى وخدمة التعليم المسيحى . وعاد البابا من جنيف ليجد التساؤلات والشكوك وواجهها بردود حاسمة .

وبعد اختيار البابا شنودة كأحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى واظب على حضور اجتماعات اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية فى جنيف بسويسرا (١٩٩٢ و١٩٩٣ و١٩٩٥) ، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا (١٩٩٤) .

وبعد أيام من اختيار البابا شنودة كتب الأستاذ فهمى هويدى مقالاً ساخنًا فى مجلة « المجلة » بعنوان « ماذا يريد منّا مجلس الكنائس العالمى ؟ » أثار فيه مسائل لم تكن تخطر على بال كثيرين ممن أسعدهم أن يكون البابا أحد رؤساء هذا المجلس العالمى .

□□□

بدأ الأستاذ فهمى هويدى مقاله بأن المسألة القبطية ليست شأنًا مصريًا فقط ، ولكنها ورقة فى معادلات وحسابات المنطقة ، وفى ظل المدّ الإسلامى

الراهن فإن تلك الورقة تكتسب وضعًا خاصًا فى حسابات الآخرين ، الذين يعنون بمستقبل المنطقة ، ومن هذه الزاوية يصبح اختيار بطريرك الأقباط فى مصر ، البابا شنودة ، ضمن رؤساء مجلس الكنائس العالمى أمرًا لافتًا للنظر .

ثم دخل فهمى هويدى فى الموضوع .. فقال إن المراجع تشير إلى أن المجلس ولد رسميا فىعام ١٩٤٨ فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وإنه منذ ميلاده لم يكن بعيدا عن الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى ، وإنما كان أحد الأدوات التى تضغط بالكنيسة على النظم الشيوعية . ومن أجل تحقيق ذلك الهدف جرى حشد كنائس العالم وتجميعها تحت مظلة ذلك المجلس الذى انعقد لواء قيادته للكنائس البروتستانتية الأوربية والأمريكية وأصبح يضم أكثر من ٣٠٠ كنيسة من مختلف أنحاء العالم . غير أن فكرة تجميع الكنائس فى كيان واحد لم تكن وليدة تلك المرحلة ، وإنما هى برزت فى أوائل القرن الحالى وكان لها هدف آخر ، فقد عقد فى سنة ١٩١٠ فى أدنبره ببريطانيا المؤتمر الأول للإرساليات العالمية مستهدفًا توحيد نشاط الإرساليات التى توفدها كنائس أوربا إلى بقاع الأرض ، وآسيا وأفريقيا فى المقدمة منها ، فى ذلك المؤتمر تشكل « المجلس الدولى للإرساليات » لتنسيق العمليات التبشيرية بالدرجة الأولى .

وركز فهمى هويدى فى مقاله على نقاط محددة فقال :

● بعد تلك المرحلة ظهرت محاولتان للتقريب بين الجماعات المسيحية مختلفة المذاهب . كانت أولاهما حركة عرفت باسم « الحياة والعمل » عقدت مؤتمرها الأول فى ستوكهولم سنة ١٩٢٥ ، والثانى فى أكسفورد بإنجلترا

سنة ١٩٣٧ . وكان الهدف من هذه الحركة هو التقريب بين المسيحيين ذوى العقائد المختلفة على أساس من الأخلاق المسيحية التى لايثور حولها أى كلام . والحركة الثانية حملت اسم « الإيمان والنظام » وكان محور نشاطها هو التقريب فى نطاق العقائد ذاتها ، وقد عقدت ثلاثة مؤتمرات فى لوزان (١٩٢٧) وأدنبره (١٩٣٧) والسويد (١٩٥٢) . وفى مؤتمرى عام ١٩٣٧ اللذين عقدتهما الحركتان فى أكسفورد وأدنبره تقرر إدماج الجماعتين فى مجلس عام للكنائس يباشر مهامه على نطاق أوسع من محيط الفاتيكان الذى يمثل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وحدها . وفى عام ١٩٣٨ بدأ التخطيط لإنشاء مجلس الكنائس الذى كان مقررًا عقده فى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ لكن ظروف الحرب العالمية حالت دون ذلك ، فاجتمع المجلس لأول مرة فى هولندا سنة ١٩٤٨ بينما انعقد الاجتماع الثانى فى ايفانستون بأمريكا عام ١٩٥٤ .

● هناك شهادات تلقى الضوء على مهمة مجلس الكنائس العالمى .

ففى رسالة بعنوان « مجلس الكنائس العالمى من واقع تاريخه » أصدرتها عام ١٩٦٣ جماعة من المثقفين الأقباط فى مصر وردت الشهادة التالية : « إن السياسة فى رأى مجلس الكنائس العالمى هى المجال الذى يتحتم على الكنائس فى دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه ، وليس جائزًا للكنيسة أن تحدد نطاق عملها بتوجيه الأفراد دينيًا ، ولابد من معارضة الكنائس التى تمتنع عن التدخل فى سياسة الدول التى تحيا هذه الكنائس فيها .. ولابد أن يكون واضحًا أن المجلس وهو يتحول عن الموقف الذى تحدد فى أكسفورد عام ١٩٣٧ (بفصل الكنيسة عن سياسة الدولة) إنما يعمل ذلك عن وعى وإصرار ، ففى مؤتمر تسالونيكى الذى عقده المجلس

سنة ١٩٥٩ ، يرفض المجلس أن يطبق فى البلاد النامية نظام الفصل بين الكنيسة والدولة كما هو مطبق فيها ، بل يريد أن يجعل الكنيسة تقتحم فى الدول النامية نطاق نشاط الحكومات واختصاصاتها ، لأن النظام الغربى القائم على الفصل بين الحكومة والكنيسة لا يمكن – فى رأى المؤتمر – تطبيقه فى الدول النامية .

□□□

وخلص الباحثون الأقباط المصريون فى دراستهم إلى نتيجة قالوا فيها : « إننا لا نرى فى مجلس الكنائس العالمى إلا تكتلاً سياسيًا يقوم على أساس دينى ، ولا يقلل من ذلك انضمام الكنائس الأرثوذكسية الأخرى إليه ، فهذه المجموعة لا تمثل إلا أقلية ضئيلة تكتسحها أغلبية ضخمة من الأصوات التى للكنائس الغربية البروتستانتية ، علاوة على أن استخدام هذه الكنائس الأخيرة لسلاح المعونات التى تنفقها الكنائس الموجودة فى أفريقيا وآسيا لابد أن يؤثر على أصوات مندوبيها أثناء المداولات » ..

● للأستاذ محمد حسنين هيكل شهادة أخرى سجلها فى كتابه « خريف الغضب » جاء فيها مايلى : « فالمجلس تألف سنة ١٩٤٨ إبان اشتداد رياح الحرب الباردة ، وكانت عملية إنشاء مجلس الكنائس العالمى تعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة فى أن يقوم الدين بدور رئيسى فى الصراع ضد ما كانت هذه الجهات تسميه « الإلحاد الشيوعى » وفى الحقيقة فإن تلك كانت معركة سياسية وإن تنكرت ببراقع الدين ، بل إن التحقيقات التى جرت فى الكونجرس فيما بعد أثبتت أن مجلس الكنائس العالمى كان من الجهات التى حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان يجلس وزير الخارجية

اللاحق للولايات المتحدة الأمريكية (جون فوستر دالاس) شقيق الرئيس المزمن لإدارة المخابرات المركزية الأمريكية ألان دالاس ، ومن فوق المنصة في جلسة تأسيس مجلس الكنائس العالمي كان كلام دالاس داعيا إلى التأمل . وكان من بين ما قاله : « أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أننا نبشر بالحضارة الغربية .. » .

• وعلى حسب شهادة الأستاذ هيكل فإن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان يدرك المركز الممتاز للكنيسة القبطية ودورها الأساسي في التاريخ المصري ، ثم إنه كان واعيًا لمحاولات الاستقطاب التي نشط لها مجلس الكنائس العالمي ..

• وحسب الشهادة نفسها فإن الأنبا صموئيل أسقف الخدمات في الكنيسة القبطية كان اختصاصه يشمل الاتصال مع الكنائس الأخرى (الفاتيكان وكنتر برى) ومع مجلس الكنائس العالمي ، وقد استطاع أن يحصل لبعض العائلات القبطية على توكيلات عديدة لأكبر البنوك ، خصوصا في ألمانيا الغربية ، التي بدأت في ذلك الوقت تلعب دورًا ظاهرًا في نشاط وتمويل وتوجيه مجلس الكنائس العالمي ، بعد أن تأثرت الموارد الأمريكية لهذا المجلس نتيجة لاكتشاف علاقته بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. وحين قتل الأنبا صموئيل مع الرئيس السادات في حادث المنصة ظهر أن هناك حسابًا باسمه في أحد البنوك السويسرية مقداره ١١ مليون جنيه استرليني ، وكانت هناك في نفس الوقت وصية من الأنبا صموئيل تحدد أن هذه الأموال أموال الكنيسة ولا حقّ فيها لأحد غيرها .

• المفكر المصري القبطي المعروف الدكتور وليم سليمان قلادة له شهادة ثالثة أثبتها في كتابه « الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية » وفيها :

« إن دعوة مجلس الكنائس تتجه فى صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثًا فى سياسة بلادها ، وابتدع لاهوتية المجلس لتبرير هذا الاتجاه نظرية لاهوتية تقول : إن نشاط الدولة فى كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله ، ولابد للكنائس من أن تبدى رأيها فى هذا النشاط ، ولابد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية فى العالم (الغربى) ويصل التناسق بين اتجاهات المجلس والاتجاه الغربى فى السياسة الدولية إلى حد أن أحد الكتب التى أصدرها المجلس تضمن نظرية اجتماعية دينية تدعو إلى ضرورة إجراء صلح بين العرب وإسرائيل » .

❑❑❑

وللدكتور غالى شكرى الناقد القبطى شهادة أخرى فى كتابه « الأقباط فى وطن متغير » ذكر فيها أنه « فى ديسمبر من عام ١٩٦١ عقد فى العاصمة الهندية نيودلهى المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمى ، وأصدر قرارًا يبرئ اليهود من دم المسيح ، ويحذر الكنائس من التعليم المعادى لليهود .. وقد كان هذا القرار هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة فى تبرئة اليهود من دم المسيح .

وهنا يقول فهمى هويدى : هذا هو مجلس الكنائس العالمى طبقا لشهادة الشهود .

❑❑❑

ويواصل فهمى هويدى استعراضه لموقف الطرف الثانى وهو الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ، وكان لها – تقليديًا – موقف آخر ، فبينما يتحرك مجلس الكنائس فى إطار مشروع سياسى أيا كانت طبيعته وأهدافه ، فإن

الكنيسة المصرية ظلت تتمسك برسالة روحية بحتة ، فضلا عن أن رصيدها التاريخى ظل مبنيًا على استقلالها على الصعيدين الروحى والوطنى . وفى رسالة أخرى لنخبة من مثقفى الأقباط المصريين عنوانها « مجلس الكنائس العالمى من واقع قراراته » إيضاح لهذه النقطة على النحو التالى :

« من الأمور البديهية فى المسيحية أن السيد المسيح له المجد لم يأت إلى هذا العالم ليؤسس مملكة أرضية زمنية يحكمها هو ، وتخلفه فى حكمها كنيسته أو رؤساؤها ، وهو ما أوضحه الإنجيل بشكل حاسم (مثل قول المسيح : مملكتى ليست فى هذا العالم) والكنيسة الأرثوذكسية تبرأ من هذا الإقحام المغرض للدين فى الأمور الزمنية ، وهى ترى فيه مسخًا وتشويهًا للمسيحية يؤدى بها إلى أن تكون فريسة لمحاولات الرجعية كى تستغل الدين ضد طبيعته لعرقلة التقدم ، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية روحانية ، ترى نفسها قبل كل شىء جماعة عابدة لله ، ولذلك تترك الكنيسة الأرثوذكسية عامدة تفصيلات الحياة السياسية والاقتصادية للمختصين ، أما أن يغتصب مال قيصر لينسب زورًا وخداعًا لله ، فهو عمل لا تراه كنيستنا إلا على أنه ردة . وحين تواجه الكنيسة القبطية حركات التقارب بين الكنائس والطوائف المسيحية ، فإنها تؤمن بأن أساس العمل فى هذا المجال هو الرجوع إلى الإيمان الرسولى المستقيم ، فليس هناك أى عامل يمكن أن يقرب بين هذه الكنائس وبعضها إلا وحدة الإيمان ، وفى خارج هذا النطاق فإن العمل الذى يمكن أن يتم لا يسوغ وصفه بأنه عمل مسيحى أو كنسى ، إنه تقارب نفعى بحت يخرج عن اختصاص الكنيسة ويجاوز إمكاناتها » .

❑❑❑

وللبابا شنودة مقالة فى سنة ١٩٥١ وكان أسقف التعليم ، تحت عنوان « رأينا فى اتحاد الكنائس » نشرها فى مجلة مدارس الأحد عدد إبريل ١٩٥١

قال فيها : « نحن لا نؤمن بوجود كنائس كثيرة ، وإنما نؤمن بكنيسة واحدة هى جماعة المؤمنين الذين يؤمنون إيمانا مستقيما ، أما الخارجون على إيمانها فإنهم يبعدون ، وهذا ما كانت تفعله الكنيسة الأولى .. كانت تخرج من عضويتها كل مبتدع مصر على بدعته ، وكانت تحرم الاختلاط بهؤلاء الهراقطة والصلاة معهم . ويضيف البابا شنودة فى هذا المقال : « لا يليق إطلاقا بممثل الكنيسة المرقسية السليمة الرأى أن يشترك فى اجتماع دينى تحت رئاسة أحد الخارجين عن الإيمان الصحيح » .

□□□

بعد كل هذا تساءل فهمى هويدى : ما الذى تغير فى موقف الكنيسة المصرية حتى تنخرط فى أنشطة مجلس الكنائس العالمى وحتى تدفع ببطريرك أقباط مصر إلى رئاسته ؟

ويجيب : أهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث فى المعادلة المتمثل فى البابا شنودة شخصيًا الذى تولى منصبه عام ١٩٧١ . نجد أضواء كثيرة على دور البابا شنودة فى قيادة الكنيسة المصرية فى كتابين أصدرهما باحث مصرى مسيحى (بروتستانتى) هما : « المسيحية السياسية فى مصر » و« الاحتجاج الدينى فى مصر » . وفى الكتاب الأخير يقرر المؤلف الدكتور رفيق حبيب أن الإحياء المسيحى يؤرخ له بتاريخ اعتلاء البابا شنودة لكرسى مارمرقس . وفى الكتاب الأول يشرح المؤلف الكيفية التى تطور بها الخطاب الكنسى فى مصر حتى وصل إلى خطاب « المعارضة السياسية » الذى تمثل فيما أطلق عليه البابا شنودة « العنف السلبى » وهو التعبير الذى استخدمه البطريرك فى رسالة له عنوانها « الحروب الروحية » . لقد اتجهت الكنيسة إلى أداء دور سياسى تحت قيادة الأنبا شنودة ، وهو دور تزامن وبروز ظاهرة

المد الإسلامى فى مصر ، حتى يبدو كأن ظهور الأنبا شنودة والتطور الذى أحدثه فى رسالة الكنيسة كان تعبير الاستجابة لطبيعة الظرف التاريخى الذى مرت به البلاد . غير أن ثمة تزامنا آخر يظل لافتا للنظر هو أن الكنيسة المصرية كانت فى حالة اشتباك مع مجلس الكنائس العالمى فى الستينات التى تعتبر مرحلة « التحرر الوطنى » فى المنطقة . حيث كان الأنبا كيرلس البابا السابق ، من معارضى قيام الكنيسة المصرية بدور فعال فى اتحاد الكنائس العالمى رغم أن مصر كانت ممثلة فيه . وبعد سنوات « الانفتاح » التى شهدتها مصر فى السبعينات وتنامى معها النفوذ الغربى فى المنطقة ، لاحت بوادر التصالح والتقارب مع مجلس الكنائس العالمى ، وتوجت تلك العلاقة الحميمة بانتخاب الأنبا شنودة واحدا من الرؤساء السبعة للمجلس الذين يمثلون مختلف كنائس العالم .

❑❑❑

ولقد ذكر الأستاذ هيكل فى كتابه « خريف الغضب » أن الصلات التى عقدتها الكنيسة المصرية بالخارج أضافت لها احتمالات للنفوذ لم تكن موجودة من قبل . هل هو نفوذ مطلوب فى مواجهة الدولة ؟ أو أنه ثقل مطلوب فى مواجهة المد الإسلامى ؟ وما الذى يمكن أن يترتب على هذا الاحتمال أو ذاك فى المستقبل ؟

يقول فهمى هويدى إن الكنائس البروتسانتية الأوربية والأمريكية المسيطرة على مجلس الكنائس العالمى منذ إنشائه مخترقة صهيونيا بعلم الجميع ، واعتمادها على التوراة كنص دينى له نتائجه الخطيرة من وجهة النظر العربية .

ويقول أيضا إن علاقة مجلس الكنائس العالمى بالمخابرات المركزية

الأمريكية التى أشار إليها الأستاذ هيكل تواتر الحديث عنها فى مصادر عدة ، ودور مجلس الكنائس العالمى فى دعم حركة التمرد فى جنوب السودان يذكر عادة فى هذا السياق .

وأخيرا يقول فهمى هويدى : إن البطريرك المصرى رمز مقدر ومحترم ، وهو فوق الشبهة ما فى ذلك شك ، لكن تلك الملابسات يتعذر تجاهلها وجميعها تستحق المراجعة والتفكير .

❑❑❑

ولم يكن فهمى هويدى وحده الذى أثار هذا الموضوع منذ عام ١٩٩١ ، ولكن الموضوع ظل مثارا طوال هذه السنوات بنفس الأفكار ولكن بصياغات مختلفة إلى أن أصدر القس إبراهيم عبد السيد كتابا بعنوان « أموال الكنيسة القبطية » فى يونيو ١٩٩٧ أشار فيه أيضا إلى مقال البابا شنودة فى مجلة مدارس الأحد فى ١٩٥١ بعنوان « رأينا فى اتحاد الكنائس » وركز على فقرة قال فيها البابا شنودة : « إن التقارب بين الكنائس يجب أن يكون هدفه الوحدة لا الاتحاد ، فالاتحاد هو ربط عناصر متفرقة برباط واحد ، أما الوحدة فهى أن يصير الجميع واحدا كما يقول السيد المسيح ، وبالتأكيد تتنافى الوحدة مع التناقض ، فهل يريد هؤلاء جميعا إن كانوا يسعون إلى وحدة الإيمان والتعليم أن يبحثوا معنا كل ما بينهم من اختلافات ويصلوا فيها إلى رأى واحد ، أو هم يريدون وحدة شكلية تضم عددا وفيرا من المتناقضات ؟ فإن الوحدة المطلوبة يجب ألا تتم إلا على أساس سليم من وحدة الإيمان والتعليم .

ويضيف القس إبراهيم عبد السيد أن مجلس الكنائس العالمى يدفع الكنائس

التى ترتبط به إلى التدخل فى سياسة بلادها ، كما أنه يزعزع ولاء الكنيسة للوطن ، ولذلك ظلت الكنيسة المصرية بعيدة عن عضوية هذا المجلس ، ولو أن مندوبها كان يحضر الجلسات بصفته مراقبا وليس عضوًا حتى نهاية عهد البابا كيرلس السادس سنة ١٩٧١ ، ثم تطورت الأمور سريعا حيث اندمجت الكنيسة المصرية تمامًا فى هذا المجلس كعضو كامل وعامل ثم اختيار بطريركها واحدًا من رؤسائه .

وتساءل القس إبراهيم عبد السيد : ما تفسير الكنيسة لهذا التغير فى المواقف ؟ وإن كانت الإجابة هى الحصول على المعونات التى ترد من هذا المجلس بسخاء فأين تذهب هذه المعونات ؟ وما هى حسابات الإيرادات والمصروفات لهذه المعونات فيما مضى من سنوات ؟

كل هذا أضعه أمام البابا شنودة ..

فماذا يقول .. ؟

❑❑❑

يقول البابا :

أولا مجلس الكنائس العالمى هو أكبر وأقدم المجالس المسكونية الحالية ، والكنيسة القبطية المصرية عضو مؤسس فيه منذ سنة ١٩٤٨ . والجمعية العمومية لهذا المجلس هى التى اختارت البابا شنودة أحد رؤساء المجلس ، كما أن للكنيسة القبطية مقعدًا دائما فى اللجنة المركزية لهذا المجلس منذ تأسيسه .

ويقول البابا :

ثانيا : إن كنيستنا لها دور فى مجالات متعددة وليس مجلس الكنائس

العالمى وحده . فالكنيسة القبطية قامت بدور كبير فى تأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط ليحل محل مجلس كنائس الشرق الأدنى الذى كان مقصورًا على الكنائس الإنجيلية بالمنطقة . وللكنيسة المصرية ثمانية أعضاء فيه وعقد مؤتمره الأول فى قبرص سنة ١٩٧٤ وأصبح مجالا للتعاون بين جميع كنائس المنطقة فى التنمية البشرية ، والإعلام ، والحوار اللاهوتى ، إلى جانب تعريف الكنائس الأخرى فى العالم بقضايا الشرق الأوسط ، وتقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين ، ومساعدة ضحايا الكوارث فى بلاد المنطقة .

وقد تم اختيار البابا شنودة رئيسا للمجلس فى نوفمبر ١٩٩٤ ورأس الجمعية العمومية فى ليماسول بقبرص ، وشارك فى افتتاح المقر الجديد لمجلس كنائس الشرق الأوسط فى مصر الجديدة بالقاهرة .

وقبل ذلك عقدت اجتماعات اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط فى دير الأنبا بشوى فى وادى النطرون .

فلماذا لم يعترض أحد على دورنا فى مجلس كنائس الشرق الأوسط .. ؟

❑❑❑

ويقول البابا :

الكنيسة القبطية أيضا عضو مؤسس لمجلس كنائس كل أفريقيا ، ولها مقعد نائب الرئيس منذ تأسيسه حتى الآن ، وقد زرت مقر المجلس عند زيارتى إلى كينيا فى أكتوبر ١٩٧٩ وزرته أيضا فى رحلتى الثانية إلى كينيا فى يناير ١٩٩٤ وقال السكرتير العام للمجلس فى كلمة الترحيب : إن

الكنيسة القبطية المصرية هى أم الكنائس فى أفريقيا وعن طريقها دخلت المسيحية إلى هذه القارة فى القرون الأولى للمسيحية .

وقد قمنا باستضافة مؤتمر كنائس أفريقيا وكنائس الشرق الأوسط معا فى يونيو ١٩٧٤ لتقوية الصلات بين المسيحيين فى أفريقيا والشرق الأوسط . واجتمعت اللجنة العامة لكنائس كل أفريقيا فى القاهرة فى فبراير ١٩٧٦ وكذلك فى فبراير ١٩٨٣ بحضور ١٠٨ أعضاء و ١٥ مجلسًا مسيحيًا .

فلماذا لم يفكر أحد فى الاعتراض على ذلك .. ؟

ومع امتداد وانتشار الكنيسة القبطية المصرية تأسست لها كنائس فى كل قارات العالم ، وأصبحت عضوا عاملا فى كثير من مجالس الكنائس القومية والإقليمية والمحلية فى الولايات المتحدة وأوربا واستراليا وأفريقيا . ومن هذه المجالس : المجلس القومى للكنائس بالولايات المتحدة ، ومجلس كنائس استراليا ، ومجلس كنائس المانيا ، كما أسسنا منظمة للكنائس الأفريقية المستقلة ، وأقمنا لها مؤتمرًا فى نوفمبر ١٩٧٨ بحضور ٧ دول أفريقية .

○ ألا يدل ذلك على أن الكنيسة القبطية لها دور فى العالم كله ؟ .

ومع ذلك نناقش موضوع مجلس الكنائس العالمى .

□□□

يقول البابا :

هل هناك خطأ فى أن يكون ممثل الكنيسة القبطية أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى بدلا من أن يكون عضوا فى اللجنة المركزية أو اللجنة التنفيذية فقط .. ؟ هل المهم هو الاشتراك أو عدم الاشتراك أو هو درجة التمثيل فيه .. ؟ ما دمنا مشتركين فى هذا المجلس منذ إنشائه فلماذا نبقى فى دور

المراقب ؟ ولماذا لا يكون لنا فيه دور فعال ومؤثر ؟ .. ومجلس مثل هذا تشترك فيه أكثر من ٣٠٠ كنيسة من أكثر من ١٠٠ دولة هل من الصالح أن نغيب عنه .. بينما الكنيسة الكاثوليكية ليست عضوا فيه ولكن لها مراقبون يحضرون جلساته ، كما يدعى للجلسات ممثلون لعديد من الأديان .. ونحن نحرص على أن تكون مصر ممثلة فى الهيئات العلمية أيا كان نوعها سياسية أو اجتماعية أو علمية .. فهل من الضرر أن تكون مصر ممثلة فى هيئة دينية عالمية لها صلة بالأمم المتحدة مثل مجلس الكنائس العالمى ؟ .

يقول البابا :

ما الضرر فى أن تكون مصر عضوًا مؤثرًا فى مناقشات وقرارات مجلس الكنائس العالمى .. ؟

يقولون : إنه حدث تغيير فى موقف الكنيسة القبطية من الرفض إلى القبول وأنا أقول : لم يحدث تغيير .. الكنيسة القبطية كما هى عضو فى هذا المجلس خلال عهود ثلاثة من البطاركة : البابا يوساب الثانى حتى سنة ١٩٥٦ ، والبابا كيرلس السادس حتى آخر سنة ١٩٧١ ، ثم البابا شنودة الثالث . إذن فليس صحيحا أن الكنيسة كان لها موقف ضد المجلس وعلاقتها به لم تنقطع .

□□□

ويقولون : إن مجلس الكنائس العالمى يدفع الكنائس للتدخل فى الشئون السياسية فى بلادنا ..

ويقول البابا :

لقد صدرت مجموعة من النشرات فى سنة ١٩٦٢ كانت تضم نصف

الحقيقة ، أما النصف الآخر للحقيقة فهو أن البابا كيرلس السادس شكل لجنة لفحص الأمر مع كبار رجال الأقباط ورجال الدين ، وكشفت اللجنة زيف الاتهامات التى وردت فى تلك النشرات ، وردت اللجنة على هذه الاتهامات فى كتيب من ٣٢ صفحة ، وكان الإنصاف يقتضى على من يشير إلى المنشورات التى كانت تحمل الاتهامات أن يشير أيضا إلى تقرير اللجنة وردها على هذه الاتهامات .

وماذا يقول البابا شنودة على ما يثار من أن مجلس الكنائس العالمى هو الذى يدفع الكنائس إلى التدخل فى شئون بلادها وممارسة الضغوط السياسية ؟

– هذا كان يقال فى سنة ١٩٦٢ وكان المقصود به هو مندوب الكنيسة القمص مكارى السريانى ، وبعد النشرات التى تضمنت هذه الأقوال وغيرها رقى القمص مكارى إلى أسقف فى أواخر سبتمبر من نفس السنة وهو الأنبا صموئيل مما يدل على أن قداسة البابا كيرلس السادس لم يتأثر مطلقا بما ورد فى هذه النشرات ، واستمر الأنبا صموئيل فى تمثيل الكنيسة القبطية فى المجلس بإذن البابا كيرلس إلى حين وفاته عام ١٩٨١ . وأود أن أضيف أنه لو كانت الدولة قد ارتأت أن لعلاقة الكنيسة بمجلس الكنائس العالمى أبعادا ضارة لكان موقفها قد اختلف .

ويضيف البابا شنودة :

تاريخيا معلوم أن مجلس الكنائس العالمى عندما وقع الاعتداء الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ كان له موقف ضد العدوان ، وأصدر رئيس مجلس الكنائس العالمى ، ونائب رئيس اللجنة المركزية ، والسكرتير العام للمجلس ، قـــرارا بإدانة العدوان ، أبلغته برقيًا إلى الكنائس الأعضاء فى

٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكان من نتيجة ذلك أن ثار الضمير المسيحى ضد دول العدوان ، فقامت الكنائس واحتجت على العدوان ، وأرسل المجلس معونات إلى أهالى بورسعيد ، وأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بإعفاء هذه المعونات من الرسوم الجمركية معربا عن التقدير لمجهودات مجلس الكنائس العالمى .

وقال البابا أيضا :

إذا كانت هذه النشرات التى يرجع تاريخها إلى عام ١٩٦٢ قد اتهمت مجلس الكنائس العالمى بأنه يدفع الكنائس الى التدخل فى شئون بلادها ، فإن الأنبا شنودة لم يكن هو بابا الكنيسة فى ذلك الوقت ، بل كان راهبا يعيش فى مغارة فى الجبل .

□□□

وماذا عن اتهام مجلس الكنائس العالمى بأنه واقع تحت تأثير قوى الصهيونية العالمية وأنه مخترق من الصهيونية منذ سنوات طويلة ؟

يقول البابا شنودة :

لو كان ذلك صحيحًا لما أدان المجلس عدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ . ومن جهة أخرى فإن مندوب الكنيسة القبطية فى مجلس الكنائس نجح عام ١٩٥٤ فى إقناع المجلس بشطب اسم إسرائيل من تقارير المؤتمر واستجاب المؤتمر ، وكذلك نجح فى شطب عبارة « شعب الله المختار » فى مؤتمر المجلس فى نيودلهى سنة ١٩٦١ ، وأقنع مندوب الكنيسة المصرية المجلس بأن اسم إسرائيل فى كتب العهد القديم لاعلاقة له مطلقا بإسرائيل الحالية ككيان سياسى .

□□□

وماذا عن قرار مجلس الكنائس العالمى بتبرئة اليهود من دم المسيح وهو القرار الذى استند إليه الفاتيكان فيما بعد وأصدر قرارا من جانبه بنفس المضمون ؟

يقول البابا شنودة :

هذا ماقام به كاردينال كاثوليكى من ألمانيا ربما بدافع عقدة الذنب التى يعانى منها الألمان تجاه اليهود ، وكان المقصود بذلك القرار أن اليهود الحاليين لاعلاقة لهم بذنب آبائهم منذ أكثر من ١٩ قرنا ، ولا أحتاج إلى أن أعيد القول بأن الكنيسة المصرية عقدت مؤتمرات كنسية عديدة هاجمت فيها اليهود ، وحملتهم هذا الوزر . وهذه المؤتمرات مسجلة ، وموقفنا واضح وثابت لم يتغير إلى الآن ونكرره فى كل مناسبة ، ونحن فى مصر نقول : إن اليهود الحاليين لا يمكن تبرئتهم إلا إذا اعترفوا بذنب آبائهم القديم ، فإذا لم يعترفوا فهم مشاركون فى هذا الذنب .

ثم قال البابا :

أود أيضا أن أشير إلى أننى القيت محاضرة فى نقابة الصحفيين المصريين سنة ١٩٦٥ وكنت أسقف التعليم وقت أن كان النقيب الأستاذ حافظ محمود ، وكان موضوعها : « إسرائيل فى رأى المسيحية » هاجمت فيها إسرائيل بكل قوة وطبعت هذه المحاضرة ووزعت على نطاق واسع .. وعندما صرت بطريركا فى نوفمبر ١٩٧١ دعيت لإلقاء محاضرة فى نقابة الصحفيين أيضا عن إسرائيل ، وكان النقيب هو الأستاذ على حمدى الجمال ، وهاجمت إسرائيل بأسانيد من الكتاب المقدس تبين عدم صحة إدعاءاتهم . وأتذكر أننى حين كنت فى واشنطن عام ١٩٧٧ قابلت الرئيس الأمريكى جيمى كارتر

في البيت الأبيض يوم ٩ أبريل وسألنى هل صحيح أننى قلت : إن اليهود ليسوا شعب الله المختار ؟ فقلت له : نعم اليهود ليسوا شعب الله المختار الآن ولو كانوا هم شعب الله المختار فلن نكون من شعب الله أنا وأنت ! فابتسم الرئيس كارتر واكتفى بهذه الإجابة ، وموقفنا من رفض الذهاب إلى القدس لزيارة أراضينا المقدسة بسبب خلافنا مع اليهود هو أمر معروف ولم تؤثر علينا الضغوط من أى جهة .. فمن الذى يستطيع أن يقول : إن الصهيونية لها تأثير علينا ؟

وكيف قبلتم قرار مجلس الكنائس العالمى بتبرئة اليهود من دم المسيح ؟

يجيب البابا شنودة :

ما حدث ليس مفهوما على النحو الصحيح .. أولاً من غير المعقول أن مجلس الكنائس يبرئ اليهود من دم المسيح .. كل ما حدث هو ضجة من الكاردنيال الكاثوليكى الألمانى علما بأن الكاثوليك ليسوا أعضاء فى مجلس الكنائس .. وهناك فرق بين أن يقول أحد الحاضرين مايشاء فى اجتماعات المجلس حتى ولو كان صاحب الرأى عضوا وبين أن يصدر عن المجلس قرار .. الحاضر أو العضو حر .. يستطيع أن يعبر عن رأيه الخاص . كما يشاء دون أن يكون هذا الرأى محسوبا على المجلس ، ولا يعتبر كل رأى يقال فى المجلس قرارا صادرا عنه ، وفوق ذلك ليس معقولا أن يتأثر الكاثوليك بما يصدر عن مجلس الكنائس حتى لو صدر عنه قرار لأنهم ليسوا أعضاء فى المجلس ، وعندما يثير كاردينال كاثوليكى مشكلة كهذه فهى تمس موضوعا ضد إيمان المسيحيين فى العالم ، ولا يجوز أن تلصق بمجلس الكنائس وليس للكاثوليك عضوية أو مشاركة فى القرارات .

❑❑❑

كيف نثق فى أن مجلس الكنائس العالمى ليس له دور سياسى .. ولا يحرك الكنائس فى إطار استراتيجية سياسية مرسومة له ؟

يقول البابا شنودة :

دستور مجلس الكنائس صريح فى النص على أنه لا يتدخل فى شئون الكنائس ، ولكل كنيسة أن تقبل أو ترفض قراراته ، ولا يتدخل فى الشئون السياسية .. وقرارات هذا المجلس ليست قرارات بالمعنى المعروف ولكنها فى حقيقتها توصيات غير ملزمة إلا لمن يريد أن يلتزم بها .. دور مجلس الكنائس ينحصر فى الأعمال الإنسانية مثل الدفاع عن حرية الإنسان ، وإعانة اللاجئين ، والمساعدة فى الإغاثة فى حالات الكوارث ، والدفاع عن الشعوب التى تقاسى من التفرقة العنصرية أيا كان جنسهم أو دينهم ..

وفى هذا الإطار قدم مجلس الكنائس معونات إلى الجزائر والمغرب .

وكيف أصبح البابا شنودة أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى .. بعد أن كانت الكنيسة المصرية مجرد مراقب وليست عضوا ؟

يقول البابا :

إن اختيار رؤساء المجلس يتم بالانتخاب ، وفى اجتماع الجمعية العمومية فى كانبرا كان حاضرا أكثر من الف عضو ، وكانت كنيستنا مجرد عضو فى الجمعية العمومية من ثلاثين عضوا ، وكان لابد – حسب تقاليد المجلس – أن يكون هناك من بين رؤساء المجلس من يمثل الشرق الأوسط ومن يمثل الكنائس الشرقية القديمة ، وفى الدورة السابقة كان يمثل الشرق الأوسط البطريرك إغناطيوس بطريرك الروم الأرثوذكس فى إنطاكية ، ويمثل الكنائس القديمة المطران جرجيوس بنيودلهى ، والرؤساء والقيادات

يتغيرون كل سبع سنوات ، لذلك وقع الاختيار فى هذه الدورة على بابا الإسكندرية .

وقال البابا :

– لم يكن اختيارى وحدى .. ولكن تم أيضا اختيار البطريرك باثينوس بطريرك الروم الأرثوذكس بالإسكندرية ضمن رؤساء مجلس الكنائس العالمى ممثلا للعائلة الأخرى من الأرثوذكس .. فلماذا التركيز على البابا شنودة وحده ؟.. وهل لو تجاهل مجلس الكنائس بابا الإسكندرية كان ذلك أمرًا يرضى ويريح الذين يثيرون الزوابع ؟

هل يكفى ذلك لنغلق ملف مجلس الكنائس العالمى ولو مؤقتا ..

❑❑❑

خـــاتمة

الحديث عن الوحدة الوطنية فى مصر ليس من أغانى الشعراء ، ولكنه حقيقة تعيش بيننا منذ سنوات طويلة ، والذين يحاولون إيجاد تفرقة بين المسلمين والأقباط يصابون دائما بالفشل عبر التاريخ .. لأن الشعب المصرى شعب واحد .. من أصل واحد .. ليس فيه أقليات عرقية مثل الزنوج فى أمريكا القادمين من أفريقيا بينما أغلبية الأمريكيين قادمون من أوروبا ، فكل من يعيش فى مصر مصرى .. والهجرات الوافدة إلى مصر عاشت واندمجت وذابت فى بوتقة هذا المجتمع .

حين تسير فى الشارع لا تستطيع أن تميز بين المسلم والقبطى .. السحنة واحدة ، واللهجة واحدة ، وأسلوب الحياة والعادات والتقاليد الاجتماعية واحدة ، ويدهش الأجانب حين يرون أقباطا يحتفلون بشهر رمضان ، ويرون مسلمين فى مولد العذراء أو مار جرجس .. ويدهشهم أكثر أنهم يسمعون عن معارك أو خلافات بين الأقباط والمسلمين وعندما يأتون إلينا يبحثون عن أحياء الأقباط فلا يجدونها ، ويجدون الأقباط مع المسلمن فى شوارع واحدة ، وبيوت واحدة ، ويجدون المسلم والقبطى شريكين فى تجارة أو زراعة .

هذه هى مصر .. وهذه هى عبقرية المصريين .. أنهم اكتشفوا مبكرا جوهر العقيدة كما أرادها الله ، وهى أن الدين لله والوطن للجميع . أو كما قال لى البابا شنودة يوما : إن من صفات الله الدائمة العطاء ، فهو المعطى على

الدوام ، وبسخاء .. يعطى الكل .. ويشبع كل حى من غناه .. ويشرق على الأبرار ، ويمطر الصالحين والطالحين .. يعطى العصفور الهائم فى الجو ، ويعطى الدودة التى تدب تحت حجر .. يعطينا فوق مانطلب ، ويعطينا دون أن نطلب .. يعرف مانحتاج إليه بروح الأبوة ويقدمه لنا سواء كنا نصلى من أجل ذلك أو لانصلى .. وقد نصلى ولا نأخذ ؛ لأن الله يعطينا ما هو صالح لنا وليس مانطلبه ، فكثيرا مانطلب أمورا ليست متفقة مع مشيئته ، ولا توافق تدبيره الإلهى الذى ضعه لخيرنا ..

هذا هو الله .. فلماذا نعترض على مشيئته .. ولماذا نريد أن نغير ما أراده ؟ لقد أراد أن يخلق التراب قبل أن يخلقنا .. ثم خلقنا جميعا من هذا التراب ونفخ فيه نسمة حياة .. كل البشر إذن من مادة واحدة هى التراب .. ما معنى هذا .. أليس معناه أنه مادام الخالق واحدا ، وكل المخلوقات من مادة واحدة ، أن هناك صلة بين الله وكل البشر .. هى صلة المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق ، وهناك أيضا صلة تربط بين المخلوق وسائر المخلوقات ، وهى أنها جميعا من تراب .. ومادام الصانع واحدا ، والمصنوع جاء على إرادته ، فلماذا لا يعيش كل البشر فى محبة .. يختلفون فى أشياء كثيرة ، ولكنهم يتفقون فى شىء واحد هو الجوهر .. وهو أن كل البشر هم عبيد الله وصنائعه ، خلقهم ليعبدوه كل بطريقته .

وقال لى قداسة البابا أيضا : إن المسيحيين يسمَّون فى القرآن أهل الكتاب . ويقول القرآن : ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله﴾.

والقرآن يفرق بن علاقة المسلمين باليهود وعلاقتهم بالأقباط فى الآية : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ .

وقال لى البابا : إن عقيدة التثليث عندنا لا تعنى أننا نؤمن بثلاثة آلهة ، ولكن نحن نؤمن بإله واحد ، وعبارة الأب والابن والروح القدس عندنا تعنى تفاصيل الذات الإلهية الواحدة : عقل الله (الابن) وروح الله (الروح القدس) وكلها كيان واحد مثلما نقول إن الذات الإنسانية لها عقل ، ولها روح ، وهما فى كيان واحد ، فهذا التعبير لا يعنى تعدد الآلهة ، والمسيحية تُكَفّر من يقول بتعدد الآلهة ، ولا توافق على التعدد الذى كان موجودا عند قدماء المصريين مثل إيزيس وأوزوريس وحورس وكل منهم كيان مستقل ، وهذا حاربه الإسلام ، ولاعلاقة له بالمسيحية ، وأن الله لن يكون له ولد ، ولن تكون له صاحبة ، ولا يمكن أن نؤمن بأن الله – حاشا لله – له ولد من صاحبة ، وإن كان البعض فهم هذا من بعض التفسير الخاطئ ، وفى القرآن دليل على ذلك : ﴿وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك﴾ .

وقال البابا أيضا :

– الخلافات فى العقائد لم تمنع المسلمين والأقباط من أن يعيشوا معا فى اندماج كامل ، وليس هذا غريبا .. فالدولة لها علاقات كثيرة مع دول كثيرة ليست مسلمة ، وبينها تعاون فى نواح كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، فإذا كان المسلمون لايتعاملون إلا مع المسلمين فقط ، فهل سيفقدون علاقاتهم الدولية .. والمسلمون يختلفون فيما بينهم .. فهل يقاطعون بعضهم بعضا .. ولو أن كل طائفة تعبد الله تُكفّر كل طائفة أخرى تختلف معها فى طريقة عبادة الله فمن يبقى مستحقا لصفة الإيمان ؟

وقال :

– المصريون عاشوا معا .. فى عهد سعد زغلول كان يرشح مسيحيا فى دائرة كلُّها مسلمون فينجح ، ويرشح مسلما فى دائرة أغلبها مسيحيون فينجح ، لأنه كانت تسود الروح الوطنية ، وكان الناس يختارون الصالح أيا كان دينه ، وكان نجاح الأقباط فى الانتخابات ظاهرة صحية تدل على أن الجو طبيعى .

وقال :

– هناك نقطة مهمة تتعلق بدور العلمانيين ورجال الدين .. نحن نرحب بدور العلمانيين بما فى ذلك داخل الكنيسة ، وكلمة العلمانيين عندنا تعنى كل من هم ليسوا من رجال الدين ، ولكن لانريد أن يسيطر العلمانيون على الكنيسة ، وعلى رجال الدين ، فهذا مالا أوافق عليه .. يعملون داخل الكنيسة ما يريدون ، ولكن لايحكمونها ولا يحكمون رجال الدين ، فهؤلاء بالنسبة لهم آباء روحيون ، فكيف يمكن للابن أن يحكم أباه الروحى ؟ ولذلك كل كنيسة بالقاهرة لها مجلس كنيسة من غير رجال الدين يسمون خدام التربية الكنسية ، أو مدارس الأحد ، وكل الذين يقومون بالخدمة الاجتماعية بالكنيسة علمانيون رجالا ونساء ، وكل قادة أنشطة الكنيسة علمانيون ، ولكن العمل الكهنوتى للكهنة فقط .

وقال البابا :

– إنهم يتحدثون كثيرا عن سلبية الأقباط ، وأنا أقول : إنه لو وجد الأقباط ترحيبا وقبولا سيشاركون بإيجابية ، وإذا لم يجدوا قبولا فمن الطبيعى أن ينطوى كل واحد منهم على نفسه .

وحين قلت له : إن الأقباط يعرفون كل شيء تقريبا عن الإسلام ، ولكن المسلمين لايعرفون شيئا عن المسيحية .. إنهم فقط يشاهدون كنائس ويسمعون تراتيل ، ولايعلمون مايجرى داخل الكنيسة .

أجابنى :

إن ذلك ليس تقصيرًا منا .. لأن من يريد أن يعرف الكنيسة المصرية من الداخل يمكنه أن يعرفها بكل تفصيل من القوانين الكنسية التى تحدد للأقباط علاقاتهم فيما بينهم ، وعلاقتهم بالكنيسة والدولة ، وهذه القوانين جمعها المستشار الدكتور عونى برسوم – وهو زميل دراسة – وجعلها مادة للدراسة فى الكلية الإكليريكية .

هذه القوانين الكَنسيّة – كما يقول الدكتور عونى برسوم – لا صلة لها بأمور العالم التى يتصارع من أجلها الناس بحثًا عن مجد أو سلطة أو شهرة أو حقوق أو كيانات مادية[1] .

واستطرد قداسة البابا يقول :

أذكر أن مجلة الهلال أرادت إصدار عدد خاص عن القرآن . وطلبت منى أن أكتب مقالا فيه ، فكتبت مقالا بعنوان : « القرآن والمسيحية »[2] . أعجب به كثير من المسلمين ، ولكن إحدى المجلات هاجمتنى وهاجمت المقال ، وسبب لى ذلك ألما كبيرا .

وقال :

---

(١) تعريف بالقوانين الكنسية ملحق (٤) .

(٢) نص المقال ملحق (٥) .

– إن كثيرا من رجال الدين المسلمين متفقون على أن هناك نقاط اتفاق كثيرة بين الإسلام والمسيحية ، وأذكر أن الرئيس السادات بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير دعانا لاجتماع فى قصر عابدين فى فبراير ١٩٧٧ ، وقلت فى هذا الاجتماع : إن البُعد جفوة فلماذا لانجتمع كلنا ، ونشارك فى عمل موحد للترابط بين المسلمين والمسيحيين ، ونصدر كتبا مشتركة حول الأمور المشتركة والتى ليس بيننا فيها خلاف وهى أمور كثيرة ، ونقف معا ضد الملحدين . نحن متفقون فى الأدلة على إثبات وجود الله ، وفى أسماء الله الحُسنى وصفاته ، ومتفقون فى الفضائل والأخلاق والقيم الاجتماعية ، ومتفقون تماما فى القضايا الوطنية . وفى لقاء مع الرئيس السادات تحدثت عن التاريخ الإسلامى وعن السماحة فى الإسلام والمسيحية ، وعن موقف المسيحيين فى مصر ضد الحروب الصليبية ، وكان موقفا وطنيا .. وتحدثت عن سماحة الإسلام منذ فجر الإسلام وعبر عصور طويلة .

وقال البابا :

– لقد بدأت بإقامة احتفالات بشهر رمضان داخل الكاتدرائية نلتقى فيها مسلمين ومسيحيين ، وانتشرت هذه الاحتفالات وموائد الإفطار فى المطرانيات والكنائس فى المحافظات وفى أحياء القاهرة وهى دليل على ما بيننا وبين إخوتنا المسلمين من عوامل القربى والصلة والمودة والمحبة .. وفى كل رمضان ألتقى مع الإمام الأكبر أربع مرات على موائد الإفطار .. فالروح القومية موجودة وتظهر فى المواقف الشديدة مثل حرب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ ومثل أحداث السيول والزلزال ، ونحتاج إلى تأكيدها .

هكذا تحدث البابا شنودة .

وهناك مواقف فى التاريخ تشهد بأن الأقباط فى مصر كانوا مصريين قبل أن يكونوا أقباطا . فى الحروب الصليبية أيام حكم العباسيين رفض الأقباط إدعاء الصليبيين بأنهم جاءوا بالغزو لحماية الأقليات المسيحية ، وفي الحكم الفاطمى كان للأقباط امتيازات كثيرة.، وكان منهم الوزراء والقادة والحكام ، وعندما حكم محمد على أعطى الأقباط فرصة المشاركة فى الحياة العامة بدور بارز ، وحين أصبح على مبارك وزيرا للتعليم ظهرت مدارس الأقباط التى تعلم فيها جيل من المسلمين والأقباط كان من بينهم مجموعة من السياسيين وزعماء الرأى العام ، ومنهم اثنان من رؤساء الوزارات تخرجا فى المدارس القبطية هما عبد الخالق ثروت ، وحسين رشدى .. ولازال التاريخ يذكر فشل الاستعمار البريطانى فى إيجاد التفرقة بين المسلمين والأقباط فى مصر ، وفشل سياسة « فرق تسد » .

وفى كتاب الدكتور مصطفى الفقى الشهير « الأقباط فى السياسة المصرية » دراسة علمية موثقة عن تاريخ الأقباط فى مصر نال بها الدكتوراه من جامعة لندن ، ودراسة لشخصية مكرم عبيد على أنه الشخصية التى تعكس الدور الوطنى فى الحياة السياسية المصرية . وإن كانت مشاركة الأقباط فى العمل الوطنى والحياة السياسية قبل ذلك عندما توجه سعد زغلول واثنان من زملائه لمقابلة المندوب السامى البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وبعد أيام عقدت مجموعة من علية القوم اجتماعا ناقشوا فيه حقيقة أنه لم يكن بين الزعماء الثلاثة قبطى واحد ، وكان من الحاضرين فخرى عبد النور ، وويصا واصف ، وتوفيق أندراوس ، فقرروا مقابلة سعد زغلول وإثارة مسألة خلو الوفد من عناصر قبطية ، فطلب منهم سعد اختيار واحد ليمثلهم فى المرحلة الجديدة من الحركة الوطنية ، فرشحوا له ثلاثة أسماء : واصف بطرس

غالى باشا ، وسينوت حنا باشا ، وجورج خياط ، وأدى الثلاثة القسم أمام سعد زغلول ، وقــال سعد زغلول عبارته الشهيرة : « إن الأقباط مثل المسلمين لهم نفس الحقوق ، وعليهم نفس الواجبات ، فالمصريون جميعا سواء » .

وفي كتاب الدكتور الفقى تفصيل للمواقف الوطنية لمكرم عبيد منذ أن نفاه الانجليز مع زعماء الحركة الوطنية إلى جزيرة سيشل ، ومرضه بالملاريا ، وكان مرافقه فى المستشفى الذى يرعاه هو مصطفى النحاس ، ثم كيف أصبح مكرم عبيد الزعيم المرموق فى حزب الأغلبية ، وكيف خرج من الوفد .

والأمر فى النهاية كما انتهى الدكتور مصطفى الفقى من بحثه فإن الأقباط فى مصر طائفة فريدة ، إذا قورنت بالأقليات الأخرى فى العالم ، إذ أن جذورهم العميقة ، وأصولهم الواضحة فى دولة لها تاريخ طويل معروف جعلتهم جزءا لا يتجزأ من نسيج الشعب المصرى - بأغلبيته المسلمة - اجتماعيا وديموغرافيا ، ويوضح استقراء التاريخ أن أوضاعهم تأثرت تاريخيا بالسياسات التى ينتهجها الحكام وفقا لأسلوب كل منهم ، خصوصا أن الأقباط كانوا مصدر دخل لخزانة الولاة فى بعض الأحيان عن طريق الجزية أو الضرائب التى كانت تثقل كاهل السكان أقباطا ومسلمين .

وقد ظل الأقباط لعدة قرون بمنأى عن الحياة العامة فى مصر ، ولكن مشاركتهم بدأت تتزايد تدريجا فى قطاعات معينة بالإدارة الحكومية مع ميلاد مصر الحديثة ، فقد أصبح الأقباط - منذ الحملة الفرنسية وحكم محمد على عنصرًا فعالا ومهما فى الحكومة خاصة فى الشئون المالية والإدارية .

ويرصد الدكتور مصطفى الفقى مرحلة عصبية مرت بها العلاقة بين المسلمين والأقباط بعد وفاة مصطفى كامل بفترة قصيرة ، حين شهد الحزب الوطنى الذى أسسه تحولا ذا طابع دينى ، وكان حادث اغتيال بطرس غالى – رئيس الوزراء القبطى – السبب المباشر لبدء تلك الفترة العصبية إذ عقد مؤتمر قبطى ليقدم مطالب الطائفة إلى الخديو والحكومة ، ولم يلق هذا المؤتمر حماس كثير من الأقباط . إلى أن جاء سعد زغلول فبلغت مشاركة الأقباط فى الحركة الوطنية والحياة السياسية أعلى درجاتها .

ويذكر الدكتور الفقى أن « سيكولوجية » الأقليات عموما كما لاحظها الدارسون أن هناك بعض الخصائص المشتركة بين أفرادها .. من بينها القلق والخوف من المستقبل إلى جانب نظرة متحفظة تجاه الشئون العامة وحساسية مفرطة تجاه الأغلبية فى بعض الأحيان ، ولكن يصعب اكتشاف تلك الخصائص فى عدد من الشخصيات القبطية : أولها شخصية مكرم عبيد إذ يمثل دوره فى الحياة العامة درجة عالية من الإيجابية . ولم يكن زعيما طائفيا متعصبا .

وأستطيع أن أضيف إلى كلام الدكتور مصطفى الفقى أن شخصية البابا شنودة من هذا النوع ، فهو على درجة عالية من الإيجابية ، وهو يلعب دورا فى المجتمع المصرى كواحد من الشخصيات البارزة فى الحياة العامة غير دوره الكهنوتى باعتباره رأس الكنيسة الأرثوذكسية .

وحين سألت فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عن موقف الأزهر المعبر عن الإسلام الصحيح قال لى بكل وضوح :

– الإسلام يبدأ من حقيقة أن كل البشر من أب واحد ومن أم واحدة .

والإسلام يأمر المؤمنين أن يتعاملوا ويتعاونوا مع غير المسلمين على قدم المساواة ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ أى أن الله لم يخلق البشر مختلفين ليكون اختلافهم سببا للصراع ولكن ليكون سببًا للتعارف وتبادل المعرفة والتعاون فيما يفيد المجتمع .

والإسلام يأمر المؤمنين به بعدم إيذاء الغير حتى أن الرسول يضع مبدأ عاما يقرر فيه أن « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » ويجب أن نلاحظ أن الرسول قال (الناس) ولم يقل (المسلمين) مما يدل على أن المسلم يجب أن يسلم كل الناس من لسانه ويده بصرف النظر عن دياناتهم ومعتقداتهم وأفكارهم ، أما إذا لم يسلم الناس من لسانه ويده فيكون قد فقد الشرط الجوهرى الذى يجعله مسلما .

والإسلام لا يكره غير المسلمين ، ولكنه يمد لهم اليد ماداموا يمدون أيديهم : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ . فالعلاقة مع المختلفين فى العقيدة علاقة بر وعدل وسلام وتعاون . وتحذير الرسول لنا « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » .

والإسلام يفرض المساواة بين المسلم وغير المسلم فى الحقوق والواجبات ، على أساس المبدأ المقرر : لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والإسلام لا يرغم الناس على دخول الإسلام بالإكراه ، لأن الإكراه لايولد مؤمنين ولكن يولد منافقين .

والإسلام يتعامل مع غير المسلمين بالمودة والإنصاف ، ولا ننسى أن الرسول أمر أول جماعة من المهاجرين بالهجرة إلى الحبشة فوجدوا الأمان

عند النجاشى ملك الحبشة المسيحى ، ولم يجدوا عنده غدرا ، ولا مكرا ، ولا عـداوة . ولا ننسى أن السيدة مارية القبطية كانت لها مكانة عند الرسول . ولا ننسى أن الرسول كان يتعامل مع المسيحيين واليهود دون تفرقة بسبب الدين ، ولم يحارب اليهود إلا عندما نقضوا العهد وبدأوا بالعدوان .

والإسلام دين حضارة ، ومساواة ، وحرية .. فكيف نقبل أن يشوه البعض صورته ويظهره فى صورة التصعب أو عدم قبول الآخر ، والله يأمر المسلمين فى كتابه : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم آله واحد ونحن له مسلمون﴾ .

والإسلام وصل فى رقى المعاملة إلى حد أن أمر أتباعه بحماية الكافر إذا استجار بالمسلم : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ .

والإسلام يقارب بين أهل الأديان فى كل مجال للحياة المشتركة :﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ .

وإذن فعلاقات المسلمين بغير المسلمين قائمة على الإخاء وتبادل المنافع وعلى المودة حتى أن الإمام « القرافى » أفتى بأنه إذا عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلد واحد واعتدى مسلم على واحد منهم ولم يخرج المسلمون لنصرة صاحب الحق فإنهم بذلك يكونون قد خانوا أوامر دينهم ويجب عزل الحاكم الذى قصر فى ذلك ، لأن المسئولية مشتركة .

وأخيرا قال لى فضيلة الإمام الأكبر :

– تجمعنى مع البابا شنودة صداقة ، ونحن نتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان . ونلتقى كثيرا وفى كل مرة أجد تقاربا فيما بيننا حول الفضائل والأخلاق والمعاملات .. وأثق أن هناك أمورا كثيرة مشتركة بين المؤمنين بالله الذين يعبدونه بإخلاص مهما اختلفت دياناتهم وعقائدهم .. كما أننا نتفق على أن لنا رسالة مشتركة فى مواجهة موجات الإلحاد التى تنتشر فى الخارج ونخشى على شبابنا منها .

واختتم فضيلته الإجابة ببيت شوقى :

الديـن للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأديان

❑❑❑

ملاحق

ملحق رقم (١)

أقبــاط مصر ليســوا أقليــة . . .
وإنما جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية

بقلم : محمد حسنين هيكل

عزيزى الأستاذ جمال بدوى ..

إنك تفضلت وسألتنى عندما التقينا آخر مرة عما إذا كنت سوف اشترك فى مؤتمر عن حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط يقام فى القاهرة أواسط الشهر القادم ؟ .. وأجبتك بالنفى .. وأبديت استغرابك لأنك رأيت اسمى مطبوعًا ضمن قائمة المشاركين فى هذا المؤتمر . وحين قلت لك : إننى مثلك استغربتُ قراءة اسمى ضمن قائمة المشاركين مرفقة ببطاقة دعوة ، كان تعليقك أن حالى أفضلُ من حالك ، فأنا على الأقل تلقيت قائمة وتقليت بطاقة ، وأما أنت فقد اكتشفت أنك مشارك دون أن يبعث إليك أحدٌ بقائمة أو ببطاقة !

ولقد اتفقنا بسرعة على أن زحام المؤتمرات فى القاهرة ، واللقاءات والندوات ظاهرة صحية ، لكنها قد تكون أصح إذا ماجرى الالتزام بأصول وقواعد جديرة بأن تراعى ، وبينها المعرفة المسبقة بموضوع البحث – ما هو ؟ – وبالداعين إليه – من هم ؟ – وبالمستفيد النهائى من الجهد المبذول – ماذا يطلب ؟

إن حلقات الفكر المنظم ليست فيض فيلسوف أو تجليات صوفى ، وإنما هى جهد مركز مكثف لاستخلاص وانتزاع آراء واجتهادات تدخل أغلب الأحيان فى تشكيل مواقف وسياسات ، ومن هنا فإن الشفافية إلى أقصى درجة تصبح من حق الناس إذا كان مطلوبا منهم أن يقولوا وأن يشرحوا .

وتذكر أننا حين عرضنا بسرعة لمؤتمر حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، رابنا أمره ثم رجَّحنا حسن نية القائمين عليه ، لكننا اتفقنا أيضا على أن حسن النية قد يشفع للخطأ ، ولكن يبقى التصحيح واجبًا ؟

ولقد استوقفك واستوقفنى أحد البنود التى وردت فى جدول أعمال المؤتمر عن حقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط وكان ترتيبه كما يلى :

١ – أقليات العراق – « الأكراد مثلا » .

٢ – أقليات المغرب العربى – « البربر مثلا » .

٣ – أقليات عرب إسرائيل – « الدروز مثلا » .

٤ – أقليات لبنان – « الأرمن مثلا » .

٥ – أقليات السودان – « المسيحيون فى الجنوب مثلا » .

ثم جاء البند السادس فى هذا الجدول . فإذا هو :

٦ – أقباط مصر .

كان ذلك ما استوقفك واستوقفنى ؛ لأن أقباط مصر ليسوا أقلية ضمن أقليات العالم العربى والشرق الأوسط .. لا بالمعنى العرقى مثل الأكراد فى العراق . والبربر فى المغرب العربى . ولا بالمعنى الطائفى مثل الدورز أو الأرمن فى إسرائيل أو لبنان ، ولا بالمعنى الدينى وحده . وذلك هو سر الخصوصية المصرية طوال التجربة الإنسانية فى هذا الوطن ، كما أنه سر وحدة وتماسك الكتلة الحضارية للشعب المصرى ولعل تماسك هذه الكتلة الحضارية هو القصد المقصود فى التعبير المأثور عن اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مطالع هذا القرن ، وهو صاحب سياسة « فرق تسد » الذى لم يتمالك نفسه عند انتهاء خدمته وسفره معزولا - من أن يقول : « لم أجد فارقًا بين مسلم وقبطى فى مصر غير أن أحدهما يصلى فى مسجد والثانى يصلى فى كنيسة » .

ثم يجىء بعضنا عند مداخل القرن الحادى والعشرين ليرسم خطًا فاصلاً نتراجع وراءه مائة عام .. مئات الأعوام !

... ...

... ...

❑❑❑

دعنى أيها الصديق الكريم . أطرح عليك هواجسى :

أولا - لابد أن أعترف لك - وهذه نقطة أولية - أن بى قلقا شديدا من كثرة المبالغ المرصودة لأغراض البحوث الاجتماعية والسياسية فى مصر ، فهذه المبالغ نزيد سنويا على مائة مليون دولار . معظمها تقدمه هيئات أجنبية . والمشكلة أننا لانعرف يقينا من الممولون ، فنحن نقرأ

أسماء هيئات دولية ، لكن الأسماء كما علمتنا التجارب لاتدل بالضرورة على المسميات . ثم إننا لا نعرف أين تبدأ المقاصد ، ولا نعرف أين تنتهى النتائج ، ومانراه هو مجموعات فرق بحث تمسح البلاد بالطول والعرض والعمق ، ثم تطالعنا أوراق لاتبدو مساوية للجهد ، ثم تنزل أستار النسيان تدريجا على كل شىء ، البحث والباحثين والأوراق المكتوبة ، كأنه زر نور لمسه أصبع فاتقد ثم لمسه ثانية فانطفأ .

ولكى أكون منصفا فلابد أن أضيف أن هناك بحوثا تبدو أمامنا واضحة فى مبتدئها وخبرها . فى ظاهرها وباطنها . ومن ذلك مثلاً تلك الدراسة الممتازة عن استشراف المستقبل العربى والتى قام عليها مركز دراسات الوحدة العربيــة وغيرها وغيرها ، لكن مثل هذه الدراسات الواضحة ظاهرًا وباطنًا مجرد جـزء محدود ، فى حين أن غير المحدود هو الباقى .

وأثق أنه لا أنت ، ولا أنا ، ضد الحقيقة نتقصاها وندرسها ، لكنى لا أظنك ولا أظننى من أنصار العرى الكامل لمجتمعنا أمام عيون لانعرف نحن يقينا ما الذى تبحث عنه وتفتش عليه .

ثانيا - ونعرف معًا أننا فى عصر اشتهر بوصف عصر المعلومات ، وهو وصف صحيح . والصحيح أيضا أن وسيلة الفعل السائدة فى أى عصر تؤثر على كل ما فيه - على الزراعة والصناعة والمواصلات والحرب إلى آخره - كذلك فعل مثلا عصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الإلكترونيات ، وليس صعبًا أن نتصور تأثير عصر المعلومات فى الأمن - من الهجوم إلى الدفاع . وليس خافيا أن المعلومات أصبحت أهم أسلحة الاختراق . ومع التسليم بأننا فى عصر تستطيع وسائله أن

ترى كل شيء .. فلست واثقا أنه من حقنا أن نترك من يشاء يفتح العقول والقلوب ويطل على ما فيها ، ونحن نعلم بالطبع أن من يشاء يستطيع بوسائله أن يستكشف السطح وأن يلتقط مايريد من صور لتضاريسه ومشاهد الحركة على هذه التضاريس - لكن استكشاف العقول والقلوب لايمكن أن يتم إلا برضانا - أى إذا أتحنا للآخرين فرصة الغوص في دخائلنا ومكنونات صدورنا .

ومن حقنا نحن أن نعرف كل شيء وفي الوقت نفسه فمن المؤكد أننا لا نستطيع - ولا يجب - أن نحجب عن الآخرين كل شيء ولكن القضية أن المعرفة المتاحة لابد أن يداخلها عنصر من الحساب ، وإلا فإن الفارق بين المعرفة والاستباحة يتلاشى ويضيع ، وفي ذلك خطر وربما سمحت لنفسى أن أقول لك : إننى اطلعت على دراسة قام بها مركز أبحاث إسرائيلى عن حزام الفقر المحيط بالقاهرة ، وكان التركيز على معسكرات قوات الأمن المركزى وغيرها من القوات النظامية الواقعة داخل هذا الحزام !

ثالثا - وقد أؤكد لك مرة أخرى أننى لست من أنصار نظرية المؤامرة فى تفسير الحوادث وتأويل شواهدها ، وقد أكون من مدرسة ترى أن « التاريخ ليس مؤامرة ، ولكن المؤامرة قد توجد فى التاريخ » ، بمعنى أن حركة التاريخ تصنعها قوى اقتصادية واجتماعية وعلمية وفكرية يؤدى تلاقيها وتصادمها وتفاعلها لطبيعة دور المحرك والدافع والموجه لكننا نعرف من استقراء الماضى أن هناك مقاصد وخططا تتمنى أحيانا لو استطاعت أن تعترض الحركة الطبيعية حتى ضد قوانينها ، وهذا مفهوم ، ولعله مشروع ، فى صراعات الحياة .

وإذا تذكرنا ، ويجب أن نتذكر دواما ، أن الحاضر هو نقطة يلتقى فيها الماضى بالمستقبل . إذن لأمكننا أن نتصور أن هذا البلد مستهدف لموقعه وموضعه — على حد تعبير جمال حمدان .

ونحن نرى كيف تجرى الحرب على هذا البلد ، اقتصادية وسياسية ونفسية ، وعسكرية عند اللزوم . كذلك نرى عملية حصره وحصاره بقصد تصفية دوره وحجب تأثره فى واحدة من أهم مناطق العالم . وإذا كان ذلك صحيحا ، وأحسب أنه صحيح . إذن فإن قدرًا من الحيطة واليقظة لازم وضرورى .

رابعا — ولا أعتقد أنك تختلف معى ، أو أننى اختلف معك ، على حقيقة أن سلامة الكتلة الوطنية لهذا البلد هى أولى ضمانات أمنه وقوته .

بمعنى أنه قد يتأثر اقتصادنا فنعوّض . وقد تنحرف توجهاتنا السياسية فنصحح . وقد تختلط علينا الأفكار فنعود للصواب فى يوم من الأيام . لكنه إذا تأثرت الكتلة الوطنية لهذا البلد بخط أو حاجز أو شرخ — لاسمح الله — فإن العواقب فوق الطاقة .

وكان هذا الوطن قادرا باستمرار على سبك كتلته الوطنية ، وبها واجه تاريخه وكل مافعله به ذلك التاريخ ، وأنت عالم به ذاكر له باستمرار ، وأمامك وأمامى أسفار دوّنها واحد بعد واحد من مؤرخى مصر الكبار سجلوا خصوصية هذا الشعب الذى كان فريدًا فى قبوله لمطلقين دينيين فى نفس الوقت بفضل عملية السبك المتقنة التى جادت بها عبقرية المكان — والتعبير أيضا لجمال حمدان — أمامك كتابات ابن الحكم والمقريزى وابن إياس لترى كيف استطاع شيوخ الأزهر وبطاركة

الكرازة المرقسية أن ينجزوا مهمتهم النبيلة فى الحفاظ على الكتلة الوطنية للشعب المصرى خلال قرون مزدحمة بالطامعين والغزاة ، وبرغم هؤلاء الطامعين والغزاة جميعا فإن المسيرة النبيلة قطعت المسافة من « عهد الذمة » إلى عهد المواطنة بنجاح عزّ مثيله فى أوطان أخرى .

وتذكر وأذكر دور أحمد عرابى فى مواجهة الغزو البريطانى ووراءه شيوخ الأزهر وبطاركة الكنيسة القبطية ، ثم دور سعد زغلول فى تمتين كتلة تلك السبيكة الوطنية الصلبة فى مناخ الثورة السياسية ١٩١٩ ودور جمال عبد الناصر فى المحافظة عليها فى مناخ الثورة الاجتماعية ١٩٥٢ .

مثل قوة المواقف تسندها الجيوش والثورات - كانت قوة الكلمات حين تختزل فى حروفها خلاصة حياة الأمم وفهمها لعبر الزمان .

وتذكر وأذكر كلمة مكرم عبيد « إننى مسلم وطنًا قبطى دينًا » حين سرت فى الداخل بعض النعرات هنا وهناك !

وتذكر وأذكر كلمة القس سرجيوس « ليمت كل قبطى فى هذا البلد ولكن لتحيا مصر » حين شاء الاستعمار البريطانى أن يستبقى فى يده ادعاء المسئولية عن حماية الأقليات !

خامسا - وتدرك وأدرك أنه فى عصر تجرى فيه ممارسة السياسة بالانطباع بديلا عن السياسة بالاقتناع ، كما يحدث فى علم التسويق ، بمعنى أنه يجرى الترويج لسلعة قد لا يحتاج إليها الناس ، ولكن الإلحاح عليها يتكرر ويتكرر تطبيقا لقاعدة فى فنون الإعلان تقول : إن « نقطة الماء إذا نزلت » وباستمرار ، على نفس البقعة من كتلة الحجر فإنها

قادرة فى يوم من الأيام أن تفلقها » . وهكذا فإنه بالإلحاح والتكرار تصبح السلعة الكمالية ضرورة تكاد تستحيل الحياة بغيرها .

ومثل هذا يصنعه عصر الاتصالات فى الحياة السياسية والاجتماعية للأمم والشعوب .

خط وهمى فى البداية ثم يزداد الإلحاح ويسقط الخط الوهمى على الأرض ويشتد الضغط وإذا الخط الذى وقع على الأرض يتحول إلى رسم ، ثم إذا الرسم يتحول إلى شرخ يظهر فى البداية مثل شعرة ، ثم يجرى تعميقه إلى فلق . وإلى كسر .

واليوم نبدأ بادعاء ، ويتحول الادعاء إلى مقولة ، وتتحول المقولة إلى قضية ، وتتحول القضية إلى مشكلة ، وتتحول المشكلة إلى نزاع .

ونكتشف أنه حتى الأوهام يمكن لها أن تكتسب قدرة التجسد ، كما أن الظلال فى بعض الأحيان تتجسم . والخريطة السياسية للعالم الثالث أمامك وأمامى تغنينا عن التفاصيل لكيلا يكون من النماذج ما يوحى تعسفا بالتشابه .

سادسا – وقد تسترجع واسترجع ما سمعناه فى مرحلة علت فيها الأصوات بحديث النظام العالمى الجديد ، الذى قيل بقدرته على أن يفرض على الآخرين أحكامه ، وأن يحدد لنفسه وينتزع ويمارس اختصاصاته ، وبينها اختصاص يبيح حق التدخل لحماية الأقليات والتدخل يبدأ من إملاء الشروط السياسية إلى استخدام القوة المسلحة .

ولقد وردت نصوص من هذا الاختصاص فى بيانات صادرة عن

الأمم المتحدة ، ولم تكن هذه النصوص صادرة عن خبراء المنظمة الدولية المكلفة بحماية القانون الدولى فى صورته الأكمل ، وإنما كانت من صياغة خبراء واحدة أو اثنتين من القوى الكبرى التى لاتبحث عن الأكمل فى هذا العالم ولا تأبه له ، وإنما تبحث وتأبه لمصالحها ومطالبها الاستراتيجية ، وتنقب عن ثقب إبرة تستطيع أن تنفذ منه إلى ماترغب فيه وتقصده .

هذه هواجسى أطرحها عليك .

□□□

بعد تردد أريد أن أضيف نقطة أخرى فأقول لك : إنه أدهشنى أن يشار إلى افتتاحية لهذا المؤتمر عن حقوق الأقليات - باسم الدكتور بطرس غالى الأمين العام للأمم المتحدة .

لعلى لا أخفى عليك أننى شخصيا سعدت لانتخاب بطرس غالى أمينًا عاما للأمم المتحدة لعدة أسباب ، أولها وأهمها أنه مصرى قبطى . أقر أمامك أننى فى البداية لم أكن متحمسا لترشيحه ، وكان ميلى أقرب إلى واحد من منافسيه في ذلك الوقت وهو الأمير صدر الدين أغاخان ، عن اعتقاد أيامها بأنه الأكثر شبابا والأوفر خبرة بأعمال الأمم المتحدة ، ثم عن تصور بأن المنظمة الدولية فى ظروف دولية متغيرة تحتاج إلى شخصية قادرة على الاستقلال قدر ما هو ممكن . شخصية يحتاج إليها المنصب ولا تحتاج هى إليه .

وربما لا أتجاوز إذا قلت لك إننى صارحت الدكتور بطرس غالى برأيى مبكرًا جدًا ، وكان قوله لى - ونحن زملاء لثمانية عشر عاما فى

الأهرام – أنه لم يكن يفكر فى الترشيح ولا خطر على باله ، ولكن حدث أنه كان يحضر اجتماعا وزاريا أفريقيا فى زائير خصص لاختيار خمسة مرشحين للمنصب عن أفريقيا حتى تعرض أسماؤهم على مجلس الأمن فيختار منهم واحدا يقدم اسمه للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد تم اختيار الأسماء الخمسة فعلا ، ثم فوجىء بطرس غالى – طبق روايته – بأن الرئيس موبوتو رئيس زائير يشير إليه من طرف المائدة يستدعيه ، فلما وصل إليه همس موبوتو فى أذنه « بطرس .. ألا تفكر فى إضافة اسمك للقائمة ؟ » .

ولم يملك بطرس غالى غير أن يطلب فرصة الرجوع إلى القاهرة يستأذن فيما عرض عليه .

وأتذكر أننى بعد أن سمعت تلك التفاصيل من بطرس غالى قلت له : « ألا ينبغى لك أن تتشاور مع صدر الدين أغا خان ؟ » . وقال بطرس غالى : « فعلت .. اتصلت به تليفونيا سألته هل أنت مرشح ؟ ورد على بأنه لن يرشح نفسه ، وإنما هو على استعداد لقبول الترشيح فى حالة أن تطلبه الدول الأعضاء فى مجلس الأمن » .

وقتها . وقد وجدت أن صدر الدين أغا خان لن يحصل على ما يريد إذا كان ينتظر وصوله إليه على طبق فضة ، انتقلت بحماستى إلى ترشيح بطرس غالى ، وبعض هذه الحماسة كما قلت كان راجعا إلى أنه مصرى قبطى .

وبينى وبينك أقول : إن بعض الدوافع إلى تلك الحماسة ظن ساورنى بأن الرجل ، فى إطار مجمل السياسات التى اعتمدت فى مصر منذ

زيارة القدس سنة ١٩٧٧ - كان يستحق أن يكون وزيرا للخارجية المصرية ، وكان شعورى أن الذى حجب عنه هذه الفرصة مجموعة حساسيات كنت أستطيع تفهم بواعثها . وإن أدركت فى نفس الوقت قسوتها على الرجل . وحين واتته الظروف وفاز بمنصب الأمين العام للأمم المتحدة فقد أحسست أن فى ذلك تعويضا عادلا للإنسان والمواطن فيه ، بصرف النظر عن خلاف مع توجهاته السياسية والفكرية ، وهو خلاف لم يكن سرًا عليه طوال ثمانية عشر عامًا طالت إليها زمالتنا فى الأهرام .

وأشعر من بعيد أن بطرس غالى يتصور أن فى مصر معارضة لسياسته ، أو ما يقال عن سياسته فى البوسنة وفى غيرها ، وأن الداعى الرئيسى لهذه المعارضة أنه قبطى ، بل قد قال بنفسه شيئا من ذلك وكرره فى حديث تليفزيونى مع صديقنا اللامع مفيد فوزى ، وكان بطرس غالى فى ذلك على خطأ ، فقبطيته موضع فخار لكل وطنى مصرى . ثم إن نقد سياسته فى البوسنة وغيرها لم يقتصر على مصر . بل لعل نقد هذه السياسة كان أعلى وأقسى فى غير مصر ، وبالتحديد فى كثير من بلدان أوروبا ، وحتى أمريكا ذاتها . ولعلى أضيف أنه فى تقديرى مظلوم فيما وجِّه إليه . ينسى الناس أن الأمين العام للأمم المتحدة له سيد مطاع هو مجلس الأمن . كما أن مجلس الأمن له بدوره قائد لا يُعصى حتى هذه اللحظة على الأقل هو الولايات المتحدة الأمريكية .

يضاف إلى ذلك أن العصر لم يعد هو ذلك العصر الذى يقف فيه رجل مثل داج همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة وقت أزمة السويس ١٩٥٦ يقدم استقالته قائلا لمجلس الأمن وجها لوجه « إنه لا يستطيع

أن يقبل على ضميره أن يكون أمينا عامًا للأمم المتحدة فى وقت تخالف فيه اثنتان من الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن « نصوص وروح ميثاق الأمم المتحدة » .

ولست أعرف ما الذى دعا بطرس غالى إلى أن يسمح لاسمه بالتداول فى معرض مؤتمر لحقوق الأقليات فى الوطن العربى والشرق الأوسط ، ولعل دافعه كان أن هذا المؤتمر متصل بإعلان من الأمم المتحدة عن حقوق الأقليات فى هذه المنطقة .

لكن السؤال : هل كان بطرس غالى يعرف أن أقباط مصر جرى تصنيفهم أقلية ضمن هذه الأقليات ؟

أكاد أقطع بأنه لم يعرف شيئًا عن التفاصيل ، وإنما اقتصرت معرفته على الخطوط العامة وحدها .

ثم أقول لك فى النهاية : إننى لست ضد انعقاد مؤتمر لحقوق الأقليات فى العالم العربى والشرق الأوسط ، ولكن أقباط مصر خارج هذا الإطار .

أقباط مصر ومسلموها شأنهم شأن كل البشر فى هذا العالم الثالث — مثقفون مرهقون بمشاكل لا أوّل لها ولا آخر . وهم — شأنهم شأن غيرهم من البشر — يبحثون عن حلول لهذه المشاكل ، لكن بحثهم فى شئونهم وشئون مصر يجىء فى إطار حق المواطنة ، وليس فى إطار حماية الأقلية .

وإلا كنّا كمن يلعب الكرة بقنبلة

ملحق رقم (٢)

المسيحية والسياسة

للبابا شنودة الثالث

المسيحية والسياسة

للبابا شنوده الثالث

في هذا الوقت الذي تبذل فيه كل الجهود، لتعميق المحبة بين النفوس، وترسيخ السلام، وتضميد جروح الوحدة الوطنية نتيجة ما حدث في المنيا وأبو قرقاص، طلعت علينا الأهرام بمقال عن (المسيحية السياسية)، عرضت فيه لأفكار شاب بروتستانتي ثائر على كل الأوضاع، يلقي الاتهامات بلا حرص وبلا دليل، ويتعرض لكل القيادات بالاسم، ليس في الكنيسة القبطية وحدها، بل حتى في كنيسته الإنجيلية، بل يتعرض أيضاً للقيادات الإسلامية وللوعاظ والشيوخ المسلمين، ولما أسماه «الصراع بين المعممين والمطربشين». ويحلل شخصيات القادة الدينيين، ويدخل في نواياهم ومقاصدهم، ويتخيل لهم أهدافاً ووسائل. ويعزو كل عمل روحي أو رعوي إلى هدف سياسي...

وكنت أظنه كباحث في علم الاجتماع، أو في علم الانثروبولوجيا، يلجأ - كشأن العلماء - إلى البحث الميداني، ولا يعتمد على مجرد القراءات في الكتب. فيقابل من حلل شخصياتهم، ويناقشهم ويتعرف على أفكارهم واتجاهاتهم، حتى يكون بحثه قريباً من الحقيقة بقدر الإمكان. ولكنه لم يفعل، إنما قدم استنتاجاته الشخصية كوقائع أو حقيقة...! ولم يتورع عن اتهام أي أحد. ونرى فيما نشره في كتابيه، وما نشر له في جريدة الأهرام أخطاء ما فيها في التاريخ والواقع...

وقد ذكر الأستاذ فهمي هويدي في ختام ما نشره من كتاب هذا المؤلف «أخيراً فإن توقيت صدور الكتاب الآن له دلالته، وسط الجدل القائم حول الشأن المسيحي الإسلامي، خصوصاً وإن القارئ المدقق يلاحظ أنه كتب بقدر من التعجل ملحوظ»

هنا وأحب أن أذكر بعض تعليقات حول ما نشر

تعريفات:

بادئ ذي بدء، أحب أن أقول إنه في كل ما نكتب، يعوزنا أن نفهم المعنى الحقيقي لكثير من الألفاظ المتداولة، ونبحث هذه التعريفات. فمثلاً ما هو المقصود بكلمة السياسة، وما معنى المسيحية السياسية؟ وما الفرق بين السياسة والوطنية؟ وأيضاً ما معنى التطرف؟ وهل هو التطرف الفكري، أم التطرف الممتزج بالعنف أو بالاعتداء أو بالجريمة؟ ثم أيضاً ما معنى العنف؟ وما حدوده؟ ثم ما معنى المسيحية في المقال: هل هي الأرثوذكسية أم المسيحية في كل الكنائس؟

تقول مقدمة المقال «المسيحية السياسية كما يعرفها الباحث هي التي تتجاوز الروحي إلى المادي، وتتجاوز العبادي إلى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي»، فمن قال إن هذا التعريف مقبول؟! ما هو التعريف الدقيق لعبارة روحي وعبارة مادي؟ مثال لذلك: هل الشخص الروحي لا يطعم جوعاناً، ولا يكسو عرياناً، ولا ينقذ شخصاً من ضيقة مالية؟ وهل تدخل هذه الأمور في العمل الروحي أم العمل الاجتماعي أم العمل الاقتصادي؟ أم نقول إن العمل الروحي يشمل هذا كله؟ فالروحانية تدعونا إلى الشفقة والإحسان، والشفقة تعودنا أن نسند المحتاجين في أعوازهم المادية، ونساهم في حل مشاكلهم الاجتماعية وأزماتهم الاقتصادية...

فهل اذا ساهمت الكنيسة في هذه المجالات تكون قد خرجت عن عملها الروحي العبادي ، الى عمل مادي أو اجتماعي ؟! وهل تستطيع الكنيسة أن تتخلى تماماً عن مساعدة المحتاجين ، بحجة أن عملها هو عمل روحي عبادي ؟ وهل يُقبل هذا منا ؟! إن السيد المسيح نفسه كان يعلّم الشعب ويكرز بالملكوت ، وفي نفس الوقت كان يطعم الجياع ويشفي المرضى ويعصب المنكسري القلوب.

وهل لو اقتصرت الكنيسة على العمل العبادي دون الاجتماعي ، هل يتفق هذا مع المركز الاجتماعي الكبير ، أو المؤسسة الاجتماعية الضخمة ، التي تقوم بعمل نبيل في المنيا تحت رئاسة والد الباحث القس الدكتور صموئيل حبيب رئيس الطائفة الانجيلية الذي تربطنا به أواصر من المودة والتعاون؟

وهذا يجعلنا نبحث - في محبة معاً - ما هو عمل الكنيسة ؟ وإلى أي حد توصف بالسياسة ؟

الكنيسة والسياسة :

... ورد في المقال « والكنيسة في هذا وذاك ، لا تمارس سلطة ولا وظيفة ، ولا تطمع في ... ولكنها تؤدي دوراً ، فيصبح لها رأي وموقف ». والسؤال الآن هو : هل نريد كنيسة بلا رأي وبلا موقف ؟ وإن صارت كذلك ، هل تكون نافعة للمجتمع الذي تعيش فيه ؟! وهل تكون أيضاً نافعة للدولة ؟! . وهنا يتعرض الباحث أو مؤلف الكتاب إلى العلاقة بين الكنيسة والدولة ، ويقسمها الى مراحل زمنية . ويبدو التحامل على الكنيسة واضحاً ...

إن تعاونت الكنيسة مع الدولة ، يصفها بالتدخل في السياسة ! وإن وقفت صامتة مقتصرة على العمل الروحي العبادي ، يصفها بالانعزال وبالرفض وبالعنف السلبي وإحراج الدولة بابتعادها عنها !!

ماذا تفعل اذن ؟ هل تندمج الكنيسة في المجتمع الذي تعيش فيه ، وتفرح لأفراحه ، وتتألم لأحزانه ، عملاً بقول الكتاب « فرحاً مع الفرحين ، وبكاء مع الباكين »... وإن فعلت هذا ، هل تكون قد خرجت عن العمل الروحي العبادي إلى العمل الاجتماعي أو السياسي حسب تعبير المؤلف ؟! وإن لم تفعل ، هل يصفها بالانعزال عن المجتمع ، وبرفض المجتمع ؟! إنه أمر محير...

في ثورة سنة ١٩١٩ يذكر التاريخ بكل اعتزاز كيف أن القسوس كانوا يخطبون في الأزهر ضد الاحتلال الانجليزي ، وكيف تعاونت الكنيسة والأزهر في هذا المجال .. فهل كان ذلك خروجاً عن الخط الروحي العبادي ، وتدخلاً في السياسة تلام عليه الكنيسة ؟!

أم كان ذلك عملاً وطنياً . وهنا نسأل عن الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة ؟ وما حدود اشتغال الكنيسة فيهما ؟ وهل يجب أن تكون الكنيسة بلا رأي بلا موقف ؟! وبصراحة نحب أن نسأل : ما هي المواقف التي اتخذتها الكنيسة ويعتبر تدخلاً في السياسة ؟

إن الباحث يرى أن مجرد ابداء الرأي سياسة !! ونحن غالباً لا نبدي الرأي إلا إذا سألونا . فهل إذا سألنا نصمت ؟! ألا يفهم صمتنا عندئذ أننا تحت ضغوط افقدتنا حريتنا الشخصية..

وإن صمتنا صمتاً كاملاً ، ألا نسمع أصواتاً لائمة من كل ناحية تقول « أين دور الكنيسة في التوعية ؟! لماذا تقف هكذا سلبية ؟!» . هل نجيب بأن المطلوب أن تكون الكنيسة بلا رأي بلا موقف ؟ . إننا لا نعمل بالسياسة ، وليس لدينا وقت لها ، ولا هي من اختصاصنا . ولكن هنالك مواقف إن صمتنا فيها ، نلام على صمتنا ، ونوصف بالسلبية

هنا ويتعرض المؤلف ، وكاتب المقال الى موضوع ذكر الأستاذ هويدي أنه « له أهميته » وهو مدارس الأحد ، وجيل مدارس الأحد ، والرهبنة التي « تخرجت من رحاب مدارس الأحد » وسنجيب على تساؤلاته في هذا المجال...

مدارس الأحد:

ما هي مدارس الأحد؟ وما عملها؟ ومتى نشأت؟ وهل قامت كرد فعل لقيام الإخوان المسلمين؟ وهل كان لها نفس دورهم؟ هذه أسئلة تعرض لها المقال. ونحن نجيب:

مدارس الأحد هي فصول لتعلم الدين في كل كنيسة، ولا هدف لها سوى التعليم الديني، وتدريب الأطفال على حضور الكنيسة، وعلى حياة الفضيلة ومحبة الله والناس. إنها جزء من العمل الروحي العبادي، المخططة للكبار. أما الصغار فلهم مدارس الأحد. وحالياً نسميها مدارس التربية الكنسية، وتعقد يوم الجمعة أيضاً.

ولم يحدث في يوم من الأيام أن تدخلت مدارس الأحد في السياسة بأي أسلوب، ولا كان لها دور سياسي على الإطلاق. وكل هجوم عليها، لا مبرر له ولا دليل.

والشاب البروتستانتي صاحب الكتاب، يعرف تماماً أنه توجد مدارس أحد في كنيسته الإنجيلية وفي كل الكنائس البروتستانتية، بل في كل كنائس العالم بلا استثناء، في مصر، وفي الشرق الأوسط، وفي أوربا وآسيا وأمريكا. لماذا التركيز إذن علينا؟!

أما جماعة الأمة القبطية التي خطفت البابا يوساب الثاني في بداية الخمسينات، فهي ليست من مدارس الأحد، ولا تمت إليها بأية صلة. وما قامت به هو مجرد عمل فردي، ولم يستمر سوى يوم، وكان منتقداً من الجميع.

ومدارس الأحد بدأت في مصر مع بداية القرن العشرين، وكانت لها جذور في نظام الكتاتيب التي كانت ملحقة بالكنائس منذ قرون طويلة، يقوم فيها (العريف) بتدريس الأطفال الدين والطقوس والألحان.

هي إذن ليست رد فعل لقيام الإخوان المسلمين، لأنها كانت موجودة قبل ذلك بعشرات السنين. وكان عليها أن تستمر في عملها لتعليم الأطفال سواء قامت جماعات إسلامية من أي نوع أو لم تقم. إنها لا تتدخل في أمثال هذه الأمور.

والأسر الجامعية لم تنشأ في بداية السبعينات، كما قال مؤلف الكتاب لكي يربطها بالبابا شنوده. إنما نشأت في أواخر الخمسينات، بهدف التعليم الديني لطلبة الجامعات، وكان أمينها العام هو الأستاذ الدكتور شفيق عبد الملك.. وذلك قبل عهد البابا كيرلس بسنوات...

والطلبة فيها يجتمعون لسماع الوعظ، في أقرب كنيسة، ثم ينصرف كل منهم إلى حاله، وبهذا لا يكونون تشكيلاً معيناً. وطلبة كل كلية لا يعرفون زملاءهم في الكليات الأخرى.

مدارس الأحد هي جزء من النظام الكنسي العام، خاضعة للقيادة الكنسية، وليست جماعة قائمة بذاتها. يحضرها الطلاب والمدرسون كما يحضرون الصلاة في الكنيسة.

وتلقى الدروس الدينية في الكتاب المقدس وسير القديسين والعقيدة، ويتعلمون الترتيل، ثم يمضي كل واحد لشأنه. ولا يرتبط العاملون فيها إلا بالتعليم الديني وحده. وقد جعلها قداسة البابا كيرلس السادس جزءاً من أسقفية التعليم.

لكل هذا، كانت لكل مدرس في مدارس الأحد شخصيته، ومنهجه الفكري، وانتماؤه الخاص في المجتمع. إنهم داخل الكنيسة جماعة تعلم الدين. أما خارجها فهم مجرد أفراد، لكل منهم أسلوبه الذي يتفق مع تكوينه النفسي والفكري وظروفه الاجتماعية واتجاهاته في الحياة..

التطرف والعنف :

إنه سؤال كثيراً ما يسأله البعض ، هل يوجد أيضاً تطرف في الجانب القبطي؟ وهنا نسأل : أما تطرف هو المقصود ؟ هل هو تطرف في الفكر أم تطرف ضد الآخرين ؟ من جهة الفكر ، في وسط ملايين الناس ، نحن لا نضمن أن يكون فكر الكل سليماً ، فقد تجنح أفكار البعض ، ويكون عمل الكنيسة هو التعليم السليم ، وهداية من تخطئ أفكاره .

أما التطرف الممزوج بالعنف والإيذاء ، فهو غير موجود عند الأقباط .

... ولا يوجد إطلاقاً تطرف قبطي يدعو إلى أمثال هذه الأمور ، ونحن جميعاً ندعو الناس إلى المحبة والسلام ، وإلى الوداعة والتواضع والهدوء.

وأتذكر أنني ألقيت محاضرة ضد العنف في أواخر سنة ١٩٧٧ وطبعت هذه المحاضرة في كتاب لي اسمه (الحروب الروحية)، قلت فيها إن "المسيحية لا توافق على العنف في كل صوره ، لأنه سلوك غير روحي وتتركز فيه مجموعة من الأخطاء ، فهو خطيئة مركبة ومنفرة ، وخطيئة عدوانية . وهو دليل على قسوة القلب ، وعلى البغضة ، وعدم ضبط النفس . وهو ضد الوداعة وضد المحبة.

واستثنيت من هذا مواقف تحتاج إلى عنف وحزم من الدولة صيانة للمجتمع وللأمن العام " مثل معاقبة الجناة المستهترين أو المستبيحين ، أو الذين يهددون المجتمع بجرائم تحطمه أو تحطم تراثه وقيمه " " فهناك جرائم إذا لم تؤخذ بعنف ، قد يستهتر مرتكبوها فيكررونها . أما إذا عولجت بحزم وحسم ، فإن المجتمع ينقى ويتطهر

وواضح أن المعاقبة على الجرائم ، وحماية المجتمع من المجرمين هو عمل الدولة

ولكن الباحث - سامحه الله - حاول أن يستنتج من هذا الموافقة على استخدام العنف في عبارة أضافها من عنده وهي (العنف القبطي العام). وهذا ما لم نذكره مطلقاً ولا يتفق مع روح المقال ، ولا مع قول السيد المسيح " طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون".

واتهم الكنيسة بالعنف السلبي الذي قلنا عنه إنه "مثل الكآبة المستمرة ، والبكاء الدائم ، والإضراب عن الطعام ، والصمت الحزين ، والانسحاب". وواضح أن الكنيسة لم تسلك في أمثال هذه التصرفات التي تحدث أحياناً في المحيط العائلي عند البعض .

ننتقل إلى نقطة أخرى وهي الهوية والشعبية

الهوية والشعبية :

حسب الباحث أن كل عمل رعوي تقوم به الكنيسة ، وتخدم به أبناءها التي هي مسئولة عن روحياتهم أمام الله ، إنما هو كسب شعبية ، وتأكيد للهوية ... وبذلك خرج من المفهوم الروحي للرعاية ، ومسئولية الأبوة الروحية . واعتبر أن الكنيسة تجذب الناس إليها ، بدلاً من المفهوم الرعوي في جذبهم إلى الله . وتحدث في موضوع " شعبية الكنيسة" بدلاً من العمل الرعوي للكنيسة . إنه تفكير عجيب ، لم يستطع أن يصعد إلى المستوى الروحي ، فخرج به إلى السياسة.

أما تأكيد الهوية ، فنحن لسنا في حاجة إليه مطلقاً . معروف عند الكل أننا أقباط ، ولسنا في حاجة إلى تأكيد أننا أقباط ، وأننا مصريون ، وأننا أبناء لهذا الوطن المحبوب الذي قلنا عنه " ليست مصر وطناً نعيش فيه ، إنما هي وطن يعيش فينا " ...

ختاماً :

أحب أن أؤكد للأستاذ فهمي هويدي أنه لا توجد جماعات في المسيحية تنادي بالتكفير ولا بالحاكمية. وطول خدمتي في الكنيسة في أكثر من خمسين عاماً، لم أسمع عن هاتين العبارتين في المحيط الكنسي، ولم ألمح لأي منهما وجوداً عملياً. هذه واحدة.

والنقطة الثانية هي أنه إذا انحرف فرد في وقت ما عن التفكير الكنسي السليم، فلا يعتبر هذا اتجاهاً أو تياراً داخل الكنيسة، أو أنه يمثل مجموعة فيها.

ورأيي في الكتابين اللذين قدمتهما للجمهور، إنهما مجرد تفكير شخصي لباحث له حرية التفكير. وكنت أود أن حريته لا تتمادى حتى تتعرض لقيادات دينية، غالباً لم يعرف الكثير منهم وليست له بهم خلطة، ونصيحتي له - كباحث - أن يعيد التفكير فيما نشره... فكثير من معلوماته لا تتفق مع التاريخ والواقع، وفي رأيي إنها لا تتفق في شيء مع الصالح العام..

وختاماً أرجو لك صوماً مقبولاً، وعيداً سعيداً

أعاد الله عليكم هذه الأيام بالخير والبركة.

ملحق رقم (٣)

رسالة البابا شنودة الثالث إلى الأقباط فى المهجر بخصوص حادث أبى قرقاص

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.



Date / / 19
/ / 17

أبنائي الأحباء في أمريكا: اكليروساً وشعباً

سلام لكم من الرب ونعمة، وبعد:

أحب في هذا الخطاب أن أعزيكم في أحبائنا الذين استشهدوا في أبي قرقاص بأيدٍ أثيمة من الإرهاب، وصعدوا الى الرب وهم في الكنيسة في جو روحاني، فنالوا منه أكاليل نغبطهم عليها. وقد كان جنازهم مهيباً، سار في موكبه المسلمون مع المسيحيين، والكل ساخط على الارهاب وعلى الجريمة البشعة التي ارتكبها في مكان مقدس

ولا يزال رجال الأمن يبذلون كل جهدهم في تعقب الجناة، الذين يختبئون، ينتقلون من مكان الى آخر: أحياناً في المغائر والجبال، وأحيانا أخرى في مئات الفدادين من مزارع القصب أو الذرة، أو في أوكار غير معروفة. أو في بيوت سرعان ما يفارقونها الى غيرها. والدولة تطارد الارهابيين وتدخل في صراع معهم. وقد قل خطرهم كثيراً جداً عن ذي قبل. إذ تم القبض على كثيرين منهم وحوكموا وانتهى أمرهم الى الإعدام أو السجن. كما قتل البعض في معارك مسلحة بينهم وبين رجال الشرطة، كان من ضحاياها أيضاً ضباط وجنود، وأحياناً بعض اللواءات..

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : FI. ANBA RUEISS, CAIRO.



حقاً إن خطرهم قد قلّ. ولكن حركتهم قد تجد شذوذاً،
ثم يرتكبون حادثاً أو جريمة، لكي يثبتوا أنهم مازالوا موجودين،
وأنهم قادرون على العمل. ويدخل أمن الدولة في حرب جديدة معهم،

إنهم قلة، ولكنهم مسلحون وخطرون. وقد قتلوا الدكتور
رفعت المحجوب رئيس البرلمان (مجلس الشعب)، كما قتلوا أيضاً
الدكتور فرج فوده من كبار الكتاب، وحاولوا اغتيال الدكتور
نجيب محفوظ الذي سبق أن حصل على جائزة نوبل. بل أيضاً
حاولوا اغتيال الدكتور عاطف صدقي حينما كان رئيساً للوزراء،
واللواء حسن الألفي وزير الداخلية، والأستاذ صفوت الشريف
وزير الإعلام. وكل هؤلاء من المسلمين، مع بعض قيادات الشرطة.

هنا يا أبنائي الأحباء - في إدانتنا لحوادث الإرهاب - يجب
أن نفرّق بين إدانة الدولة وإدانة الإرهاب،

فالإرهاب هدفه الأول هو الدولة. والدولة في صراع معه.
إن كنتم تدينون الإرهاب، وتقفون ضده بكل الطرق المشروعة،
فلن يلومكم أحد. أما من جهة الدولة، فمن الظلم أن يقف
أحد ضدها، في جريمة أبي قرقاص أو في غيرها من الأحداث،

Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.

ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ... ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
Date { / / 19
{ / / 17

الإرهاب عدو مشترك للدولة وللكنيسة معاً ولكثير من الأبرياء. بل ينبغي أن نقف جميعاً إلى جوار الدولة في صراعها ضد الإرهاب، الذي لا يوجد في مصر وحدها، بل يوجد في بلاد أخرى بصورة أخطر وأبشع ... وإن حزنكم على شهداء لنا، لا يعني أن نهاجم البعض الدولة، كما وصل إلينا من أخبار...

أحب أن تكون صورة الأقباط باستمرار في المستوى الروحي الذي كان لنا في كل العصور

لذلك أود في زيارة الرئيس مبارك الى أمريكا، أن تقابلوه بكل ما يليق به من توقير: كرئيس لدولتنا مصر، التي تنتمي إليها الكنيسة الأم، وأيضاً كرجل يبذل جهداً كبيراً في قضايا الشرق الأوسط، كما أنه يحارب الإرهاب بكل قوة لأجل سلامة بلدنا.

تصرفوا إذن بحكمة وروحانية، وليس بمجرد الانفعال
وكونوا جميعكم بخير، وليكن الرب معكم

شنوده الثالث
١٩٩٧/٣/٥

ملحق رقم (٤)

القوانين الكنسية

القوانين الكنسية هى مجموعة أحكام تنظم البناء الداخلى للكنيسة ، وتساعد من يتبعها على « استحقاق حياة أبدية مسبوقة بسلام ، ونعمة ، وبركات ، تؤهله لهذه الحياة » .

والقوانين الكنسية متعددة . يوجد بعضها باللغة اللاتينية ، واليونانية ، وتوجد ترجمات لبعضها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وقليل منها باللغة العربية . وأول هذه القوانين كانت تنظم أحكام الزواج ووضعت فى القرن الخامس الميلادى على يد الأسقف « رابولا » فى عام ٤٣٥ ميلادية كان فيها قسم عن الزواج ، وبعده جاءت قوانين يقف المؤرخون فى معرفتها عند كتاب « القانون الكنسى » الذى جمعه يوحنا الأنطاكى فى أوائل القرن السادس الميلادى ، ثم مجموعات من القوانين تالية إلى أن ظهر أول تقنين قبطى متكامل فى كتاب « القوانين » الذى جمعه الشيخ الصفى بن العسال فى سنة ١٢٣٩ ميلادية ، واشتملت على قوانين الكهنة مثل فرائض العبادة ، والقداس ، والقربان ، والصلاة ، والصوم ، والصدقة ، والأعياد ، والأوقاف ، كما تناولت المعاملات مثل الهبة ، والبيع ، والحكر ، والوكالة ، والحكم فى جرائم السرقة والقتل وغيرها ، وكلها لاتعتمد فى مصادرها على الكتاب المقدس ، ولكنها مستمدة من قوانين الملوك .. وتبع ذلك اجتهادات لصياغة قوانين للكنسية إلى أن قام الدكتور عونى برسوم بجمع

كل القوانين فى موسوعة واحدة شملت كل القواعد المتفق عليها سواء كانت مكتوبة أو شفاهة ، وفيها كثير مما يعتبر من تقاليد الكنيسة وليس صادرا عن الكتاب المقدس مباشرة . وتقاليد الكنيسة تعتبر دستورا غير مكتوب ، وهى لذلك المصدر الأساسى لهذه القوانين . وإن كانت تنقسم إلى قسمين : قسم لايترتب على مخالفته جزاء أو عقوبة لأنه يتعلق بالضمير ، وقسم يخضع للجزاء من الكنيسة .

فى الجانب الروحى نجد مواد فى التقنين الكنسى مثل الرحمة ، ومثل النص الذى يقول : « نحن المسيحيين نؤمن بإله واحد » ، ومثل النص على أن « الإيمان والمعمودية والتوبة هى أساس الخلاص فى المعتقد المسيحى » وأن « الإيمان بالمفهوم المسيحى هو الإيمان العملى القائم بغير شك فى محبة الله بلا نهاية » وأن الإيمان هو إيمان الأعمال ، لأن الإيمان بدون عمل هو إيمان ميت ، ولأن أعمالك هى التى تؤكد معرفتك بالله ، وهى التى تشهد لإيمانك ، لكيلا تكون كالذين قال عنهم الكتاب المقدس : « يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه » . ومثل الإيمان بأن الروح لا تموت وأن التحلل لجسد الإنسان بعد الموت يحرر الروح لكى تصعد كاملة إلى الله ، ولابد أن تكون هناك قيامة للأموات « يوم الدينونة » ، فيذهب الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة مع الملائكة والقديسين ، ويذهب الذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة .

وعن الكنيسة تحدد القوانين أوصافها وبناءها بحيث يكون هيكلها نحو الشرق ، والمذبح فى وسط الهيكل غير ملتصق بالحوائط لأن الطواف بالمذبح من القداس ، والكنيسة مستطيلة ، والدخول إليها من الغرب إلى الشرق ، ولها ثلاثة أبواب ، وكذلك يكون للهيكل ثلاثة أبواب .. وهكذا . كذلك تحدد القوانين طقوس الصلاة ووضع الشموع كتقليد ثابت حتى فى حالة

ظهور الشمس لأن الهدف منها ليس تبديد الظلام ولكنها علامة فرح وغبطة .. وقانون يحرم أخذ شيء من أوانى ومتعلقات الكنيسة . وقانون يحرم على الشخص أن يكلم غيره إلا بكلمات الصلاة ، ومن يحضر صلوات القداس يلتزم بالبقاء إلى نهايته . وتحدد القوانين سبع صلوات مقدسة وهى :

الأولى : « صلاة باكر » فى أول النهار مبكرا .

الثانية : صلاة تسمى صلاة الساعة الثالثة (تقارب الساعة التاسعة صباحا) .

الثالثة : صلاة تسمى صلاة الساعة السادسة (فى الظهر) .

الرابعة : صلاة تسمى صلاة الساعة التاسعة (نحو الساعة الثالثة بعد الظهر) .

الخامسة : صلاة الغروب

السادسة : صلاة النوم .

السابعة : هى صلاة نصف الليل تعبيرا عن الاستعداد لملاقاة الرب كل حين وهى من صلوات الرهبان .

كما تحدد القوانين أيضا التسابيح والتراتيل التى يجب على المسيحى حفظها والاشتراك فيها ، والبخور فى خدمة القداس ، وتحدد الإطار الذى يجب أن تعمل فيه الكنيسة ، وهو الإطار الروحى والاجتماعى ، بحيث تمتد خدماتها إلى المدينة والقرية والأزقة وحتى إلى المغارات إذا وجد فيها مؤمن يحتاج إلى معونة .

وولائم المحبة التى تقام فى المناسبات المقدسة أو بصورة دورية تسمى « الأغابى » هى من سنن التقليد الكنسى ويجب على المسيحى احترامها والمشاركة فيها لتأكيد ثمار المحبة ، وتحقيقا لمبدأ ممارسة أعمال مادية من أجل تحقيق هدف سماوى . وهى ليست موائد صدقة من الأغنياء للفقراء ،

ولكنها موائد التقاء المؤمنين وتعارفهم ومناقشة مشاكلهم ومساعدتهم . ولايجوز أن تقام لتكريم رجال الأكليروس إلا إذا كانت حفلا لتكريمهم .

ثم هناك الأسرار الكنسية ، مثل سر الزواج المقدس ، وسر العماد ، وسر الكهنوت ، « ورئيس الكهنة ورئيس الأساقفة ورئيس الأكليروس ورئيس الأحبار هو البابا المعظم وهى صفات يستحقها لأنه على قمة رئاسة الكنيسة » . وسر الكهنوت واحد ليس فيه درجات ، ولذلك يتساوى فيه البابا مع سائر الكهنة ، بحيث يمكن أن يكون أب الاعتراف للبابا أحد القسس ويعترف البابا أمامه بخطاياه ويأخذ منه التحليل ، ويكون لأب الاعتراف سلطة الحل والربط كاملة عليه .. فليس لصاحب الرتبة الأعلى أن يأمر كاهنا أن يكشف له اعترافات شخص معين من بين المعترفين لديه .

تحدد القوانين الكنسية أيضا طقوس التعميد ، وسر التوبة ، وهو الاعتراف بالخطايا والذنوب بالفعل أو بالقول أو بالفكر ، ويكون الاعتراف أمام الكاهن فى الكنيسة والخضوع لقبول التحليل .

وأما سر الزيجة فلها مكان خاص فى قوانين الكنيسة . فالزواج فى العقيدة المسيحية الأرثوذكسية هو اتحاد روحى وجسدى بين رجل واحد وامرأة واحدة يقام باتمام مراسم وطقس السر بواسطة كاهن .

وكذلك فإن سر الكهنوت له أهمية كبيرة فى القوانين الكنسية ، فسر الكهنوت هو سر الأسرار وهو الباب المفتوح لكل الأسرار ، فلا يقام طقس إلا بواسطة كاهن . وتحدد القوانين الأعياد المسيحية مثل عيد البشارة فى يوم ٢٩ من شهر برمهات من السنة القبطية ، وعيد الميلاد يوم ٢٩ كيهك ، وعيد الظهور الإلهى يوم ١١ طوبة ، وعيد أحد الشعانين يوم الأحد السابع من الصوم الكبير ، وعيد القيامة الأحد التالى لأحد الشعانين ، وعيد الصعود

بعد ٤٠ يوما من عيد القيامة ، وعيد حلول الروح القدس فى اليوم الخمسين بعد القيامة ، وعيد الختان (عيد ختان المسيح وهو طفل) يوم ٦ طوبة ، وعيد دخول السيد المسيح أرض مصر مع العائلة المقدسة يوم ٢٤ من شهر بشنس ، وعيد التجلى يوم ١٢ من شهر مسرى .. وعيد رأس السنة القبطية (النيروز) فى أول شهر توت بداية السنة القبطية .

هناك أعياد أخرى خاصة بالسيدة العذراء مثل عبد ميلادها ، وعيد دخولها الهيكل ، وعيد رحيلها ، وهكذا .

وفى القوانين الكنسية النص على إخراج العشور ، وهى عشر كل كسب أو دخل دورى يحصل عليه الشخص من كل أعماله توجه لليتامى ، والأرامل ، والمحتاجين . وهى إلزام وليست تبرعا ، ويضاف إليها مايقدمه الشخص من التبرعات والعطايا والإحسان للمرضى والمحتاجين .

وكذلك تحدد هذه القوانين أيام وقواعد الصيام فى الصوم الكبير (٤٠ يوما) وصوم الميلاد ، وصوم يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ، وصوم العذراء .. وهكذا .. ولا يأكل الصائم إلا ما هو نباتى .. وفى القوانين أيضا « الصوم الانقطاعى » وهو الامتناع عن الطعام والشراب والشهوات بأنواعها لفترة مقبولة تتناسب مع إيمان الشخص ، وقدرته ، وسنه ، وحالته الصحية ، فقد يكون الانقطاع إلى العشاء ، أو إلى الغروب ، أو إلى العصر ، أو الظهر .. بحيث يكون الانقطاع عن الأكل والشرب وعن حياة الأباطيل الفكرية والشهوات .. وتنص القوانين على أهمية الصوم لأنه إذلال للجسد والنفس ، وابتعاد عن مشتهيات الجسد والنفس من لذة وشهوة وتمجيد باطل وكبرياء .

وتشير هذه القوانين إلى قول القديس يوحنا ذهبى الفم « ليس المهم أن تصوم بطنك ، بل أن يصوم لسانك عن الكلام ، وأن يصوم عقلك عن التفكير فى الشر ، وأن تمتنع عن الخطية فهذا هو صوم الروح الحقيقى » ولذلك تأخذ الكنيسة بالصوم كفترة تقوية روحية يلجأ إليها الإنسان فى وقت الشدة .

وفى هذه القوانين تحديد لمفاهيم الإيمان :

- فالحرية هى الانفلات من الخطيئة إلى طريق للمحبة وروح النفوس ، والحرية المقبولة أمام الله هى التى تراعى فيها حقوق الآخرين وحريتهم » . « ولا يطلب أحد ما هو لنفسه ، بل كل واحد ماهو للآخر » .

- وحرية الإرادة عامل أساسى للإيمان والثبات فيه . ولا أساس للإيمان القائم على الخوف أو الإيمان بغير وعى أو فهم . وحيث تصير الإرادة غير حرة صار الإنسان بغير صفة أو كيان .

- السيف مسيحيا هو سيف الروح ، أى الجهاد بكل المقومات الروحية الإيمانية الذى يصمد به المؤمن ضد كل حروب إبليس المتنوعة .

- التعصب والطائفية مرفوضان ، وكل عداوة إنسان آخر مرفوضة .

- الميراث حق مقرر وتقسيم أنصبة الميراث عند النزاع تكون وفقا للقانون الوضعى ، غير أنه بمحبة الورثة ورضائهم تتحقق معايير الرحمة والعدل .. وحرية التصرف فى الأموال والممتلكات من إطلاقات الإنسان . وهو حر الإرادة يعطى الهبة لمن يشاء وبعد الموت ليس فى التشريع المسيحى قواعد لتوزيع الميراث وترك ذلك للقوانين السائدة .

● الحسد ناتج عن حالة من حالات الضعف البشرى وهو خطية مؤثمة ، لأنه مرتبط دائما بفعل الشيطان ومكائده .

● النذور من الأمور المقررة كنسيا ، بمعنى العطاء والتبرع اعترافا للرب برحمته عند استجابة الرب لتضرعه . أو إذا نذرت نذرا فلا تتأخر عن الوفاء به لأنه خير لك ألا تنذر من أن تنذر ولا تفى » .

● درجات الإكليروس ثلاث : الشماس ، القسيس ، الأسقف . وهناك رتب من درجة القسيس ، والأسقف . وتحدد القوانين كيفية رسامة كل منهم والشروط والواجبات مثل الالتزام بتوزيع الصدقات والتبرعات حسب مقاصد أصحابها ، وتحريم احتجاز قدر منها رجل الدين ، وعدم خلط العطايا الموجهة إلى الخدام من الأكليروس والعطايا الموجهة لخدمة الكنيسة أو فقراء شعبها ، ومثل عدم جواز استقالة رجل الأكليروس .. ومثل مبدأ « التظاهر بالعلم والانتفاخ به مخالف لسلوكيات المسيحى عموما ، ومثل عدم حضور رجل الأكليروس الملاهى التى تعقب الزواج المقدس ، ورجل الأكليروس مكلف بأن يكون بعيدا عن التحزب وأعمال التآمر وكل الأمور الباطلة . ولايجوز لرجل الأكليروس أن يخرج عن النظام الذى وضعه الأسقف وفضح أعمال الكنيسة وتصرفاتها الخاصة أمام السلطات الكنسية ، فالخلافات التى تنشأ عن الأعمال الكنسية لابد أن تأخذ كرامة الحفاظ عليها ، وهى مثل العلاقات العائلية تحفظ أسرارها بعيدا عن كشف فضائحها ، والواجب سترها وحلها بروح التصالح وليس بروح الشكوى ، والطريق الطبيعى لذلك هو الالتجاء إلى حكماء الكنيسة من أساقفة أو مجلس الأكليريكية ، أما الجرائم والاعتداء على الحقوق المدنية والأملاك فإنها تكون من اختصاص القضاء الطبيعى مالم يتم التصالح بشأنها .

● تمنع آداب الكنسى أن يشكو رجال الدين (الأكليروس) بعضهم البعض

أمام العامة . وبالتالى محظور التشهير بهم عن طريق الصحف والاجتماعات لأن ذلك يشجع الناس على التطاول على حاملى سر الكهنوت .

- القوانين الكنسية تمنع التعالى الظاهر والخفى داخل الكنيسة .
- لا يجوز أن تقوم النساء بالتعليم العام فى الكنائس .
- النساء مساعدات الأكليروس فى الخدمة من أرامل وعذارى متبتلات يجمعهن اسم « المكرسات لخدمة الرب » .
- لا يجوز تعيين النساء الخادمات المكرسات رئيسات فى الكنائس .

هناك فى القوانين الكنسية أحكام خاصة عن الأسف ومن فى درجته مثل :

- هناك فرق بين السلطة والرئاسة . والأولى اختصاصات وحقوق أما الثانية فهى التواجد الحقيقى على القمة ، ليس على قمة السلم الأكليروسى ، ولكن على قمة قلوب المؤمنين ، والرئاسة قائمة على التضحية .
- سلطة الأسقف لا صلة لها بسلطان هذا العالم المادى بل هو سلطان كنسى تحكمه روحانيات وفق وصايا الكنيسة .
- لا يجوز أن يكون الأسقف متزوجا قبل أو بعد نوال الدرجة أو الرتبة .
- ليست درجة الأسقف فى ذاتها صك قداسة أو معرفة .
- الأسقف يتجرد من سلطانه الكنسى أمام أب اعترافه .
- سلطة الأسقف المقدسة قائمة على مسارين : أولهما سلطة الحل والربط ، سلطة الغفران وسلطة المنع والسماح المستقاة من نعمة سر الكهنوت ، وثانيهما سلطة الرعاية الكاملة للإيبراشية أو المدينة المعين عليها لإدارتها كنسيا .

- الأسقف على رأس قمة التعليم داخل الكنيسة فيرعاه وينظمه .

- يدخل فى سلطة الأسقف تدشين الأماكن ، وتكريس العذارى ، والمحاكمة عن الأخطاء العقائدية والسلوكية ، وسلطة سيامة قسس وشمامسة .

- الأسقف مطالب ببث الطمأنينة فى قلب شعبه .

- الأمر الصادر من الأسقف إلى رجل الأكليروس التالى فى الدرجة أساسه الخضوع .

- الأسقف ملتزم بقانون التجرد الرهبانى ، فلا يملك شيئا ، وليس له حق الاقتناء ، وله الحق فى اقتناء مايحقق راحة النفس والجسد ويستعملها طيلة حياته دون أن يملكها ولا يرثها أحد من أقاربه ولكن ترثها الكنيسة .

- لا يجوز للأسقف أن يجعل لأقاربه كسبا من خلال الخدمة فى الكنيسة أو نصيبا من أموال البيعة ومنافعها . وعلى ذلك يمتنع على الأسقف أن يعين قريبا له فى إدارة الكنيسة ، أو يمنحه عقدا أو إيجارا حتى لو كان فى ظاهره نفع للكنيسة .

- التواضع أمر يجب أن يأخذ موضعه فى السلوك اليومى لرجل الأكليروس .

- يشترط الموازنة بين احتياجات الكنيسة ومتطلبات الأسقف الذاتية .

- ولاية الأسقف على أموال الكنيسة لا ترقى إلى مرتبة الانفراد بالتصرف فيها . وعليه أن يعلن عن ممتلكات الكنيسة وأموالها .

• لا يجوز أن يكون رجل الأكليروس عضوا فى الأندية العامة أو منتديات الترويح والتسلية أو نحوه .

• لا يجوز للأسقف أن يشارك فى اختيار من يخلفه .

• القانون يحتم حُسن معاملة الأكليروس عند سقوطه فى ذلة صونا لسمعة الكنيسة . ولا تناصر الكنيسة رجل الأكليروس إذا ارتكب عمدا أو دون مشورة ما فيه إنكار للشريعة أو تحريف لأحكامها . ويجب أن يكون منزها عن كل شبهة أو ريبة ، ولا يمتنع عن تقديم يد المساعدة إلى أخوته فى وقت الضيق .

وقد لا يعرف الكثيرون الأساسيات فى نظم الكنيسة والعقوبات الكنسية ولها مجموعة من الأحكام تناقل بعضها من كتبوا فى الصحف بغير علم فخلطوا الأحكام وشوهوا بعضها . وأهم هذه الأحكام :

• أن قرارات المجمع المقدس – وهو هيئة الحكم العليا فى الكينسة – ملزمة وحاكمة لرجال الدين وللشعب .

• يشكل مجلس أكليريكى لفض المنازعات برئاسة الأسقف .

• البابا هو البطريرك ، رئيس الأساقفة ، ورئيس كل الأكليروس ، وثالث عشر الرسل كما نصت على ذلك لائحة المجمع المقدس ، وهو خليفة القديس مار مرقس .

• محاكمات الأساقفة ومحاسبتهم عقائديا واجتماعيا ونظر دعواهم تكون أمام المجمع المقدس الذى يرأسه البابا ويضم فى عضويته جميع المطارنة والأساقفة .

• العقوبات الكنسية التى توقع على رجال الأكليروس هى : الإنذار ، وعقوبة التوبيخ علنا أمام رجال الأكليروس دون تشهير ، وعقوبة الإخراج أى الحرمان من الخدمات الكنسية ، وعقوبة القطع الدائم أو المؤقت ، وهى سحب الدرجة ، والإفراز ، والتحريم . ومن يحكم عليه بالطرد يعود إلى الحياة العلمانية كما كان . ولا يكون ذلك إلا بعد إجراءات المحاكمة الكنسية .

أما فى سلوك الإنسان العادى فإن قوانين الكنيسة تشمل على سبيل المثال :

• إجهاض المرأة لنفسها حكمها كنسيا حكم قتل النفس عمدا .

• الإيمان المسيحى يؤكد على البذل والتضحية بالدم والجسد والمال من أجل نفع الآخرين ، وقياسا على ذلك فإن التبرع بالأعضاء من أحياء أو موتى نفعا لحياة الناس هو عطاء وبذل وتضحية .

• الشريعة المسيحية تشجب ختان البنات ولاتقر أى مساس بطبيعة جسد المرأة . وعملية الختان جاءت فى الكتاب المقدس بالنسبة للذكور فقط .

• زيارة قبور الأموات والتجول في المدافن بهدف استرجاع مرارة فراق الأحبة والأقارب والنحيب والعويل أمور لاصلة لها بالإيمان ودلالتها هو افتقار فى الفهم وضعف فى روابط الإيمان مع الله . أما الذهاب إلى القبور بهدف التأمل فى نهاية الحياة الأرضية الزائلة فإنه يحسب كتدريب مفيد للإنسان .

• انضمام أحد الزوجين إلى كنيسة غير الكنيسة التى أجرى الرسم الكنسى لزواجه فيها لاتعتبر تغييرا للديانة بل يعتبر تغييرا للطائفة ، ولا أثر لذلك على الالتزامات والحقوق التى نشأت عن عقد الزواج .

وكذلك فإن تغيير أحد الزوجين لديانته إلى خارج الإيمان المسيحى لايسقط التزاماته بمقتضى الزواج .

● لا يجوز للكاهن إبرام عقد الزواج بغير وقوع الخطبة لطرفيها وشهرها وبقائها الفترة الكافية للتحضير روحيًا وكنسيًا قبل الزيجة المقدسة .

● موانع الزواج هى : زواج الأصول بالفروع أو العكس ، الزواج من غير المسيحى أو المسيحية ، الزواج بالمطلق أو المطلقة ، الزواج دون إتمام المراسم الدينية ، الزواج براهب أو راهبة قبل الفرز والاقتطاع من الحياة النسكية ، الزواج كرها أو تحت ضغط يسلب الإرادة ، الزواج الثانى دون التحلل كنسيا من زواج سابق . زواج المجنون ، والمصاب بأكثر من عاهة تجعل ممارسة الحياة العادية عسرة ، والأرملة خالية الحمل التى لم يمض على وفاة زوجها ستة أشهر .

ومن استعراض القوانين الكنسية يمكن معرفة الكثير عن حقائق المسيحية فى مصر ومعتقداتها ، مما يوصلنا إلى القول بأن هناك مساحة مشتركة بين المسلمين والأقباط فى مجالين أساسين . أولهما مجال الأخلاق والسلوك والفضيلة فستجد أن الأخلاق والفضائل واحدة دون اختلاف ، وليس هناك دين يدعو إلى الرذائل أو إلى ارتكاب الخطايا ، والمجال الثانى هو مجال العلاقات الاجتماعية فسنجد مساحة الاتفاق واسعة ولن نجد خلافا إلا فى أن الكنيسة الأرثوذكسية تحرم الطلاق تحريما قاطعا إلا فى حالة واحدة هى علة الزنا .

هذه المساحة الواسعة من الاتفاق هى التى جعلت المصريين يعيشون فى وحدة وتكامل ودون تفرقة ، فضلا عما جاء فى القرآن الكريم من أن أقرب الناس مودة للذين آمنوا هم النصارى ، لأن منهم قسيسين ورهبانا ،

ولأنهم متواضعون ، والتواضع – كما رأينا – جزء لا يتجزأ من إيمانهم ، ولأنهم لايستكبرون ، لأن الكبر من أكبر الخطايا عندهم .

أما جوانب الخلاف فى العقائد فإن القول الفصل فيها هو ما قرره الله سبحانه وتعالى : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ .

فالاختلاف فى العقائد إرادة الله ، وسيبقى الخلاف لحكمة لا يعلمها إلا الله ، ولقد فطن المصريون مبكرا جدا إلى الحكمة ، وهى أن مصر وطن لكل أبنائها تجمعهم بالمحبة ، ويبقى الدين لله ، والوطن للجميع ، وهذه واحدة من أكبر أسرار العبقرية المصرية .

❑❑❑

ملحق رقم (٥)

نص مقال قداسة البابا
فى مجلة الهلال – ديسمبر ١٩٧٠

القرآن والمسيحية
للأنبا شنودة (أسقف التعليم)

فكرة القرآن عمومًا عن المسيحية :

تعرض القرآن للمسيحية . شرح كيف أنها ديانة سماوية ، ديانة إلهية ، أرسلها الله هدى للناس ورحمة ، على يد المسيح بن مريم . والمؤمنون بالمسيحية سجل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم ، وأنهم غير المشركين وغير الذين كفروا .. وقال أيضا : إنهم أقرب الناس مودة إلى المسلمين ، وإنهم متواضعون لا يستكبرون .

وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير . إنه كلمة الله ، روح منه . وُلد بطريقة عجيبة لم يُولد بها إنسان من قبل ولا من بعد ، بدون أب جسدى ، ومن أم عذراء طهور ولم يمسها بشر . ومات ورفع إلى السماء بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء على الأرض يهدى الناس ، ويقوم بمعجزات لم يعملها أحد مثله . وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم

بالإنجيل . والإنجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان مصداقا له وداعيا الناس إلى الإيمان به . ولم يذكر القرآن إطلاقًا أنه نسخ التوراة أو الإنجيل ، بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والإنجيل .

وللعذراء مريم أم المسيح مركز ممتاز فى القرآن ، فى بتوليتها وطهرها ونسكها وعبادتها وتشريف الله لها واصطفائها على نساء العالمين . وقد تحدث القرآن أيضا عن الحواريين تلاميذ المسيح . وتحدث عن بعض العقائد المسيحية .. وهنا يظهر الخلاف بينه وبين المسيحية .

شىء من ذلك خلاف حقيقى ، وشىء آخر لا يمكن أن نسميه خلافًا وإنما هو محاربة لبعض البدع الدينية التى كانت سائدة وقتذاك ، والتى تحاربها المسيحية أيضا ، والتى لم تكن فى يوم من الأيام من عقائد المسيحية كما يخطئ البعض فى الفهم والتفسير ، وما أكثر الملل التى تقوم فى كل جيل ، يحارب أخطاءها أولياء الله الصالحون وسنعرض لكل هذا بالتفصيل .

نظرة القرآن إلى النصارى :

يدعوهم القرآن « أهل الكتاب » أو « الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أو « الذين آتيناهم الكتاب » أو « النصارى » . ويصفهم القرآن بالإيمان وعبادة الله ، وعمل الخير . ويقول فى ذلك ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين﴾ . (سورة آل عمران ١١٣ ، ١١٤) .

ويقول أيضا ، ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . أولئك يؤمنون به﴾ (سورة البقرة ١٢١) .

﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن أتقوا الله﴾ (سورة النساء ١٣١) .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ، هم به يؤمنون﴾ . (سورة القصص ٥٢) .

هم إذن من المؤمنين ، يعبدون الله ويسجدون لله وهم يتلون آيات الكتاب طوال الليل . يؤمنون بالله وبالكتاب واليوم الآخر ، وهم من الصالحين ولذلك أمر القرآن بمجادلتهم بالتى هى أحسن . وفى ذلك يقول ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون﴾ (سورة العنكبوت ٤٦) . ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل أكثر من هذا : وضع القرآن النصارى فى مركز الإفتاء فى الدين فقال : ﴿فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ (سورة يونس ٩٣) . وقال أيضًا : ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة الأنبياء ٧) .

ووصف القرآن النصارى بأنهم ذو رأفة ورحمة : وقال فى ذلك ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ (سورة الحديد ٢٧) . واعتبرهم القرآن أقرب الناس مودة للمسلمين ، وسجل ذلك فى سورة المائدة حيث يقول ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون﴾ (سورة المائدة ٨٢) . ونلاحظ فى هذه الآية القرآنية تمييز النصارى عن الذين أشركوا . لأنها هنا تذكر ثلاث طوائف واجهها

المسلمون ، وهى اليهود والذين أشركوا فى ناحية ، والنصارى فى ناحية أخرى . فلو كان النصارى من المشركين ، لما صح هذا الفصل والتمييز .
إن التمييز والفصل بين النصارى والمشركين أمر واضح جدًا فى القرآن .. ولايقتصر على النص السابق ، وإنما سنرد هنا أمثلة أخرى . منها قوله : ﴿إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا . إن الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ (سورة الحج ١٧) . نفس هذا التمييز نجده فى الآية ١٨٦ من سورة آل عمران ، ونجده واضحا (فى قوانين التزويج المشترك) . وفى قوانين الجزية .

ولا يتسع المجال فى هذه العجالة لبحث مثل هذا الموضوع الواسع . على أننى سأعود إلى التكلم فيه فى نهاية هذا المقال ، أما الآن فيكفى فى نظرة القرآن إلى إيمان النصارى أن نورد قوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة ٦٢) ، وقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة المائدة ٦٩) .

نظرة القرآن إلى الإنجيل :

يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله تجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله . فيقول ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس﴾ (سورة آل عمران ٣ ، ٤) .

ويقول أيضا : ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقًا لِما بين يديه

من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ (سورة المائدة ٤٦ — ٤٨) .

وكون القرآن مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ، فهذا يعنى صحة الإنجيل والتوراة وسلامتهما من التحريف . وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقًا لكتاب محرف . كذلك لو كان التوراة والإنجيل قد لحقهما التحريف ، ماكان يأمر قائلاً ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ . بل ما كان يصدر أيضا الأمر ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ . (سورة المائدة ٦٨) .

وما أكثر الآيات القرآنية التى تسجل أن القرآن نزل مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ، يطول بنا الوقت إن حاولنا أن نحصيها .. وما أكثر الآيات القرآنية التى تدعو إلى الإيمان بالإنجيل والتوراة ، نذكر منها غير ماسبق : ﴿يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نَزّل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيدًا﴾ . (سورة النساء ١٣٦) .

ونلاحظ فى هذا النص أنه قال (كُتبه) ولم يقل كتابه . فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورًا وموعظة للمتقين .. وقد ورد فى سورة البقرة عن أهمية هذا الإيمان ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك

هم المفلحون﴾ (البقرة ٤ ، ٥) ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون﴾ (البقرة ١٣٦) وقوله تعالى : (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) (آل عمران ٨٤) . ﴿ لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ (سورة المائدة ٦٨) .

أقتصر الآن على هذا القدر القليل وقبل أن أترك هذه النقطة أقول إن كل ما سبق ينفى بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل !! من المحال أن يكون ناسخًا لها فى الوقت الذى يدعو إلى الإيمان بهما ويحذر من إهمال ذلك .

ملاحظة أخيرة أنبه القراء .. وهى أن القرآن .. فى كل سوره وآياته عندما يذكر الإنجيل ، وإنما يعنى الإنجيل الذى بشر به المسيح . ولم يرد فى القرآن حرف واحد عن ذلك المؤلَّف المزيف الذى أسماه كاتبه (إنجيل برنابا) . إن اسم برنابا هذا غير موجود على الإطلاق فى القرآن . كما أن كثيرا من تعاليمه ومعلوماته متنافية ومناقضة لتعاليم القرآن .

فكرة القرآن عن المسيح :

يسميه القرآن (عيسى) . وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية (ايسوس) Iycouc أما اسم المسيح فى العبرية فهو يسوع ومعناه مخلص . على أن القرآن ذكر اسم المسيح أكثر من عشر مرات . انظر : (آل عمران ٤٥ والنساء ١٥٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ . والمائدة ١٧ (مرتين) ، ٧٥ والتوبة ٣٠ ، ٣١) سنحاول أن نورد بعض الأمثلة خلال حديثنا .

واسم المسيح هذا كان موضع دراسة لكبار المفسرين فى الإسلام ، وقيل فى ذلك إنه سمى مسيحا (لأنه مُسح من الأوزار والآثام) . وأورد الإمام الفخر الرازى حديثا شريفا قال فيه راويه (سمعت رسول الله يقول : ما من مولود من آدم إلاّ ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من نخسه إياه ، إلاّ مريم وابنها) . كل هذا وما سيأتى ، يدل على المركز الرفيع الذى تمتع به المسيح فى القرآن وفى كتب المفسرين ، وهو مركز تميز به عن سائر البشر ومن ذلك ...

١ - أنه دعى كلمة الله وروح منه :

وقد تكرر هذا اللقب ، فورد فى سورة آل عمران ٤٥ : ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ . وورد فى سورة النساء ١٧١ : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ . وقد أثارت عبارة « كلمة الله » تعليقات لاهوتية كثيرة لاداعى للخوض فيها الآن ، لأن تسمية المسيح بكلمة الله يطابق الآية الأولى من الإنجيل يوحنا الرسول . وكذلك لأن عبارة (الكلمة) وأصلها فى اليونانية (اللجوس) ، لها فى الفلسفة وفى علوم اللاهوت معان معينة غير معناها فى القاموس . وبنفس الوضع عبارة (روح منه) التى حار فى معناها كبار الأئمة والمفسرين . وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره .

٢ - ولادة المسيح المعجزة من عذراء :

لم يقتصر الأمر على كنه المسيح و طبيعته من حيث هو (كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم) وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر ، وإنما الطريقة

التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادها غرابة أنه (يكلم الناس فى المهد) (آل عمران ٤٦) ، الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد .. أترك هذا العجب لتأمل القارئ .

٣ - معجزات المسيح العجيبة :

وأخص منها مما ورد فى القرآن . غير إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، معجزتين فوق طاقة البشر جميعا ، لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء وهما القدرة على الخلق ، وعلى معرفة الغيب . وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح ﴿إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله .. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران ٤٩) .

وهنا يقف العقل ، لكى تتأمل الروح .. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد ، والتى هى من عمل الله ذاته : الخلق ومعرفة الغيب !!

ومن الأمــور الأخرى التى يذكرهــا القـرآن فى رفعة المسيح وعلوه هى :

٤ - موته ورفعه إلى السماء :

وقد ورد فى ذلك ﴿إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك . ورافعك إلىّ وَمُطَهِّرُكَ من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ (سورة آل عمران ٥٥) . والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده إلى السماء . ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح ومتى حدث ذلك ، وبقى الأمر عجيبا .

٥ – صفات المسيح الأخرى :

من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه ﴿وجيهًا فى الدنيا والآخرة﴾ وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة ، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوًا عجيبًا . وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس .

مركز العذراء مريم فى القرآن :

يشرح القرآن فى سورة آل عمران أن مريم نذرت للرب وهى فى بطن أمها ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسنًا﴾ وأنها تربت فى الهيكل تحت رعاية زكريا . وأنها كانت تطعم طعامًا من السماء ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا . قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله﴾ وعلو مركز العذراء مريم يظهر فى قول القرآن عنها ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (آل عمران ٤٢) . وهكذا ارتفعت مريم فى نظر الإسلام فوق نساء العالمين . كانت عذراء عابدة تسجد وتركع مع الراكعين . وكانت تحيا فى وحدة وتأمل ﴿إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجابًا﴾ . (سورة مريم ١٦ و ١٧) و﴿ إنى نذرت للرحمن صومًا﴾ . ويمكن الرجوع إلى سورة مريم وسورة آل عمران وغيرهما لمن يريد أن يتوسع فى معرفة فضائل العذراء مريم وعلو مكانتها ، كما يشرح ذلك القرآن .

□□□

فهرس

صفحة

صفحة

كتب للمؤلف

- تاريخ ليس للبيـــع .. المكتبة الأكاديمية ١٩٩٣
- البحث عن المستقبل .. المكتبة الأكاديمية ١٩٩٤
- الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام .. الهيئة المصرية للكتـاب ١٩٩٦
- ابتسامة صغيرة (مجموعة قصصية) .. الهيئة المصرية للكتـاب ١٩٩٧
- الغرب والإسلام .. دار المعارف ١٩٩٧

رقم الإيداع	١٩٩٨/٣١٥٣	
الترقيم الدولى	977-02-5552-1	ISBN

١/٩٧/٦٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

المصريون من الشلال إلى السلوم .. المسلمون منهم والأقباط يعيشون منذ مئات السنين فى سماحة ومحبة تعتبر نموذجا فريدا لتجسيد إرادة الله الذى لو شاء سبحانه وتعالى لجعل الناس أمة واحدة ، ترجمة لمبدأ الإسلام فى الحرية الدينية « لا اكراه فى الدين » .

وهذا الكتاب ثمرة صحبة ومعايشة مع قداسة البابا شنودة كإنسان .. للتعرف على فكره وما يشغله . والبابا شنودة ليس رجل دين فقط . ولكنه أحد المفكرين المصريين المعاصرين ، وهو مشغول بقضايا المجتمع والثقافة والاقتصاد ، وفوق هذا فهو من القلة النادرة من رجال الدين الذين حققوا ما هو مستحيل بالنسبة للآخرين ، فقد جمع بين التبتل والتفرغ للعبادة ، وأداء دوره فى رعاية أبنائه الأقباط فى مصر والمهجر ، واهتمامه بالقضايا العامة وشئون الوطن ..

.. وفى هذا الكتاب يمتد الحوار معه فى كل القضايا والموضوعات ، من حياته وأفكاره الشخصية .. إلى شئون الكنيسة الداخلية .. ودور الكنيسة فى السياسة ، والأقباط فى المهجر ، وقوانين الكنيسة ، بالإضافة إلى موقفه العقائدى من اليهود والصهيونية وغيرها من الموضوعات التى تهم كل مصرى مسلم أو قبطى .



دار المعارف

٠٢٣٤١٤/٠١

